روايات عبير

آن ويل

مواجهة الحب

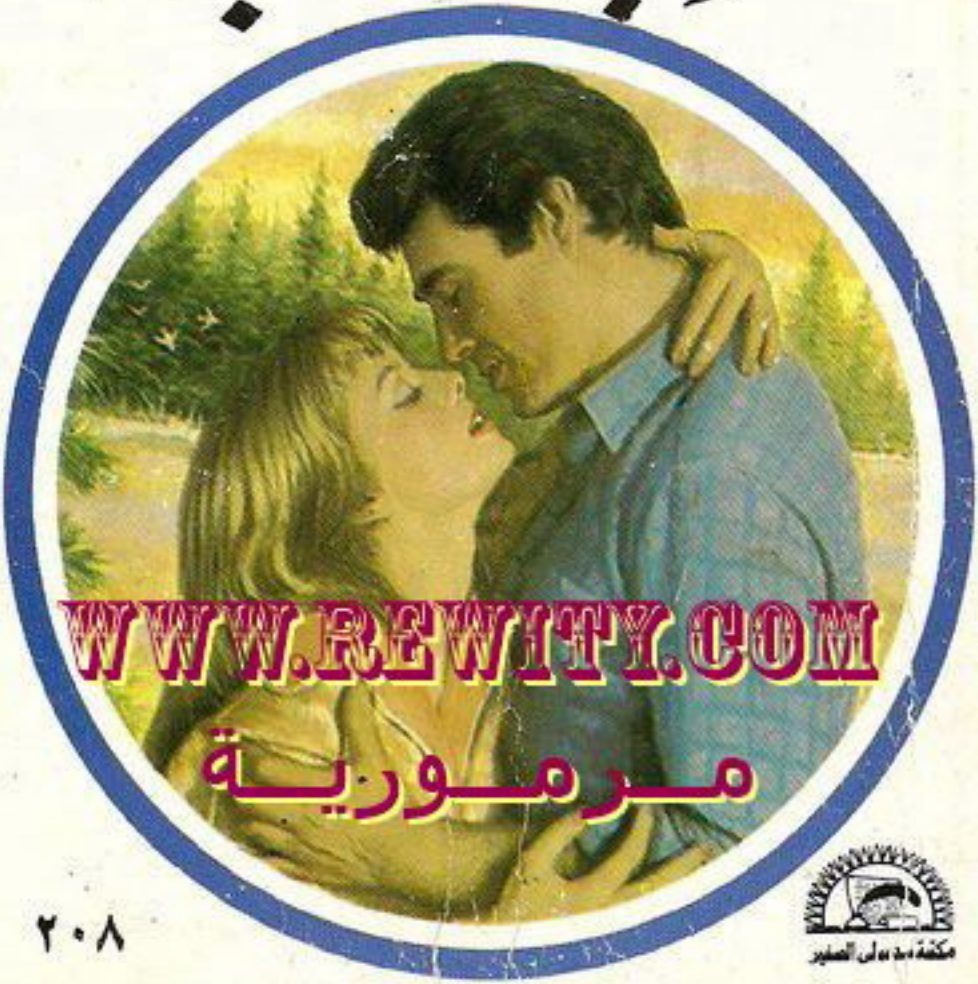

WWW.REWITY.COM
مرمورية

٢٠٨

مكتبة دار الهلال للطباعة والنشر

روايات عبير

HARLEQUIN - «ABIR» - No. 208

www.liilas.com

مواجهة الحب

كانت اليكسندرا تجاهد بقوة لتشق طريقها فى مجال الديكور الداخلى الذى اختارته كمهنة لها. وبالتأكيد لم تكن تنوى أن تدع الحب يؤثر على أسلوب الحياة الذى كانت قد خطته بعناية. إلى أن قابلت لورير تايت فى مهمة عمل فى فانكوفر. أكان إنجذاب عابر، أم فرصتها الحقيقية الوحيدة للسعادة؟ ظنت اليكس أنها تعرف الاجابة. ولكن هل كانت هى تريد الإجابة الحقيقية؟

لبنان	٢٢٥٠ ل ل	الكويت	١,٥٠٠ د	اليمن	٦,٤٠ ر	U.K. 2,40	
سورية	٤٠ ل س	الامارات	١٩,٢٠ د	تونس	٢,٤٠ د	France F 16	
الأردن	١,٥ ف	البحرين	٢,٤٠ د	ليبيا	١,٦٠ د	Greece Drs 320	
العراق	١,٢ ف	قطر	١٩,٢٠ ر	المغرب	٨ د		
السعودية	١٠ ريال	عمان	٢,٤٠ ر	مصر	٣,٠٠ ق	Cyprus P 2,40	

الفصـــل الأول

(عطـــرك رائـــع)

لم يكن قد مضى أسبوعان على وصول اليكسندرا كليفورد إلى فانكوفر عندما رأته لأول مرة. لقد توافق وصولها إلى غرب كندا مع فترة من الصيف الهندى الذى يتميز بدفء الجو فى أوائل الشتاء. كانت أيام شهر أكتوبر مشمسه ودافئة رغم بعض البرد الخريفى فى ساعات الصباح المبكرة. وقد خرجت فى السابعة صباحاً لأداء تمرينها الصباحى على امتداد سور البحر (الكورنيش) حول منتزة ستانلى.

كانت نقطة عودتها هى مدفع الساعة التاسعة. وهو مدفع بحرى ذو فوهه طويلة صنع فى انجلترا عام ١٨١٦ ونقل إلى كولومبيا البريطانية قرب نهاية ذلك القرن.

وعند المدفع اعتادت اليكس أن تظلل عينيها بيديها إتقاء لضوء الشمس المشرقة ثم تنظر عبر الميناء الكبير تجاه جسر نارزوز الثانى ثم إلى الجبال التى ترتفع وراء الشمال فانكوفر على الشاطىء البعيد.

وعندئذ تستدير على عقبيها وتحث الخطى عبر الطريق الذى

أقبلت منه في خطوات أمرأة شابه فارهه القامة طويلة الساقين ترتدى (شورتاً) وفانلة (تى شيرت) بينما كان شعرها الأشقر المخطط المسترسل على كتفيها يتماوج متوافقاً مع خطواتها الواسعة.

كان أغلب من يمارسون تمرينات الصباح المبكر على الكورنيش من العداءين الرجال. وتتفق اليكس مع رأى فيكتوريا برنسبال أن الجرى ليس شيئاً طيباً للثديين. ورغم أن صدرها لم يكن عريضاً مثل صدر نجمة التليفزيون فإنها لم تجد داعياً لأن تخاطر بإفساد جمال نهديها الكاملى الاستدارة وإن كانا أصغر وذلك من خلال الجرى يومياً. وهى تفضل نوعاً من السير القوى مثل ستيف ريف. كان كثير من الرجال الذى يعدون مارين بها ينفخون ويلهثون. ويستطيع بعضهم بالكاد أن يلهث ليلقى تحية الصباح. وهى ترى أن من الواجب نصحهم بالإبطاء.

تلقى اليكس تحية الصباح على كل من تقابله لأن ذلك يبدو طبيعياً فى مثل هذه الساعة من اليوم فى ذلك المكان. ومعظم الناس يردون تحيتها. وكان أحد الاستثناءات القليلة لذلك هو سائح يابانى ربما طلب من سائق السيارة الأجرة التى يستقلها أن يتوقف أثناء سيرهما بين المناظر الطبيعية العديدة خلال المنتزة وذلك عندما اقتربا من نقطة قريبة من كورنيش البحر عسى أن يتمكن من التقاط بعض الصور الفوتوغرافية الأخيرة لقمم المبانى الشاهقة فى مركز المدينة التجارى وقد حجبت أفق السماء الذى أضاءته الشمس المبكرة.

كان رده على تحية اليكس أن نظر لها شزراً بنظرة عصبية خاطفة مصحوبة بغمغمة نافرة ربما لأنها شقراء فقد ظنها إحدى

راقصات فانكوفر الغريبات فخشى أن تحاول التعرف عليه إذا أبدى أى تشجيع. ربما لاتلقى المرأة اليابانية المحترمة تحية الصباح على الرجال الغرباء فى أى ساعة من اليوم.

استغرقت فى تفكيرها عن الفروق الحضارية فى السلوك وهى تكمل سيرها إلى موقع الترانيم حيث كان جيش الانقاذ يعقد لقاءاته فى الزمن البعيد. كانت ترنيماتهم تدوى عبر المياه إلى شوارع المدينة التى كانت أصغر كثيراً من تلك التى تمتد ضواحيها الآن حتى الحدود الأمريكية.

فى ذلك الصباح الذى رأت فيه الرجل الطويل كانت قد استدارت عند المدفع ونظرت إلى الحروف المكتوبة بضوء الفلورسنت الأحمر فوق المطعم الدوار فى الطابق الثانى والأربعين من فندق شيراتون. وفجأة تراءى بجانب ظلها ظل آخر على الجانب الأيسر من الخط الذى يقسم الطريق إلى أقسام للمشاه وراكبى الدراجات.

ورغم أن راكبى الدراجات لايصدرون صوتاً إلا أن التنفس الثقيل للعداءين ووقع أقدامهم على الأسفلت يعلن دائماً عن وجودهم عندما يقتربون منها.

ولكن مرور ذلك الرجل الطويل الأسود الشعر بكتفيه البارزين وعضلات ظهره القوية جعلها تجفل قليلاً حيث كان يعدو فى صمت لدرجة أن وقع أقدامه لم يكن مسموعاً إزاء الأزيز المتخافت الذى صدر من إحدى الزلاقات المائية التى أقلعت من الميناء منذ بضع دقائق.

عندما اتسعت المسافة بينهما انتقلت ببصرها من ظهره القوى إلى ساقيه الطويلتين اللتين كانت تخطوان به فوق الأرض فى قفزه متناغمة سهلة خفيفة وجميلة لدرجة جديرة بالمشاهدة.

لقد مر بها فى خفة على نحو مفاجىء لدرجة أنها لم تتمكن من إلقاء مجرد لمحة خاطفة على وجهه. ولكنه بدا من الخلف صاحب أقوى مظهر مؤثر تراه منذ فترة طويلة إن لم يكن على الإطلاق. لقد حبته الطبيعة بجسد طويل متناسق وكان واضحاً من أسلوب جريه أنه قد حافظ على جسده فى شكل رقيق. فليست هناك أوقية واحدة من الشحم الزائد تشوه خصره الرقيق. وقد برز جمال ربلتى ساقيه من خلال جوربى تنس لونها الأبيض. وأعلى ركبتيه كان فخذاه اللذين لفحتهما الشمس بارزى العضلات. لم تكن ساقاه غريزتى الشعر ولكن كان شعر رأسه كثيفاً ولامعاً كفراء سنجاب أسود من أولئك الذين يعيشون فى المنتزة أو كريسن غربان الشمال الشرقى التى كانت تتردد على كورنيش البحر. وعندما مر بها لاحظت البلل الذى أصاب شعر عنقه. وتخدرت فتحتا أنفها.. لم تكن رائحة غير طيبة لعرق حديث.

تساءلت عن طول المسافة التى قطعها عدواً. ولماذا لم تره قبل الآن. ربما كان فى فانكوفر لوقت قصير مقيماً فى فندق خليج ويستن الفاخر الواقع على الشاطىء الجنوبى للميناء قرب مدخل المنتزة.

وما بين عودتها من عند المدفع حتى مغادرتها المنتزه كان الكورنيش يتلوى فى منحنيات ثعبانين. فى بعض الأماكن كانت تمتد على الطريق ظلال أشجار الصنوبر الطويلة الموجودة فى قلب المنتزة مكونة غابة صغيرة ولكنها كثيفة تتشابك فيما بينها بنباتات اللبلاب. كان هواء الصباح معبقاً بشذا الغابات ونكهة المحيط التى كانت تخالطها رائحة الطين المكشوف الحادة عند إنخفاض الجذر.

قبل أن تصل مبنى نادى التجديف بوقت طويل كان الرجل الطويل قد اختفى. ربما كان قد جاء للمنتزة بسيارة يقودها الآن مبتعداً، أو أنه إتجه غرباً عبر جورجيا إلى قلب المدينة التجارى، أو اتجه بها من خلال قلب المنتزة إلى جسر بوابة الأسد الشهير الذى يجتاز جسر ناروز الأول ليصل إلى الميناء.

وعبر الطريق السفلى قرب البحيرة المسماة البحيرة المفقودة سارت اليكس إلى منطقة البيرنى بنفس خطواتها السريعة وهى لاتزال تفكر فى ذلك العداء الطويل وهل يمكن أن يكون وجهه مخيباً للآمال.

بعد خمس وأربعين دقيقة بالضبط من خروجها كانت تستقل المصعد عائدة إلى جناحها الذى تخدم فيه نفسها بنفسها فى الطابق العاشر بأحد فنادق شارع روبسون. وفى الثامنة إلا عشر دقائق كانت تحت الدش تغسل شعرها الأشقر الكثيف بالشامبو وقد عاد عقلها يفكر فى عملها.

مر بها مرة أخرى فى الصباح التالى.

بينما كان يبتعد فى خفة وجدت نفسها مستاءه بعض الشىء لأنه حتى لم يقل «هى» كما اعتاد أن يفعل معظم الشبان.

كان من الصعب أن تحدد عمره بدقة من مظهره الخلفى. ومع هذا البنيان الفاتن فقد يكون أصغر منها. ولكن لسبب مالم تظن ذلك. كان يحيطه شىء ما.. شىء مالم تستطيع تحديده يوحى بأنه فى الثلاثين على الأقل.

تساءلت إذا ما كان قد لاحظها، أم أنه كان مستغرقاً فى التفكير لدرجة الا يتنبه لأى ممن يمر بهم. ودون زهو فإن اليكس تعرف أن لها ساقين جميلتين تجذبان نظرات الأعجاب

من الجنس الآخر. وإذا كان الرجل الطويل لم يوجه لها مجرد نظرة خاطفة فلابد أن ذلك يرجع لواحد من ثلاثة أسباب:

إنه كان يستخدم وقت تمريناته فى بعض التفكير المركز كما تفعل هى فى الغالب.

أنه متزوج أو مرتبط وليست له عين زائغة.

أنه شاذ جنسياً.

وفى أيامها الأولى فى فانكوفر كانت قد التقطت جريدة الوست إندر التى تنشر مسابقات ذات جوائز من كومة جرائد بمدخل مكتبة المدينة المركزية التى اشتركت بها لعملها ولمتعتها. كانت الوست إند هى ذلك الجزء من المدينة الذى يمتد من مركزها حتى متنزه ستانلى. كان واضحاً من الاعلانات الشخصية بالجريدة أن المنطقة تضم مجتمعاً كبيراً مولعاً بالمتع الاجتماعية. كان عمود الاجتماعيات حافلاً بإعلانات القلوب الوحيدة التى يدسها فى الغالب مستهترون بحثاً عن الرفقه ولكن مع بعض الاغراءات المتفرقة من رجال ونساء يشتهون الجنس الآخر.

كان أحد الاعلانات التى استوقفتها:

أنا بحاجة إلى امرأة من نوع خاص. أنا رجل قوقازى فى الخامسة والثلاثين. جذاب. نحيف إلى حد معقول. أحتاج حباً حقيقياً.. حقيقياً.. من واحدة لن تتركنى إطلاقاً يجب أن تكون مبدعة. متدينة حساسة. ولا تتوقع منى أن أكون العائل الوحيد. أنا لست صاحب مهنة بل من طبقة العمال وأقيم كأعزب بمفردى.

يمكنها فقط أن تتوقع منى تصوير نماذج الطائرات حتى المائة وأربعة، وقد يمكننى كتابة إحدى أغنيات الجاز العاطفية

الراقصة الغريبة، أو أن نبتدع سوياً إحدى دعابات الفيديو العجيبة. ومن يدرى؟ فقد تصادف نجاحاً وتنقلنا إلى الثراء. ولكن فى الغالب فإن ذلك غير محتمل. يجب أن تحب السماوات الرمادية والزرقاء وأن تجيد الطهى مثلى هل يمكننا أن نصوغ ذلك فى شكل حياة سعيدة طويلة جداً؟

وكان إعلاناً آخر يقول:

إمرأة جيدة تبحث عن ذلك الرجل الجيد. أنا غير متزوجة. بيضاء. غير مدخنة (ولكننى غير متعصبة لذلك) فى السادسة والثلاثين (ولكنى أبد أصغر كثيراً)، طولى خمسة أقدام وأربعة بوصات ونصف، نحيفة، شقراء، لست غير جذابة، ذكية، مثالية، فضولية، حساسة، رومانسية، معتمدة على نفسى. هواياتى تشمل الموسيقى والطبيعة وركوب الدراجات والسباحة والسير الهادىء والسينما والطهى والعلم والفلسفة والضحك وغير ذلك كثير إذا كنت ذكياً مخلصاً وذا عقل متفتح بصفة خاصة، وتمتلك على الأقل بعضاً من الفضول الفطرى، ويفضل ألا تكون أكبر من الأربعين فلماذا لا ترد على ص.ب ٤٠٠٠ طريق ويست إندر.

جعل إعلان أو إثنان شفتيها تلتويان إشمئزازاً. ولكن بدا أغلبها لأناس فى حاجة حقيقية للرفقة التى تهتم بهم.

تساءلت اليكس إذا ما كان العداء الطويل ــ الذى كان يبعد عنها الآن بمئات الياردات مجتازاً كوخ حارس البوابة عند مدخل جزيرة الرجل الميت ــ هو صاحب الاعلان التالى:

جديد فى المدينة، طوله ٦ أقدام، ذو مظهر جميل، ناجح رقيق. يعد جذاباً جداً وذكى. يريد درجة عالية من روح الدعابة يبحث عن مرافقة للمناسبات جذابة ذات جسد جميل

(لا بغايا) لعلاقة عاطفية مشبعة متبادلة، وربما ارتباط. أرسلى صورة والشروط إلى ص. ب ٢٥٠٠ وست إندر.

سمعت اليكس صياح سرب من الأوز الكندى يقبل من ناحية الخليج الانجليزى عند الطرف البعيد لوست إند. رفعت اليكس رأسها ترقبهم وهم يهبطون إلى الأرض.

عند أول مرة سارت فيها خلال المتنزه تعجبت من الفهم وسماحهم للناس أن يسيروا بالقرب منهم. كانت تدرج ألوان ريشهم من الأسود إلى البيج الداكن إلى العاجى متوافقاً مع تنظيمها الشخصى للألوان. فلديها خزانة صغيرة للثياب الغالية من الأزياء الكلاسيكية ذات الألوان الفاتحة مما يتيح لها أن تجمع فى حقيبة واحدة ملابس تلائم كل احتمالات التغيير فى الطقس.

تساءلت.. مانوع الاعلان الذى يمكن أن اكتبه بحثاً عن رجل؟ كانت تخطو على الممر الضيق المؤدى إلى رصيف نادى يخوت فانكوفو الملكى.

أخصائية تصميم ديكور داخلى عمرها ٢٧ عام طولها خمسة أقدام وسبعة بوصات. وزنها ١٢٥ باوند. شقراء، ذات عينين رماديتين، ليست جميلة ولا دميمة. مرتبطة جداً بمهنتها لدرجة ألا يكون لديها وقت للزواج ولا للأطفال تبحث عن رجل أعزب يعمل بمهنة تقتضى ثقافة أو علماً ليشاركها سهرات المناسبات فى المسرح والحفلات الموسيقية... الخ. ولقضاء ليال دافئة ولكن دون مباشر جنسية ملتهبة. يجب أن يكون غير مدخن. فى درجة أقل من كبار المديرين يتمتع بروح الدعابة والأخلاق الطيبة.

هل يمكن أن يجعلها إعلان كهذا تبدو غير طبيعية أو سيئة

أو عديمة المسئولية الأخلاقية.

وفى الواقع فإن حياتها تعتبر فى معيار الكثيرين متزمتة إلى حد كبير. لقد بلغت سناً متقدمة الثانية والعشرين ـــ قبل أن ترتبط مع أى شخص. ثم عاشت مع صديقها الأول لمدة عامين. ومنذ ذلك الحين لا يوجد أى إنسان. عاشت ثلاثة أعوام من العفه المنقطعة النظير لأن الرجال من السن المناسب لها كانوا متزوجين. وهى تعتبر مجرد تناول العشاء مع رجل متزوج شيئاً ضد مبادئها. أحياناً كان عملها يضطرها لتناول العشاء مع زوج امرأة ما أخرى. ولكنها جعلتها قاعدة ثابتة الا تتناول العشاء مع رجل حتى عندما كانت واثقة تماماً أنها لا تريد سوى رجلاً يشاركها مائدتها ويعرض عليها الصور الفوتوغرافية لعائلته.

كانت مبادىء اليكس فى الحياة كثيرة ومتنوعة. إنها تتراوح من عدم تناول أى أطعمة اطلاقا سوى الفيتامينات إلى استثمارها جزء من دخلها ودفع مبالغ منتظمة إلى حساب عمتها التى تكفلت بإعالتها بعد مقتل والديها.

كانت معظم مبادئها رد فعل للحياة التى عاشتها فى كنف العمه جو وزوجها بن فيشر. كان لديها ستة أطفال من أبنائهما وقد تبنيا إثنين آخرين، أحدهما أسود والآخر آسيوى. وذلك قبل أن يزيد مجىء ابن أخيها عدد العائلة إلى تسعة.

تسعة أطفال واثنان كبار ووالدة فيشر الأرملة المريض.. كلهم ينحشرون فى منزلهم ذى الخمسة حجرات. منذ أن انتقلت للمعيشة معهم لم تجد اليكس لنفسها حجرة مستقلة أو ملابس غير بالية بعد استعمال أحد أبناء عمتها.

كانت تتناول طعاماً جيداً. ويحوطها عطف حنون. وستبقى

دائماً تشعر بالامتنان العميق لذلك. ولكنها لم تحظ على الاطلاق بلحظة من العزلة ونادراً ما هنأت بلحظة من الهدوء. كان ذلك يعد صدمة مستحدثة بالنسبة لفتاة صغيرة اعتادت المعيشة فى شقة فسيحة مع أبوين ميالين إلى الدرس والتفكير والتأمل يمضيان معظم وقت فراغهما فى القراءة ولعب الشطرنج والاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية.

لم يكن قد تم إعداد اليكس اطلاقاً للمعيشة فى أسرة فيشر غير المنظمة المزدحمة حيث يدور الأفراد والمناقشات فى كل مكان وكذلك جهاز التليفزيون وعلى الأقل جهاز راديو واحد يعملان على إحداث ضجة عنيفة. بالإضافة إلى غسالة أطباق قديمة تكاد لا تتوقف لتتمكن من تنظيف أدوات المائدة لستة وثلاثين فرداً على مدار اليوم. كان ذلك هو الوضع المعتاد.

أكسبتها تسعة أعوام فى منزل فيشر التصميم على تحقيق رفاهية المكان الفسيح والهدوء. ولقد فعلت أصبحت حياتها تسير الآن فى الطريق الذى أرادته بالضبط.

الشىء الوحيد الذى كان ينقصها، مثلما ينقص ذلك القادم الجديد إلى المدينة ذات الستة أقدام طولاً الذى أعلن عن حاجته إلى مرافقة فى المناسبات، أنها تشعر أحياناً بحاجتها إلى رجل يضع ذراعيه حولها ويقبلها ويجعلها تشعر بكيانها كأنثى مرغوبة مثلما هى ناجحة فى عملها.

مع إعادة التفكير فى الإعلان تأكدت أن صاحبه ليس ذلك العداء الطويل. إنه يبدو أطول من ستة أقدام. إذا كان وجهه متوافق مع جسده فهو ليس بحاجة لعمل إعلان. إذ لابد أن النساء كانت ستتدافع للاقتران بذلك الجسد الرياضى المتناسق.

لماذا أفكر الآن كثيراً بشأن الجنس؟ تساءلت وهى تهبط

مع إنحدار الممر السفلى تحت طريق ٩٩ السريع المزدحم الذى كان يوصل سكان الضواحى إلى قلب المدينة بينما يؤدى بركاب آخرين إلى شمال وغرب فانكوفر.

كانت تعرف الأجابة. فتلك القوة الشديدة للطبيعة لا تزال تحاول دفعها للاذعان للنمط المعهود لبقاء الانواع. ومن الوجهة البيولوجية فقد كان للنساء غرض واحد: ولادة الصغار ورعايتهم كأمهات.

والآن وبعد قرون من الخضوع لذلك القانون الطبيعى فقد أصبح لدى المرأة أخيراً خيارات أخرى. ولكن كيمياء جسدهن لا تزال تحثهن على التزاوج وقد فعل معظمهن ذلك. وفى السنوات المحيطة بسن العشرين كان مزيج الكيمياء والفضول غير ممكن مقاومته.

لقد قويت مقاومة اليكس بما حدث لواحدة من بنات عمتها. وجدت سوزان فيشر نفسها حاملاً من فتى تعرفه طوال حياتها. كان صديقاً قديماً لشقيقها. كانت تربيتها تجعل الاجهاض أمراً غير وارد. ورغم أن والديها كانا سيساعدانها فى إعالة الطفل بمفردها ولكنها أحست أنها مضطرة لقبول عرض الفتى بالزواج منها. كان كلاهما صغيراً جداً وغير ناضج بحيث يمكنها إقامة علاقة دائمة، وسرعان ما نضب حبهما.

كانت اليكس حينئذ فى السادسة عشرة من عمرها. وقد جعلتها تجربتها ترى الوقوع فى الحب على أنه مصيدة لغير الحذر. وجعلتها تعقد العزم على تجنبه.

يجب أن تواجه النساء أستحالة الجمع ما بين الزواج والنجاح فى العمل. وخاصة فى المهنة التى تتطلب قدراً كبيراً من السفر. وقد وجدت من ملاحظاتها أن هؤلاء اللواتى حاولن

الجمع بين مهارات ربة المنزل ومهنة أخرى يعشن فى تمزق دائم.

مهما تدعين هيلين جورلى براون عن تمكنها من كل شىء، فإن الحقيقة التى لا تقبل الجدل هى أنك لا تستطيع أن تصنع كعكتك وأن تأكلها يجب أن تختار. وقد اختارت الاستقلال المادى والرضا بعمل ممتع جداً. وهو ما يأتى بها إلى أماكن مثل فانكوفر التى تعد بالتأكيد واحدة من أجمل مدن العالم.

مر بها الرجل الطويل فى صباح ثلاثة أيام متتالين. كان كروح شاعرية فى حركته.

كان الصباح التالى يوم أحد. كان أعضاء نادى التجديف يؤدون تمريناتهم فى الشرفه الفسيحة عند مرورها. لقد خرجت أمس متأخرة عن عادتها لأنها لم تكن قد ذهبت للفراش حتى الساعات المبكرة للصباح. لم يكن ذلك لأنها أمضت ليلة السبت فى الرقص وتناول العشاء. بل قضت الليلة بمفردها تعمل فى ذلك المشروع الذى كان سبب وجودها فى فانكوفر.

أثناء عودتها من عند المدفع صباح الأحد لم تر أثراً للعداء. ربما لا يجرى فى أيام الأحاد. أو أنه قد مكث فترة ثم رحل. إذا لم يكن يقيم فى فانكوفر فربما يكون قد أنهى عمله بها وغادر المدينة بعد إفطار الأمس. بل ربما يكون قد غادرها فى وقت متأخر من ليلة الجمعة إذا كانت له زوجة أو صديقة استبد به الشوق ليعود إليها.

وألح عليها الفضول بشأن وجهه. قالت لنفسها. لا تكونى سخيفة لقد كانت له عضلات جميلة كان يجرى فى صحة موفورة. ربما كان لصاً.. فكرى فى شىء آخر.

رأت سنجاباً أسود ينتهى من دفن شىء ما فى العشب ثم

انطلق بخفة ورشاقة متسلقاً إحدى الأشجار. ابتسمت عندما رأت وجهه الصغير الحذر ذا العينين البراقتين.

كانت أوراق أشجار القبقب على امتداد الكورنيش قد بدأ لونها يتحول إلى اللون الأحمر رغم ما قيل لها من أن تغير لونها لا يكون شديداً كما هو الحال فى أشجار القبقب على الجانب الشرقى من هذا القطر المترامى الأطراف. والمناخ هنا فى الغرب ألطف وأكثر رطوبة. وتحتاج أشجار القبقب مناخاً بارداً لتبرز تألقها التام.

كانت قد أقتربت من نادى التجديف ذى السقف المنحدر إلى الجانبين على هيئة «جلون» وقد بنى على دعائم تبرز من الماء أو الطمى على حسب إرتفاع المد. عندئذ لاح رجل على السلم المعلق الذى يربط النادى بطريق أعلى من مستوى الممر.

كان يرتدى قميصاً مفتوح العنق وستره سبورت «من قماش التويد. فى البداية كان وجهه ينظر إلى جهة أخرى. عرفت مؤخرة رأسه رغم أن شعره كان مصففاً بعناية وليس مشعثاً مثلما يكون أثناء جريه. ثم استدار والقى نظرة خاطفة فى اتجاهها.

رأت وجهه للمرة الأولى والتقطت أنفاسها فى شقهة لا إرادية طفيفة.

كان فى حوالى الخامسة والثلاثين ليس وسيماً ولكن جذاب جداً. كان شعره الأسود الكثيف ينبت أعلى جبهته المرتفعة فوق حاجبيه السوداوين وعينيه البنية الداكنة. كان هناك خطين عميقين أسفل وجنتيه يغلفان كل قسمات وجهه بوضوح مما يوصى أنه رجل بشوش سهل الابتسام.

لم يكن يبتسم فى تلك اللحظة. توقف عند رؤيتها وكان ينظر لأسفل من مكانه فوق السلم. بدا على وجهه اهتمام

غريب.

هل يمكن أن يكون وجهها قد لفت نظره مثلما لفت وجهه نظرها؟ لا. ففى هذه الحالة كان سيلتفت لها من فوق كتفيه عند مروره بها أثناء عدوه.

دون أن تدرك أن خطوتها قد ضاقت حتى صارت كأنها تتنزه.. رفعت اليكس وجهها لتقابل نظرته المتفرسة الثاقبة.

«صباح الخير» قالتها بلهجة تفتقد الكثير من رباطة جأشها.

أمال رأسه قائلاً: «صباح الخير»

وعندئذ تحرك باتجاه الطريق فأسرعت خطواتها وهرعت تجاه الممر السفلى. أضطربت عندما وجدت قلبها يدق بسرعة وكأنها تصعد مسرعة إلى قمة تل شديد الانحدار.

صباح الاثنين وفى السابعة بالضبط خرجت إلى سيرها وهى تعى أن مرور الرجل الطويل بها أثناء جريه هذا الصباح دون أن يتحدث فسيكون ذلك شيئاً مخيباً للآمال ولطمة لأحترامها لذاتها.

خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية أمضت الكثير من الوقت ــ الكثير جداً ــ تحاول أن تحكم من خلال الكلمتين اللتين قالهما إذا ما كان كندياً أو أجنبياً مثلها.

عندما وصلت إلى المدفع كان أتوبيساً نهرياً يجتاز الميناء. توقفت متظاهرة بأنها تراقبه ولكن بطرف عينيها كانت تراقب امتداد الكورنيش حول المنعطف الموجود عنده المدفع وهى تأمل أن تلوح أمام ناظريها قامته الرشيقه.

تريثت هناك لبضع دقائق. عندئذ تضايقت من نفسها وبدأت مسيرة عودتها. وأقبل بينما كانت تمر بمجموعة من

الأعمدة الطوطمية الهندية التى يقيمها الهنود الحمر ويزينونها برموزهم المقدسة.

فى البداية ظنت أنه سيمر دون أن يدرك وجودها ولكنه توقف عندئذ عن العدو والتفت يواجهها.

ابتسم.. ابتسامة ودودة دافئة تتوافق مع دلالة الأخدودين العميقين أسفل وجنتيه وأظهر بعض التجعدات الخفيفة فى أركان عينيه.

«صباح الخير. هل تجدين بأساً فى سيرى معك؟»

هزت رأسها وردت بابتسامة قائلة: «إطلاقاً. اليس هذا طقساً رائعاً؟»

أومأ موافقاً وسار بجوارها. وقال: «هذا وقت جيد من العام. إسمى لورير تايت وأنت...»

«اليكسندرا كليفورد»

«آنسة. سيدة»

قالت بثبات: «آنسة»

«هل أنت فى أجازة يا آنسة كليفورد أم أنك تعيشين فى فانكوفر؟»

«أنا هنا لمدة ثمانية أسابيع مضى منها أسبوعان بالفعل. إنها ليست أجازة. أنا أعمل هنا الآن»

«هل أنت من إنجلترا. اليس كذلك؟»

«نعم. هل أنت من أهل فانكوفر؟»

«غير حقيقى. إن والدى من كويبك. وأجداد والدى كانوا اسكتلنديين. لقد ولدت فى باريس وأقيم فى هاواى. أنا أعرف فانكوفر بدرجة جيدة تماماً لأننى أتردد عليها منذ أن كنت طفلاً صغيراً. أنا أقيم مع جدتى.»

ولذلك فهذا هو سبب لفحة الشمس ببشرته.

قالت: «إن هاواى تبدو مكاناً ممتعاً للعمل. ماذا تعمل هناك؟»

«أنا باحث بعلوم المحيطات وبالتحديد جيولوجى بحرى»

«حقيقى؟ كم هو شيق. أنت أول من قابلته فى هذا المجال»

قال بنبرة عادية: «بالمقارنة مع ساحة الأرض المغطاة بالمياه فليس هناك الكثيرون منا. إنه علم جديد إلى حد كبير. وأحد آباء علم المحيطات كان بنجامين فرانكلين الذى نشر خريطة لمسار تيار الخليج عام ١٧٧٠. ولكن علم المحيطات الحديث لم يحدث تقدم حتى هذا القرن.»

«ما الذى جذبك إليه؟»

«دمائى الأصلية على ما أعتقد. والآن وقد تم استكشاف كل الأرض فإن المحيطات هى المجالات الأخيرة المتبقية على هذا الكوكب. ماهو مجال عملك يا آنسة كليفورد؟»

«أنا أصمم أجنحة المبانى الملحقة بفندق برج كونوت»

«لابد أنك مصممة من الطراز الأول لكى تقتنى مهمة كهذه من تحت ألوف الموهوبين المحليين العاملين فى هذا المجال»

«لا يمكننى أن أقول ذلك، ولكننى أهدف إلى السير فى هذا الاتجاه»

«أنت تقولين أنك هنا منذ أسبوعين. هل شاهدت المدينة مما يسمى «السحابة التاسعة» بفندق شيراتون؟»

«لا. لم يحدث»

«هل يمكننى صحبتك إلى هناك الليلة لتناول شراب قبل العشاء».

«أخشى أن أكون مشغولة هذا المساء» كان هذا ما تعرفه وما كان ينبغى أن تقوله. وإذا أقترح بديلاً فكانت ستتدعى عذراً لطيفاً آخر. فلديها الكثير من التدريب على الرفض المهذب للدعوات. ولكن رغم معرفتها بأنه شىء أحمق فقد تجاهلت رنين أجراس التحذير فى عقلها وقالت: «أنا أتمنى ذلك كثيراً»

«حسناً. أين تقيمين؟»

وأعطته عنوانها

«سوف آتى لآخذك فى تمام السادسة. إن البار يستغرق ساعة واحدة ليدور دورة كاملة. والوقت بين السادسة والسابعة هو الملائم لمشاهده المدنية وهى تتلألأ بالأضواء. أراك فى السادسة.» إنطلق يعدو وتركها مفعمة بالإثارة من تخيلها اللقاء معه وممتلئة بالشكوك من بدء شىء يعقد حياتها الخالية من المشاكل.

وبينما كانت ملتفة بمنشفة الحمام فحصت اليكس خزانة ثيابها وأنتقت بلوزة حريرية سوداء وتنورة ذات كشكشة رقيقة فظهر معاً كأنهما فستان. وأنتقت أيضاً جاكت من الكشمير يتدلى من جانبيه طرفى حزام من الشانيل الأسود. وتوافق ذلك مع حقيبتها الجلدية السوداء. وهكذا بدت فى هيئة تناسب أى مكان يأخذها إليه.

بعد أن أختارت ما سترتدين عادت إلى الحمام لتضع مزيل رائحة العرق روشاز مبستير وبودرة التلك وبعض الكولونيا. كان جسدها لا تزال به لفحه خفيفة من مواظبتها على حمام الشمس فى حديقة السطح الصغيرة المتصلة بشقتها المخصصة للرسم فى لندن. لقد إعتادت أن تقضى أجازاتها فى إيطاليا قبل أو بعد

الموسم السياحى الرئيسى. كانت قد خططت لزيارة فلورنسا فى اكتوبر ولكن عندئذ ظهرت هذه المهمة فى فانكوفر.

كان الفندق إضافة إلى سلسلة الفنادق الفخمة فى أمريكا الشمالية. لقد تصادف أن قابلت رئيس الشركة المالكة لها فى حفلة أقامها ممثل انجليزى كان شريكاً فى مطعم قامت بتصميمه. كان جون كازينو بوليس رئيس فرع تورنتو لشركة كونوت مفتوناً بعملها. لقد سألها عما إذا كانت ترغب فى تصميم الأجنحة الأربعة الملحقة بأحدث فنادق. وسارعت اليكس بإقتناص الفرصة. فإذا استطاعت أن تحقق من خلالها نجاحاً مدوياً فلا شك أن ذلك سيجلب لها أعمالاً أخرى فى كندا وأمريكا. كان لديها إصراراً أن تكون فى مقدمة المصممين العالميين عندما تبلغ الخامسة والثلاثين. وقد كان العمل لدى جون كازينو بوليس خطوة كبيرة فى هذا الاتجاه.

أتمت استعدادها قبل عشر دقائق من رنين جرس التليفون حيث أخبرتها موظفة الاستقبال أن السيد تايت ينتظرها بالردهة. وبعد نظرة سريعة لصورتها المنعكسة من المرآة الكبيرة فى الجزء المخصص للمعيشة بجناحها التقطت مفتاحها وخرجت لتتذوق حياة الليل فى فانكوفر لأول مرة.

كان لورير يتصفح بعض النشرات السياحية المعروضة عندما خرجت من المصعد بالدور الأرضى. وكان يرتدى بدله رمادية وقد برزت نصف بوصة من أكمام قميصه القرنفلى من تحت حواف أكمام السترة.

عندما استدار مرحباً بها رأت أن ربطة عنقه كانت قرنفلية مع خطوط مائلة من اللون الرمادى الفاتح والداكن. كانت ملابسه تحقق التوازن الصحيح. محافظة ولكنها ليست مملة. إنها

ترى أن الرجال يجب أن يعطوا بعض الأهتمام لملابسهم ولكن ليس بإفراط. وأدركت عينها الخبيرة الجودة المميزة لثيابه التى أختارها وكذلك دفعات الحياكة الممتازة المستوى. لم تتوقع أن يستطيع أحد العلماء شراء بدلة يتم أعدادها حسب الطلب بهذا المستوى. ربما له موارد خاصة بالإضافة لدخله من مهنته.

مد يده قائلاً: «مرحباً»

عندما تصافحت يداهما طافت عيناه الداكنتان بشعرها اللامع الذى صففته إلى الوراء حسب مايسميه الأمريكيون «وضع الفتنة» ليكشف عن الحلق الذهبى الدائرى المجدول بأذنيها والذى يتوافق مع العقد المجدول فى جيدها.

كانت قد وضعت على وجهها ماكياجاً خفيفاً لاتستطيع العين الرجالية تمييزه. وفى الواقع فقد استلزم الأمر عشرين دقيقة لكى تبرز جمال حدقتيها الرمادى بلون الدخان وتزيد من إشراق وجنتيها بالاستخدام الدقيق للمساحيق اللامعة والوردية.

ورغم أنها دائماً تأخذ وقتاً لكى تجعل نفسها فى أفضل صورة، إلا أنها عندما استخدمت أدوات التجميل الليلة فقد كانت تدرك جيداً أن دافعها لم يكن مجرد رغبة بسيطة فى أن تبدو كأمرأة يمتد كمالها إلى مختلف جوانب حياتها. كانت تريد أن تبدو جميلة، بل ودون ابتذال، أن تكون مثيرة.

ورغم فزعها عندما تنبهت لتلك الميول الخطرة فلم تستطع إيقاف نفسها وهى تحدد فمها بالطلاء لتؤكد ــ أكثر من أن تقلل ــ امتلاء شفتيها المتقوستين.

ولكن نظرته الخاطفة لم تتركز على فمها. وبعد تفحص دقيق لمظهرها خفض نظره إلى قدميها.

«هل حذائك مناسب لتحمل السير حتى الشيراتون؟ إنها

مجرد خفين بسيطين »

« نعم ، أنا لا أرتدى اطلاقاً أحذية لا يمكننى السير بها » وأدارت كاحلها لتريه أن كعبى حذائها يزيدان طولها بمقدار بوصتين فقط . فلا يوجد شيء يمكن أن يكون أقل أناقة من المشية الخرقاء المهتزة التى تسببها الكعوب العالية كأنها ركائز خشبية للسير .

أتجه نحو الباب وفتحه لها . وخرجا إلى شارع روبسون ستراز وبالتحديد الجزء المتوسط من حيث البوتيكات الأنيقة ومحال الأطعمة الفريدة التى أعطت الشارع جواً أو ربياً . قال لورير : « لم أرد أن أخاطر برخصة قيادتى ولذلك تركت السيارة فى الجراج . توجد هنا عقوبات صارمة للشرب وقيادة السيارات . إن ركوب سيارات الأجرة فى المناسبات الخاصة يكون أكثر حكمة .

ورنا لها ببصره مبتسماً . كان هناك بريق خاص فى عينيه الداكنتين جعل نبضها يسرع فجأة .

وسألته : « هل قطعت مسافة طويلة لتصل إلى هنا ؟ »

« لا . إن جدتى تعيش بالقرب من مسار أحد الباصات الذى جاء عبر شارع جرانفيل »

عندما أنتظرا لدى أحد التقاطعات حتى تتغير إشارة المرور دس يده تحت مرفقها .

وجدت اليكس من الصعب أن تربط بين سلوكه اللطيف الواثق بنفسه وملابسه الثمينة وبين إستعداده لركوب المواصلات العامة مفضلاً ذلك على استخدام سيارته الخاصة . إن معظم الرجال يعتبرون سيارتهم جزءاً من كمال صورتهم . ولا يوجد بينهم من لا يرى نفسه سائقاً بارعاً ، وقليل منهم من يأخذ نسبة

الكحوليات المسموح بها بجدية .

أساء فهم نظرتها الخاطفة فقال : « لا تنزعجى . أنا لا أتوقع منك أن تسيرى فى كل مكان الليلة . سوف نستقل سيارة تاكسى إلى المطعم »

أجابته : « إذا لم ينهمر المطر فأنا أفضل المشى »

خطر ببالها أنه ربما يكون قد فقد رخصة قيادته . وعلى أية حال فقد كان ذلك الرجل الذى تعرف إليها غريباً إلى حد كبير . ورغم أنهما كانا على نفس الدرجة من الحماس فإن ذلك لم يشكل مدخلاً حقيقياً لتعارفهما رغم أنها أقنعت نفسها بأن ذلك قد حدث .

وبينما كان يقودها ليعبرا الشارع قال : « ذلك مالاحظته »

وتابع : « ماذا تفعلين بدلاً من تمريناتك عندما لا تستطيعين السير مبكراً ؟ فى الشتاء أو عندما تمطر ؟ »

« فى هذا الاتجاه أمشى أثناء استراحتى لتناول الغداء أو بعد أن يتوقف المطر . إنها لا تمطر طوال اليوم فى الغالب . »

قال بلهجة عادية : « إنها كذلك فى فانكوفر » وتابع : « لابد أن ذلك يحدث حيث يوجد النبى نوح عندما تمطر أربعين يوماً وليلة . يا الهى هل يمكن أن يحدث ذلك هنا »

« ماذا عن رياضة الجرى فى هاواى ؟ هل هى حارة جداً لدرجة ألا يمكن ممارسة الجرى هناك ؟ »

« إنه ليس مناخاً مثالياً للجرى بسبب نسبة الرطوبة . ولكنه يكون ملائماً فى الصباح قبل أن ترتفع الشمس . أنا أؤدى معظم تمريناتى بالسباحة بين الأمواج المندفعة نحو الشاطىء . هل سبق أن جربتى ذلك ؟ »

هزت رأسها وقالت : « يمكننى أن أسبح . ولكن ليس على

نحو جيد. أنا لم أعش أطلاقاً بالقرب من البحر.. أو كما تقول.. المحيط.»

كانت ردهة الشيراتون تعج بالمسافرين الذين وصلوا لتوهم بينما كان آخرون فى طريقهم لقضاء المساء بالخارج. وخلال الدقائق التى انتظر فيها المصعد لاحظت نظرات النساء الأخريات. لرفيقها الطويل.

إنه شخصاً قوى البنيان ذا قامة طولها ستة أقدام لم يكن شيئاً نادراً فى فانكوفر، ولكن كان هناك شىء ما يحيط بلورير بصفة خاصة. وحتى عندما يرتدى كامل ثيابه ويقف ساكناً فقد كان يبعث إنطباعاً بالقوة الجسدية والتناسق التام.

إندفعت أفكارها إلى نهاية سهرتهما معاً. وتساءلت فى قلق عما إذا كان سبب تركه سيارته بمنزله أنه توقع أن يمضى الليل معها بالمدينة.

ظل المصعد مكتظاً حتى الطابق الثلاثين. وأضطرت أن تقف وقد التصق ذراعها وكتفها بصدره. وعندما خرج البعض مفسحين مكاناً للآخرين سارعت بترك مسافة بينها وبينه.

انثنى وهمس بالقرب من أذنها: «عطرك رائع».

«شكراً لك» ووجدت وجهها يتورد خجلاً.

إرتبكت وهى تحادث نفسها.. إن هذا يبدو سخيفاً... أن أتصرف كبنت السابعة عشرة: إستجمعى زمام نفسك يا اليكس.

كان «السحابة التاسعة» مطعماً يدور أحد أجزاء مساحته الحلقية الشكل حول القلب المركزى الذى يحوى المصاعد. وكان هذا الجزء عبارة عن صالة للشراب. وقد كانا محظوظين، فلدى دخولها كان يتم إخلاء مائدة ملاصقة للنافذة.

أنتظرها لورير حتى جلست قبل أن يتخذ مقعده على الجانب المقابل من المائدة المستديرة وسألها: «ماذا تودين أن تشربى يا اليكسندرا؟ چن أم تونك؟ أم سبرايتزر؟»

«هل يمكننى أخذ كأس من النبيذ المعتق من فضلك؟»

«سأحنو حذوك» وأعطى أمره للنادل الذى كان يرفع فى رشاقة الأكواب ومنفضة السجائر التى كان يستخدمها شاغلو المائدة قبلها.

وتساءلت.. هل تخبره أنها تنادى اليكس فى العادة. كان أبواها يستخدمان أسمها الكامل ولكن عائلة فيشر أختصروه. ورغم أن طاقم المدرسين فى مدرستها كانوا دائماً ينادونها الكسندرا إلا أن أقرانها كانوا ينادونها باليكس دائماً.

لدى سماعها لورير يناديها بالكسندرا وتذكرت والدها الذى كان له أيضاً صوت عميق ولكن بلهجة تختلف عن لهجة ذلك الرجل الجالس بمواجهتها.

كان ينظر للمشهد الذى كان ينبغى أن يستحوذ على كل اهتمامها. فقد كانا يشرفان من الطابق الثانى والأربعين على باقى المبانى المرتفعة فى ويست إند. كان المشهد يشمل منظراً عاماً لشبه جزيرة متنزه ستانلى وسلسلة من المشاهد الساحرة لضواحى المدينة وجبالها...

إلا أنها فى تلك اللحظة كانت أكثر إهتماماً بتلك الخطوط فى جانب وجهه الشديد التميز قصبة أنفه البارزة والأنحدار الواضح لعظام وجنتيه والنتوء القوى لذقنه التى تتوافق مع شعره الأسود وجلده البرونزى الداكن. كل ذلك يتآلف ليكسبه المظهر الذى كانت تتخيله للهنود الأمريكيين قبل مجيئها إلى كندا.

لقد رأت أحفاد سكان البلاد الأصليين يتسكعون فى شوارع فانكوفر ممثلين لنماذج رديئة لجنسهم إلى حد محبط. وإذا حكمت حسب ما قرأته فى الصحف فإن وصول المستوطنين هنا أو إلى أى مكان فى العالم نازحين من بلاد أخرى كان يعنى الأنهيار البطىء للسكان الأصليين.

جاهدت لتبعد نظرتها المتفرسة عن وجهه القاهر، وخفضت بصرها لتنظر من موقعها المميز الشاهق. ورأت أن هناك أشجاراً وشجيرات على كثير من الأسطح المستوية للمبانى الأدنى.

عاد النادل بالنبيذ وقطع صغيره من بسكويت مملح. وعندما ذهب رفع لورير كأسه ومال تجاهها قائلاً: «ها هى أسعد أوقاتى فى فانكوفر تتزامن مع أوقاتك»

أجبرتها كياسته أن تبتسم وترفع كأسها. لكن شرب النخب حل مضامين جعلتها تدرك فى إحساس بالذنب أنه ليس لديها من الحق ما يسمح لها بالوجود معه. لقد كانت هنا دفاعاً عن واحد من مبادئها الأساسية.. ألا ترتبط برجل مرة أخرى. لقد كانت علاقتها مع بيتر خطأ. وقد خرجت من التجربة عاقدة العزم على عدم تكرار الخطأ.

قال لورير: «كيف أصبحت مصممة ديكور يا اليكس؟»

«أظن أن جذور مهنتى تكمن فى بيت الدمى الذى إشترته لى أمى فى عيد ميلادى التاسع. لقد كانت تشارك والدى هوايته جمع الحرف الصينى الذى يرجع تاريخه للقرن التاسع عشر. كانا يقضيان معظم أوقات فراغهما بحثاً عن إضافات فى مجال التحف ليضيفاها إلى مجموعتهما. وقد أعتدت صحبتهما فى تلك الأيام ــ منذ عشرين سنة ــ كان يمكنك مواصلة شراء أشياء صغيرة لبيوت الدمى بأسعار رخيصة تماماً. وأحد كنوزى

الأولى كان نسخة مصغرة جداً من ماكينة حياكة ترجع للعصر الفيكتورى. رأى والدى أنه شىء شيق يستحق التشجيع، وبعدما جمعت بعضاً من القطع القليلة إشترت لى مامى منزلاً أضعهم فيه

توقفت ببعض الأرتباك لزلتها بذكر الأسم الطفولى لوالدتها. ولكن إلينا كليفورد توفيت بينما كانت إبنتها فى العاشرة من عمرها. وكل ذكريات اليكس عنها هى ذكريات طفلة دون العاشرة لم تتعقد علاقتها العاطفية بالضغوط والتوترات التى تأتى أحياناً مع سن المراهقة.

سألها لورير: «أى نوع كان من بيت الدمى؟»

أخبرته قائلة: كان إحدى فيلات الضواحى ذات الطراز الفيكتورى ولها شرفة رائعة وبعض الزخارف على هيئة مراكب المهرجانات.. هناك بيت أو بيتين من طراز عتيق بشارع البيرنى وفى أجزاء أخرى من ويست إند مما يذكرنى به»

قال: «لم ينقض وقت طويل منذ أن كانت وست إند تعج بمنازل كهذه.» وأشار للمبانى المنخفضة عنها قائلاً: «كل هذه المبانى الشاهقة هى ظاهرة حديثة نسبياً. استطيع تذكر هذه المدينة عندما كان أعلى مبانيها هو برج الشمس فى منطقة وست بندر وفندق فانكوفر ــ مبنى السكك الحديدية ذا الطراز والسقف الأخضر ــ ومبنى البحرية بنقوشه الفنية.»

أومأت قائلة: «أنا أعرف ذلك المبنى الذى تقصده. أنا لم أقوم بالجولة السياحية المعتادة إلى جبل جروز وغيره ولكن كانت معظم جولاتى فى وسط المدينة، وأعجبتنى المعجزات المعمارية. هناك سلسلة ساحرة من الأساليب بدءاً من أسلوب بنك المعبد الأغريقى للتجارة حتى أسلوب البيت الأخضر لمبنى

المحاكم» وأضافت فى حماسة: «هناك ذلك النهر» الذى يتساقط كالشلال فى ميدان روبسون»

قضم لوير قطعة بسكويت بأسنان سليمة ذات بياض ملحوظ ورد قائلاً: «فى وجود هذا الانتشار الضخم للنمو الحضرى فمن الصعب إدراك أنه منذ مائتى عام فقط كان هذا الجزء من القارة يكاد لايكون معروفاً للمستعمرين فى شرق كندا.. وحتى بعد الهجوم طلباً للذهب فى كلونديك وعلى إمتداد نهر فريزر فلم يكن هناك شىء فى معظم هذه المنطقة التى تنظر لها الآن سوى أكواخ الصيادين وبعض معسكرات الاستكشاف والواح الطواحين.»

سألته: «ما الذى جاء بأجدادك إلى كندا؟»

قال مبتسماً: «سلوك سىء» وتابع: «إن والد جدى الذى ولد فى اسكتلنده أرسله والده لبعض المغامرات الطائشة. وباعتباره شاباً فقد كان مستكشفاً. ثم استقر هنا ليصبح فلاحاً وتاجراً. وأنصرف إبنه لتجارة الخمور. وكان يقول أن الويسكى والسعى وراء المغامرة هو ما خلق هذه المدينة.»

وانقبض حاجباه فى عبوس ضئيل، وقال: «لقد ورث والدى تجارة الخمور وكان يتمنى لو أننى سرت على دربه. ولحسن الحظ أن لى أخين غير شقيقين وهما لايشتركان معى فى إفتقارى لأهتمام ببيانات الميزانية وأساليب الإدارة. وهما يتوليان إدارة التجارة ويتركاننى بحريتى لأعمل بمهنتى.. هل رأيت متحف الأنثروبولوجى (علوم الأنسان) فى الـ UBC؟

كانت تعرف أن الحروف الثلاثة هى مايرمز به معظم الناس إلى جامعة كولومبيا البريطانية مثلما ترمز UVIC إلى جامعة فيكتوريا فى العاصمة الاقليمية على جزيرة فانكوفر والتى

يفصلها عن جورجيا رحلة بحرية بالمعدية عبر الخليج المليء بالجزر.

«لا. لم أفعل، ولكنه ضمن ما أنوى رؤيته»

وعرض عليها مرافقتها قائلاً: «أتمنى لو صحبتك. أظن أنك ستستمتعين به أكثر فى صحبة مرشد حسن الاطلاع»

«أنا متأكدة من ذلك.» وأشارت عليه بقولها: «دعنى أرد كرم ضيافتك بأن أدعوك للغداء فى نادى الكلية. إن لى عضوية متبادلة به من خلال نادى أنتمى له فى لندن.»

«حسناً. دعينا نضرب لذلك موعداً. ما رأيك فى الغد؟»

قالت: «أعرف أننى مشغولة تماماً فى الغد، ومفكرة مواعيدى فى حقيبتى الأخرى»

كل من هاتين الجملتين كانت كذبة بيضاء. ورغم أنها أحبت كل شىء يحيط به إلى حد كبير، ولكن إذا كانت لديه خطط لإنهاء السهرة بطريقة غير مقبولة بالنسبة لها فمن الممكن أن يكون هذا أول وآخر لقاء بينهما.

ربما أعطت الإعلانات فى الوست إندر إنطباعاً خاطئاً عن المناخ الأخلاقى فى فانكوفر. ولم تدر كيف يُقارن بالحرية المعتدلة والمفاهيم السلسة بين قرناء سنها فى أوربا. وهى نفسها لايدور بخلدها أن تقيم علاقة غرامية من أول لقاء رغم علمها بأن هذا لن يحول دون رجل يسلك طريقاً جاداً لذلك. وكثير منهم يشعرون بأن ذلك شىء متوقع منهم.

قال ببساطة: «يمكننا أن نحدده فيما بعد»

كانت ملاحظة توحى بأنه يتوقع مشاهده داخل جناحها قبل إنتهاء لقاء الليلة. ولكنه لم يعرف بأنها تقيم فى جناح. إن بالفندق مطعماً كبيراً وآخر لتقديم الوجبات الخفيفة، وليست

كل الغرف مزودة بوسائل الخدمة الذاتية. لقد طلبت مطبخاً لأنها تفضل طهى طعامها بنفسها، وهى تحتاج الجزء المخصص للمعيشة لتمارس فيه عملها.

قال: «أنت لم تكملى لى كيف عملت بمهنة التصميم. لقد شدتنا الحديث عن بيت دميتك إلى العمارة.»

إرتشفت اليكس خمرها قبل أن تقول: «عندما كنت فى العاشرة قُتل والداى فى حادثة. وقد ذهبت للمعيشة مع عمة لى وعائلتها. كانوا بالغى العطف علىَّ ولكننى عشت حياة ذات أسلوب مختلف. كان بيت دميتى «رد حابلس» هو صلتى الوحيدة بالماضى. كنت أمضى ساعات أصنع أشياءً لها: ستائر رقيقة ووسائد وهكذا. ثم سمح لى أحد أبناء عمتى، وكان شغوفاً بأعمال الخشب أن أستعير أدواته لأصنع بها قطع أثاث صغيرة من علب السجائر الفارغة. وعندما بلغت السادسة عشرة تقريباً كنت استطيع عمل أى شىء لتغيير الديكور الداخلى وكانت لاتزال لدى مئات الأفكار التى أردت تجربتها. فى الواقع لم يكن هناك شك حول المجال الذى توجد به مهنتى.. ماذا عنك؟ ما الذى جذبك إلى علم المحيطات؟»

قال: «هناك تشابه معين بين طفولتنا. لقد كنت أيضاً فى وضع لم يكن مريحاً لى. فمثلك كنت بحاجة إلى غمد أدس فيه نصالى. كان ذلك هو المتاحف. فى ذلك الوقت كنا نعيش فى أوربا وأحياناً فى نيويورك. وقد أتيحت لى الفرصة للتجول بين بعض من أرقى متاحف العالم فى مجال التاريخ الطبيعى والعلوم. وكانت هناك مؤثرات أخرى. لقد أقنعتنى الأجازات التى أمضيتها فى فانكوفر أننى لا أريد المعيشة فى مناخ بارد مثل مناخ غرب كندا. إن ملابسى المفضلة هى مجرد

(شورت) وليس معطفاً واقياً من المطر ومظلة. وهو ما يعد ضرورياً هنا معظم العام»

كانت قد إفترضت أنه أعزب. ورغم أنه سألها عن حالتها إلا أنها لم تسأله عن حالته حتى الآن إذ فعلت ذلك.

«هل يمكنك الذهاب إلى أى مكان يأخذك إليه عملك؟ أليس لديك من تعول لتضعهم فى إعتبارك؟»

«لا. ليس لى زوجات سابقات ولا أطفال. ولو كان لى فلن أشعر بوخز الضمير تجاه استئصال جذورهم. فأنا لا أعتقد أن هناك ضرراً من الطواف بالأطفال حول العالم. بل قد يكون ذلك شيئاً طيباً بالنسبة لهم. فهو يحول دون كونهم متعصبين ضيقى الأفق مثل بعض أهل فانكوفر الذين يعتقدون أن العالم يبدأ وينتهى فى كولومبيا البريطانية. إن ما يحتاجه الأطفال أكثر من الاستقرار الجغرافى هو الاستقرار العائلى. الأبوان اللذان يحبانها ويحب كل منهما الآخر. ألا توافقيننى؟»

أومأت اليكس وهى تتذكر أمن حياتها قبل الحادثة. وكيف أن كل أبناء عمتها، بما فيهم الإثنان المتبنيان، قد شبوا على دليل يتكرر يومياً أن أبوهم وأمهم هما زوجان مخلصان وأن حب كل منهما للآخر كان هو العامل الرئيسى فى حياتهم جميعاً.

ولكن لم تكن السعادة الزوجية موضوعاً ترغب فى الإسهاب فيه. غيرت مجرى الحديث بأن سألته: «هل يميل أهل فانكوفر لأن يكونوا منعزلين؟ يبدو عليهم أنهم متحفظون. فكل من قابلته منهم كان ودوداً واجتماعياً. وقد بدا ذلك مفاجئاً بعض الشىء بالنظر إلى أننى أجنبية تأتى وتأخذ بعض الخبز من أفواههم، وهذا ما حدث. لقد كنت أتوقع درجة معينة من

العداء.»

«معظم الناس يجدون من الصعب أن يكونوا عدوانيين تجاه إمرأه شابة جذابه.» كان ذلك هو تعقيبه الساخر. وتابع قائلاً: «اذا كانت ستتواجهك مشكلة هنا فأعتقد أنها ستكون دفع الناس عن طريقك. أم أن معظم الرجال الذين تقابلينهم فى مجال عملك ليس لهم إهتمام بالنساء؟»

«بعض المصممين وتجار العاديات ليسو كذلك، بعكس معظم المهندسين المعماريين والمقاولين فهم كذلك. أو كانوا كذلك قبل أن يصبحوا أزواجاً وأباء. أنا لم أضطر إلى صد أى عروض غير محببه للصداقةإذا كان هذا ماتقصدة» وأضافت: «حتى الآن لم يحدث ورمقته بنظرة مباشرة وهى تأمل أن يفهم الرسالة التى لم تود أن تضطر لها إطلاقاً».

مست إبتسامة عامضة طفيفة جانبى فه.

ورد قائلا: «أنا متأكد أنك تلقيت تدريبا وافيا ربما ليس فى فانكوفر ولكن فى مكان أخر، لقمع الاشخاص الذين يخرجون عن الخط. «ثم القى نظرة خاطفة على يدها اليسرى الخالية من الخاتم وقال: «أستطيع أن أرى أنك لست مخطوبة.... وأفتراضاً، فليس فى حياتك شخص خاص فى هذه اللحظة»

«لو كان هناك شخصاً ما فكان ينبغى ألا أتناول الغداء معك. إن لدى أفكاراً محافظة بصدد ذلك»

«هذا ما أعتقدت أنك قد تفكرين فيه. إن لدى تصور بأن لنا وجهات نظر مشتركة فى عدد من الموضوعات الهامة»

«حقيقى؟ كيف يمكنك أن تجزم بذلك بعد مثل هذه المعرفة القصيرة»

«لقد دُربتُ على ملاحظة التفاصيل. على سبيل المثال يمكننى القول بأنك لاتعيشين فقط على القهوة والأغذية المملحة المحفوظة. وذلك من حالة شعرك وبشرتك. أنت لست سهلة القيادة. ولست من الخبيرات بأمور الموضة. أنت لم تصففى شعرك حسب آخر موضة وملابسك ليست حسب آخر صيحة. أنا أقصد أن يكون ذلك إطراء. فأنا أفضل البساطة التقليدية عن نزوات مصممى الأزياء. إن معظم الرجال فى سنى يفعلون ذلك. وأنت فعلاً تبدين رائعة»

كان مكيف الهواء يجعل البار بارداً بعض الشىء. كانت تحتفظ بسترتها الكشمير ولكنها فتحت أزرارها. وكانت عيناه الداكنتان تنظران لها باستحسان وتقدير.

وعن وعى بلونها الذى التهب قالت: «شكراً لك. إن اسلوبى فى إرتداء ملابسى يمليه على عملى. إن أغلب زبائنى الخصوصيين أثرياء إلى حد كبير وتستطيع زوجاتهم شراء أحدث صيحات أشهر المصممين. أما أنا فلا أستطيع ولذلك فلابد أن استقر على قليل من الملابس الجيدة التى تظل ملائمة لعدة سنوات. إنه أسلوب الرجال الناجحين فى إرتداء واقتناء الملابس. فأنت ربما لم تمتلك هذه البدلة الرمادية الجميلة منذ وقت طويل جداً ولكننى متأكدة أنه سيظل بإمكانك إرتداءها على مدى خمسة وربما عشرة أعوام مقبلة.»

القى نظرة خاطفة على بدلته وقال: «أنا أنتظر منها أن تعوضنى لأكثر من ذلك. أنا لا أرتدى بدلة كثيراً. أغلب ملابسى من الجينز أو التشينو (الكاكى كملابس الجنود)... ماذا تفعلين فى أوقات فراغك فضلاً عن السير يا الكسندرا؟»

«أقرأ. وأمارس الرقص النقرى. أنا أذهب إلى استديو

للرقص فى لندن لاتلقى درساً أو إثنين فى الأسبوع تبعاً لدرجة إنشغالى بالعمل. الدروس الوحيدة التى وجدتها هنا كانت فى جمعية الشبان المسيحيين فى برارد.»

فى تلك الأثناء كان موقعها يشرف على الخليج الانجليزى ضمن دورة البار. كان كأسه قد فرغ وكاد كأسها يفرغ أيضاً.

سألها: «ستشربين كأساً آخر. اليس كذلك؟»

«شكراً لك» وراقبته وهو يتابع عين النادل ثم يستدعيه بتغير طفيف فى وجهه.

لقد قابلت العديد من الرجال فى مواقع القوة والنفوذ، وهى تعرف السلوك التلقائى الآمر لشخص إعتاد على الخدمة الفعالة السريعة. لقد ذكر لورير إفتقاره للأهتمام بالأعمال التجارية التى أنشأها جده. ولكن من الواضح أنه قد ورث بعضاً من صفات مؤسس ثروة العائلة. وبعملية إستنتاجية كانت متأكدة إلى حد كبير أن ذلك الجزء من فانكوفر الذى تعيش فيه جدته هو حى شونزى الراقى الصعب سكناه الذى يربطه خط أتوبيس بشارع جرانفيل فى وسط المدينة.

بعد جولتها للتعرف على المعالم الرئيسية بوسط المدينة الهام فقد قامت اليكس ببعض الاستكشاف للأحياء السكنية الراقية لتكوين ملاحظات عن طراز المنازل الذى يفضله علاة القوة بالمدينة.

بدأ أن كثيرين من حديثى الثراء يعيشون فى غرب فانكوفر. وكان الحراس القدامى يتركزون فى منطقة ذات شوارع هادئة تصطف الأشجار على جانبيها وكان محورها هو الشارع الملتوى.

واكتشفت أن فى ربيع عام ١٩٥٩ طرحت هيئة السكك

الحديدية الكندية للبيع أراض للبناء كانت قد تسلمت صكوك ملكيتها من مجلس مدينة فانكوفر الجديدة فى مقابل مد خط سير قطاراتها. وكانت تشترط ألا تقل القطعة المباعة عن نصف أكر (٢٠٠٠ قدم مربع) وذلك فى منطقة مرتفعات شونزى. وهنا بنى أوائل مليونيرات المدينة قصورهم المثيرة للأعجاب. كان معظمها مبيناً على الطراز الذى يعرف فى انجلترا باسم تيودور سمسار البورصة، وفى كندا يعرف بإسم بعث تيودور (نسبة إلى أسرة تيودور التى حكمت انجلترا من عام ١٤٨٥ إلى عام ١٦٠٣)

خامر اليكس شعور قوى بأن أحد هذه المنازل القديمة المتباينة هو منزل أجداد لورير. إذا كان إفتراضها صحيحاً فلابد أن ذلك يجعله أحد عزاب فانكوفر المرغوبين. وتعجبت من سبب بقائه أعزب.

وبإستثناء ملاحظته عن أنهما يتقاسمان نفس وجهات النظر فقد بدا زئر نساء متمكن. والشىء الأخطر أنه كان يخفى طبيعته المفترسة بأسلوب ودى غير منفر.

حادثت نفسها مذكرة.. فى الواقع أننى لا أعرف شيئاً عنه سوى أنه أكثر رجل جذاب بين من قابلت على الأطلاق.

ورغم ذلك فبمرور وقت السهرة أكتشفت أن بالإضافة لجاذبيته فهو يتمتع بتفكير وروح مداعبة. ومنذ زمن طويل قليلاً ما كانت تضحك مثلما ضحكت أثناء تناول العشاء.

فى البداية عندما إستدارت سيارة الأجرة التى أقلتهم لتهبط من أمام الشيراتون ظنت أنهما ذاهبان إلى أحد المطاعم فى دينمان، وهو شارع تجارى مجاور يجتاز ويست إند من الميناء الداخلى ــ الذى كانت تراه من نافذتها ــ ويمتد إلى الميناء

الخارجى المسمى الخليج الإنجليزى.

لقد كان فى الإتجاه الذى استدار إليه. ولكن لم يتوقفا على امتداد دينمان. وفوجئت بأن السيارة قد سارت حتى طريق الساحل حيث أنحرفت إلى طريق المنتزه. قال لورير: «هذا هو فندق سيلفيا القديم الذى تذكره جدتى كمكان أنيق لتناول الغداء فى الثلاثينيات» وأشار بيده إلى أحد المبانى الذى كانت واجهته مغطاه بأوراق حمراء كثيفة. كانت اليكس تعرفه باسم نبان فيرجينيا المتسلق. وتابع قائلاً: «لم يكن ليُعتبر قديماً فى أوربا أما هنا فهو من مبانى التراث. يشعر الأوربيون بعدم الراحة فى مكان لا يحمل بعضاً من سمات العمار قبل العصر الفيكتورى. فهل أنت كذلك؟»

«أنا لم أبلغ ذلك الحد. لكن ألا ترى أن المدن مثل البشر؟ فالأمر يستلزم بعض الوقت لتتعرف عليهم وأحياناً تتغير إنطباعات المرء الأولى من الجيد إلى السيىء أو العكس. فإن أسبوعين ليسا فى الواقع فترة طويلة إلى حد يكفى لتكوين رأى ثابت. وفى هذه اللحظة فإن كل شىء جديد وساحر بالنسبة لى»

كانا يجتازان حافة المتنزه داخلين من الناحية التى لم تستكشفها بعد. وافترضت أنهما يتجهان إلى جسر بوابة الأسد المعلق الشهير الذى يستقبل السيارات القادمة من جسر ناروز الأول. وأقصر الطرق إلى الجسر كانت تمر من قلب المتنزه ولكنهما يسيران الآن عبر ما عرفت من دراستها لخريطتها أنه طريق محيطى أكثر هدوءاً.

سمعت لورير يطلب إلى السائق أن يأخذهما إلى المطعم المسمى بيت الشاى. عندما أغرقت سيارة الأجرة من على

الطريق الرئيسى متجهة للمطعم تعجبت اليكس عما إذا كان مكاناً يابانياً وأن لورير من مدمنى أكلة السوشى اليابانية. دخلت السيارة إلى ساحة إنتظار تنحصر بين منطقة فسيحة مغطاة بالعشب وبين مبنى منخفض يشبه إلى حد ما مستنبتاً زجاجياً لرعاية النباتات.

نزلا من السيارة ووقفا يتأملان المشهد عبر المحيط وقد تلألأ على صفحته ضوء القمر ووميض الأضواء على الجانب البعيد من الخليج الأنجليزى. وأخبرها بقوله: «هذا المكان يسمى لسان فيرجسون»

ولدى دخولهما المطعم أحست اليكس بالراحة لأنه لم يكن مخصصاً لأكلة السوشى. إنها تهوى مراقبة البراعة الفنية لأى من خبراء طهى السوشى وهو يقطع الشرائح الرقيقة للسمك النىء ويصفها على فطائر الأرز الصغيرة الملفوفة بأشرطة الأعشاب البحرية. كانت تعتقد أن مشاهده السوشى أفضل من أكله.

قادهما النادل ليجلسا إلى مائدة على الجانب المواجه للبحر من المطعم. وقال لها لورير: «لقد فكرت عند لقائنا فى المتنزه أن هذا قد يكون مكاناً ملائماً لتناول العشاء... عندما كنت فى أوائل العشرينيات لم تكن هناك فرص خيار واسعة بين المطاعم. أما الآن فإن فانكوفر تضم كل أنواع أماكن الطعام من المكسيكى حتى اللبنانى. وفى هذا المطعم فإنهم يؤكدون على أطعمة البحر والأطباق الفرنسية التى تبدو مغامرة مضمونة بالمقارنة بالطعام الصينى الذى أحبه ولكن ربما لا تحبينه.»

«أنا أحبه عندما أصادفه. وفى فانكوفر فأظن أن لديكم كل التشكيلات الأقليمية مثل الهاكا والزيتشوان وغيرها»

أومأ برأسه سألها: «هل ذهبت إلى المدينة الصينية؟»

«نعم ولقد وجدت المحال ساحرة. كان هناك قليل من الخضروات التى لم أعرفها. ويا لها من أشياء مذهلة تلك التى تنتجها محال اللحوم من البط والدجاج»

مع الرجال الآخرين الذين التقت بهم فى أوائل العشرينيات من عمرها، وحتى مع بيتر، صديقها الذى مكث معها أطول فترة، كانت هناك أوقات ينضب فيها الكلام. أو كانت تجد نفسها قد ملت سراً من موضوع يشد اهتمامهم دون أن يشد إهتمامها.

مع لورير مضت السهرة كلمح البصر. كانت لهما الكثير من الاهتمامات المشتركة. وقد كان شغوفاً بعملها وكانت هى شغوفة بعمله.

كان الوقت منتصف الليل تقريباً عندما عادت بهما سيارة أجرة إلى الفندق الذى تقيم به.

طلب لورير من السائق أن ينتظره ثم نزل من السيارة ومد يده يساعد اليكس على صعود الرصيف.

قال لها: «سأبقى معك إلى أن يأتى المصعد»

وبينما كانا يجتازان الردهة قالت له بدفء: «لقد متعت نفسى يا لورير. شكراً لك»

أجابها: «يجب أن نكرر ذلك.. عاجلاً»

ضغط زر إستدعاء المصعد ومد يده إليها. وظل ممسكاً بيدها فى قبضته القوية حتى أنزلقت الأبواب جانباً.

«شكراً لك مرة أخرى. طابت ليلتك»

حاولت أن تسحب أصابعها ولكنه لم يدعها. وسألها: «هل ستقومين بالمشى فى موعدك المعتاد غداً أم ستتأخرين؟»

«فى الموعد المعتاد... إلا إذا تغير الطقس»

«إذن فسأراك على الكورنيش. طابت ليلتك يا اليكسندرا»

ظل يرقبها حتى أغلق المصعد وارتفع بها.

عندما فتحت اليكسندرا باب جناحها بعد لحظات قلائل أحست بوحدة قاتلة لم تستشعرها من قبل وبدت كأنها لا تستطيع الإستغناء عن أنس الوجود مع ذلك الرجل.

ربما كان الموت المفاجىء لوالديها فى سن لا يزيد كثيراً عن سنها الحالى قد جعلها على وعى بفنائها أكثر مما يحسه معظم الناس فى عشرينيات عمرهم. لقد شبت على وعى بأنه لا يجب الاستخفاف بفترة طويلة من الحياة، وحتى لو كانت الحياة طويلة فبالنسبة لإمرأة غير متزوجة فإن قدرتها على إجتذاب المحبين تتناقص بمرور الأعوام.

إذن ما دامت لديها تلك القدرة فلماذا ترفض فرصة إستخدامها ــ فى أرق طريق ممكن ــ وتصنع ذكرى تدفئها فى السنوات القادمة عندما يتقدم بها السن.

كانت تحلل سلوكها بينما تعلق ملابسها. وأفترضت أن الدافع الأساسى ليس له علاقة بالأخلاق ولو كانت أمينة مع نفسها لأقتربت منه أكثر. كان مامنعها من ذلك هو خوفها من أنها لو أظهرت ميلها له بهذه السرعة فلابد أن ذلك سينقص من قدرها عنده. بالضبط مثلما كانت ستخيب أمالها فيه لو أنه تسرع جداً فى ذلك.

وعلى الرغم من ذلك فطوال السهرة، وتحت ستار تبادل المعلومات الشخصية ومناقشة الموضوعات ذات الاهتمام المشترك، كان هناك تياراً تحتياً من التجاذب القوى يسرى بينهما.

حاولت أن تتخيل صورته بعد أن عاد لمنزله. وكيف يتجول فى حجرته الآن بجسده الطويل الرشيق. وجدت اليكس أنه من

الصعب أن تصرف أفكارها عنه.

فى الثانية صباحاً.. وقد أيقنت من عدم قدرتها على النوم.. وقفت فى شرفة جناحها ترشف كوباً من اللبن راجية أن يجدى كمنوم. أخذت تحدق فى منظر فانكوفر الخلاب ليلاً.

وحتى فى هذه الساعة فقد كانت فانكوفر الشمالية تبدو كوميض من الضوء البراق اللامع على الجانب البعيد من الغلالة الحريرية السوداء التى تكسو الميناء. وبالقرب من الشاطىء الجنوبى كانت المياه مزينة بالأعلام الخفاقة ذات الألوان الزاهية وقد أنعكست الأضواء على محطات الوقود العائمة حيث يتم تموين زوارق السحب والزوارق ذات المحركات المعدة للرحلات. بدت المحطات ذات جمال ساحر فى ضوء الليل، وقد تم إعدادها للعمل اليومى. وكانت أبعدهم محطة «شل» التى صنعت شريطاً من الضوء الذهبى والقرنفلى والبرونزى. أما محطتى «شيفرون» و«جلفا» فقد دمجتا اللونين البنفسجى والأرجوانى الفاتح وأصدرت «إسو» إنعكاساً محمر أرجوانياً تحيطه حواف زرقاوية بلون السماء. وخلف كل ذلك كان هناك وميضاً أحمر لإحدى عوامات إرشاد السفن.

ورغم الأضواء القليلة التى كانت تبدو من أبراج الشقق إلا أن كل أسقفها كانت مضاءة بدرجة زاهية فى الكثير من المبانى الحكومية. مئات من لمبات الفلورسنت تُركت مضاءة بينما كانت المكاتب مهجورة وقد بدا ذلك مضيعة عظيمة للطاقة حتى خطر لها أن هنا فى كندا فإن تلك الأنهار العظيمة التى تجرى بإتجاه البحر كانت هى المصدر الرئيسى للطاقة.

أثناء الليل إنخفضت درجة الحرارة. وبعد وقت قصير من وقفتها بالخارج بدأت تشعر بالبرودة فعادت إلى حجرة المعيشة.

لم تكن هناك فائدة من الذهاب للفراش إلى أن إستقرت على ما ستفعله مع لوريز.

الآن تلاشى مزاج الإحساس بالنشاط والخفة الذى أحدثته الخمر. وعرفت أنه من الجنون أن تستمر فى رؤيته. وحتى عند هذه المرحلة تنبأت بخطر حقيقى لو أنها فقدت قلبها معه. وبالنسبة لها فلن تكون نتيجة الحب هى السعادة. بل الغم.

هل كانت إحدى قصائد الخريف الرومانسية تعادل الثورة العاطفية؟

قال قلبها نعم ولكن عقلها اتخذ الوجهة السالبة. هل كان قلبها يتوق فعلاً إلى نهاية لليالى الوحدة طيلة السنوات الثلاث الماضية؟ أم أنه مجرد تأثير غريزة بدائية تحاول أن تجعلها تتوافق مع النموذج الذى إتبعته أجيال أسلافها من النساء.

فى الصباح التالى، وبدلاً من إستخدام الطريق السفلى، إتخذت الطريق الذى يدور حول تلك البحيرة المسماه البحيرة المفقودة. لقد سألت لوريز عن سبب تسميتها بذلك الإسم. وقد قال أن الإسم جاء من أشعار عن البحيرة كتبتها الشاعرة الكندية بولين جونسون التى دفنت فى متنزه ستانلى.

أثناء سيرها كانت تتساءل عما إذا ما كان سيستنتج أن غيابها من طريقها المعتاد كان لأنها إستغرقت فى النوم إلى ما بعد موعد استيقاظها المعتاد. وتساءلت.. متى سيتصل بها.. وكم سيكون صعباً أن تصرفه بفظاظة.

إن هذا هو التصرف الوحيد المعقول. لقد تصرفت بحماقة شديدة عندما قبلت دعوته الأولى. واستمرارها فى مرافقته سيكون ضرباً من الجنون. ولن يكون شيئاً مناسباً بالنسبة له أيضاً.

فى طريق عودتها وضعت ربع دولار فى إحد ماكينات بيع الجرائد، التى كانت مشهداً مألوفاً فى شوارع فانكوفر، وأخذت جريدة «جلوب آندميل» التى تعد الجريدة القومية فى كندا.

لاحظت من قراءتها لهذه الجريدة على مدى اسبوعين أثناء الإفطار أن معظم الأنباء كانت من كورنتو حيث تُنشر الجريدة. وحتى العاصمة أوتاوا بدا أنها تحتل المكانة الثانية وكذلك فانكوفر، رغم تعداد سكانها الذى يزيد بمليون نسمة، كان لها نصيباً أقل من أعمده الجلوب.

وقد فسر لها لورير هذا الإختلال فى التوازن بأنه يرجع لتركيز السكان فى كندا على امتداد الحدود الجنوبية تاركين معظم الأراضى الشمالية كبرارى خالية. ومن الناحية الجغرافية فإن فانكوفر أقرب إلى مدن الساحل الأمريكى المطل على المحيط الباسفيكى أكثر من قربها من تورنتو ومونتريال. ولذلك يكاد ألا يكون مفاجئاً أن ينظر لها فى تورنتو على أنها مكاناً غير هام فى أقصى الغرب.

وعلق قائلاً: «وهذا ــ كما تتخيلين ــ يحدث الكثير من الإستياء بين أهل فانكوفر» وكان الحديث قد تطرق إلى هذا الموضوع أثناء تناولها العشاء فى الليلة الماضية.

فرمت اليكس بعضاً من ثمار العنب الطازجة وأضافت بعضاً من الفول السودانى وثمار العنبيات الزرقاء وقليلاً من الزبادى. وحاولت ألا تتذكر كيف استمتعت بالحديث عن كندا مع شخص استطاع أن يجيب على اسئلتها عن درايه بعيداً عن تلك الآراء الضيقة المسبقة لرجل لم ينتقل من مكانه.

كانت قد أنهت إفطارها وأخذت طريقها إلى الحمام عندما رن التليفون. داخلها إحساس مؤكد أنه لن يكون سوى لورير.

واستجمعت قواها فى سبيل تلك الضرورة الصعبة لإدعاء البرود بشأن تغير سلوكها تجاهه عندما إفترقا فى الردهه الليلة الماضية.

ولكن عندما رفعت السماعة وأعطت رقم جناحها دوى صوت قائلاً: «جون كازينوبوليس. كيف حالك يا اليكس؟ كيف تسير الأمور؟»

«أوه.. صباح الخير ياسيد كازينوبوليس. العمل يسير على ما يرام. أنا أسبق البرنامج الذى وضعته بنفسى»

«رائع. لامشاكل على الإطلاق؟»

ليس فى حياتى العملية.. ذلك ما دار بخلدها، ولكنها صاحت: «لا. كل شىء يسير فى سلاسة تامة. لقد أتممت عمل الأساسيات. والآن أعالج التفاصيل.» نطقت بالكلمة الأخيرة بأسلوب الأمريكيين الشماليين بتشديد المقطع الثانى.

«لابد أنك تعملين بجدية. أنت هناك منذ أسبوعين فقط.»

«ليس من الصعب أن تعمل بجدية عندما تحب عملك كثيراً مثلى. إن عملى هو أجازة بالنسبة لى.»

وعلق قائلاً: «وعملى أيضاً كذلك» ثم تابع قائلاً: «ولكن العمل يمكن أن يصبح إدماناً. لاتكونى مدمنة عمل يا اليكس. ماذا ستفعلين هذا المساء؟ هل لديك موعداً؟»

«لا. أنا أعتزم العمل الليلة»

«تناولى عشاء عمل معى. سأرسل لك سيارة فى السابعة»

سألته فى دهشة: «هل أنت فى فانكوفر؟»

«لا. أنا أحادثك من تورنتو. لكننى سأكون فى فانكوفر فى وقت متأخر من بعد ظهر اليوم.»

الفصل الثانى

(غبى رغم أنفى)

سألته اليكس : « هل لك أن تلقى نظرة على النماذج وتصدق على ما فعلته حتى الآن ؟ » وتابعت : « إنها بالفندق حيث أقيم . لقد وجدت من الأسهل أن أعمل هنا بدلاً من العمل بالمكتب الذى وضعه المهندسون المعماريون تحت تصرفى . »

« الم يعجبك المكتب ؟ اطلبى منهم مكتباً غيره . »

« لا . لا . ليس كذلك . إنه مكتب جميل جداً . أنا فقط أفضل العمل بالمنزل أو حيث تصادف أن أقيم . إنه يجعل من السهل تناول غداء خفيف أو العمل حتى ساعة متأخرة »

« هذه علامة مؤكدة على إدمان العمل . إن إمرأة شابة فى سنك يجب ألا تتعود العمل حتى وقت متأخر »

« أنا لا أفعل . لقد خرجت لتناول العشاء ليلة أمس »

« أنا سعيد بسماع ذلك . مهما كان استمتاعك بما تفعلين فن المهم المحافظة على نوع من التوازن . لقد إكتشفت ذلك عندما توفيت زوجتى . عندئذ أدركت أننى كنت أفتقد الكثير

من المتع التى كان ينبغى أن نتقاسمها .. سأكون لديك لأرى النماذج فى تمام السابعة . إلى اللقاء . » ووضع جون كازينوبوليس سماعة التليفون .

كانت تعلم أنه أرمل . عندما التقيا لأول مرة فى الحفلة أورد بعض الذكر لزوجته . وعندما مسحت المكان وقتها بنظرة خاطفة وسألته : « أين زوجتك ؟ » عندئذ بدت على وجهه نظرة حزينة وأجابها :

« لقد توفيت مارى منذ ثمانية شهور »

تكون إنطباع لدى اليكس من أسلوبه فى عد الشهور منذ رحيلها ، بدلاً من قوله : « العام الماضى » أو « الخريف الماضى » ، بأن مارى كازينوبوليس كانت تعنى بالنسبة له أكثر مما يحدث أحياناً عندما يصل الزوجان إلى منتصف العمر .

لقد قدرت أنه فى أوائل الخمسينات . كان شعره رمادياً ولكنه لا يزال كثيفاً . ورغم أنه كان يحمل حول خصره برهاناً على المعيشة الرغدة إلا أنه كان رجلاً نشيطاً مما يجعله جذاباً للنساء المقاربين لسنه . وفوجئت عندما علمت بأنه ليس لديه أطفال ولا أبناء ولا بنات يورثهم إمبراطوريته من الفنادق والمطاعم .

خمنت أنه ربما يقيم فى جناح بفندق فانكوفر المهيب . أو ربما بفندق الفصول الأربعة الأحدث . ولذلك تساءلت .. هل سيكون تغييراً لطيفاً بالنسبة له أن يتناول عشاءً مطهواً فى المنزل . إن تناول الطعام فى مطاعم الفنادق الفاخرة يعد متعة للذين يفعلونه نادراً . ولكن كأى شىء آخر فى الحياة لابد أن يفقد حده بهاءه إذا فعله الإنسان فى كل الأوقات . وتساءلت .. كم مضى من الوقت على آخر مرة التهم فيها الذرة

المشوى. لم يكن من نوع الأشياء التى يقدمونها فى المطاعم الأنيقة لما يتسم به من الفوضى.

قررت أن تغامر بناء على حكمها على شخصيته إستخرجت رقم تليفون فندق الفصول الأربعة وسألت عما إذا كانوا يتوقعون وصول السيد جون كازينوبوليس قرب نهاية اليوم. وعندما جاءها الرد بأنهم يتوقعون ذلك طلبت إبلاغه برسالة بمجرد وصوله.

قالت للفتاة التى تلقت الرسالة: «هل لك أن تبلغيه بأن الآنسة كليفورد تود أن يكون ضيفها على العشاء الليلة. وهل له أن يرتدى ملابس غير رسمية إذا كان قد أحضر معه بعضاً منها.

خلال الصباح خرجت لترسل خطاباً لعمتها ولتتسوق إستعداداً للوجبة هذا المساء. وعندما عادت إلى جناحها وجدت أنهم قد تسلموا لها بعض زهور بخور مريم البيضاء الجميلة.

كانت هناك بطاقة بين الأوراق. وقرأت: «أظن أنك إستغرقت فى النوم رغم كل شىء. سأحادثك فيما بعد. ل.»

حدقت اليكس فى الزهور الرقيقة وهى ترفرف على سيقانها الطويلة، كأنها سحابة من الفراشات البيضاء، فوق الأوراق القلبية الشكل ذات العلامات الخضراء الرمادية. هل كانت مصادفة أن إختار بخور مريم الأبيض أم أنه يشاركها تفضيلها للزهور البيضاء... مثل الليلك وزهور اللبن الثلجية وزنابق الوادى والورود البيضاء والنرجس؟

عندما كانت طفلة صغيرة فقد عودت أن تكتب كلمات شكر موجزة لأعياد الميلاد والحفلات الأخرى. كانت ترى والدتها وهى تكتب لتشكر أصدقائها على حفلات العشاء.

وحيث أنها حافظت على العادة التى غرست فى ذهنها فى الطفولة فلو كانت تعرف عنوان لورير لكتبت له كلمة شكر عقب الإفطار مباشرة.

لقد أصبح واجباً عليها بعد وصول نبات المزاهر أن تكتب له أو تحادثه تليفونياً بدلاً من إنتظار مكالمته. إذا إقترح موعداً آخر للقائها فستدعى أنها مشغولة بشدة. وإذا لزم الأمر فيمكنها القول بأن مديرها كان بالمدينة ولم تعجبه تصميماتها مما يتطلب أن تُراجع بأكملها، وهذا يستلزم الكثير من العمل بعد الوقت المعتاد.

وللمرة الثانية هذا الصباح فتحت دليل التليفونات. كان هناك ١٣٨ تايت فى الدفتر. وجدت أن عناوين الكثير منهم تقع فى منطقة شونزى. ومع أول رقم جربته رن الجرس لبعض الوقت. كانت على وشك أن تضع السماعة عندما توقف الرنين. وجاءت صوت نسائى يقول لاهثاً إلى حد ما:

«ألو؟»

قالت اليكس: «صباح الخير. لست متأكدة إذا كنت قد طلبت الرقم الصحيح. هل هذا منزل السيد لورير تايت؟»

«إنه هو. هل هذه الآنسة كليفورد؟»

أجفلت اليكس وقالت: «نعم. ولكن كيف خمنت ذلك؟»

«من لهجتك الأنجليزية. لقد ذكرك لورير لى أثناء الإفطار هذا الصباح يا آنسة كليفورد. أنا جدته.. باربار أتايت. أخشى ألا يكون موجودا الآن. هل لى أن أطلب إليه الإتصال بك بمجرد عودته؟ أنا أتوقع حضوره على الغداء»

«لا. شكراً لك. هذا ليس ضرورياً. إن لدى برنامج

مزدحم بلقاءات العمل اليوم وأنا مشغولة هذا المساء أيضاً. لقد أردت فقط أن أعرف عنوانه لكى أكتب له كلمة شكر على عشاء الأمس ياسيدة تايت»

«يالها من أخلاق أصيلة جميلة ياآنسة كليفورد. لايوجد كثيرين من بنى جيلك ممن يتكلفون عناء ذلك. لكن حفيدى يقول إنك إمرأة شابه غير عادية. أتمنى أن نتقابل قبل أن تنهى مهمتك فى فانكوفر»

وجدت اليكس نفسها تقول: «شكراً لك. أنا أتمنى ذلك أيضاً.» ولكى تتجنب الإنزلاق فى حديثا أطول أضافت: «إلى اللقاء ياسيدة تايت» وأعادت السماعة إلى مكانها.

بعد السابعة بدقيقتين أعلنت موظفة الأستقبال عن وجود السيد كازينوبوليس فى الردهة.

قالت اليكس: «هل لك أن تطلبى منه الصعود من فضلك»

أخذت مفتاحها معها وصارت عبر الممر لتلقاه عند خروجه من المصعد. كانت ترتدى سروالاً من القطن أبيض اللون مبطن بقماش قطنى رقيق (باتيسته) لتجعله ينسدل على نحو جيد. بالإضافة لذلك كان هناك قيص قطنى أبيض وحزام جلدى ذهبى وقد وضعت قدميها العاريتين الصغيرتين فى خفين ذوى لون ذهبى.

عندما إنزلق باب المصعد جانباً ورآها تنتظره إرتسمت ابتسامة واسعة على وجه جون كازينو بوليس العريض. ورغم أنه يستطيع أن يكون قاسياً حينما يريد ففى كل مرة يلقاها كان سلوكه مبهجاً وهادئاً بصرف النظر عن نظرة الحزن القصيره عندما يتذكر زوجته.

أخذ يدها بين يديه وسألها: «كيف حالك يا اليكس؟ كيف تجدين كندا؟»

أنا بخير. شكراً. وفانكوفر رائعة. إنتظر حتى ترى منظرها الخرافى الذى أطل عليه.» وبينما كانت تقوده إلى جناحها سألته: «كم ستبقى هنا؟»

«لدى مقابلات بعد ظهر الغد فى سان فرانسيسكو»

فتحت الباب وتنحت جانباً: «أدخل من فضلك»

لاحظت أن قد أطاع ماطلبته فى رسالتها. بدلاً من البدله كان يرتدى الليلة ستره فضفاضة ذات لون فاتح فوق قميص مفتوح العنق.

لم يكن منظر المدينة من النافذة هو مالفت نظره عندما دخل إلى منطقة المعيشة ولكنها كانت نماذج أجنحة المبانى الملحقة. كان إثنان منها على المائدة الطويلة المنخفضة أمام الاريكة بينما كان أخرون على رف مثبت بالحائط.

وعندما بدأ يتفحصهم قالت: «ماذا تود أن تشرب ياسيد كازينو بوليس؟ فقط لدى خيارات محدودة.... جن أو نبيذ أو بيرة»

«سأخذ بيرة من فضلك» ودون أن يرفع عينه عن النموذج الأول لفت نظرها قائلاً: «لاداعى لأن تكونى رسمية. نادينى بجون»

عندما أحضرت له البيرة كان ينظر إلى النموذج الثانى.

«لابد أنك كنت تعملين بجدية شديدة أثناء وجودك هنا. لم أتوقع أن أجد كل هذا التقدم»

«لم أكن لأستطيع عمله دون تعاون مهندسيك المعمارين. لقد كانوا متعاونين لدرجة مذهلة بالنظر إلى أنى غريبة. كان

سيبدو طبيعياً بالنسبة لهم أن يستاءوا من ذلك قليلا. هناك عدد وفير من المصممين فى فانكوفر كانوا سيثبون على مثل تلك المهمة.»

«إنهم موجودون. ولولا أنه تصادف أن قابلتك فى لندن فمن المحتمل أن مصمماً محلياً كان سيُمنح المهمة. وكقاعدة عامة.. أنا أفضل إستخدام الناس من مكان العمل. ولكنه كما تعرفين من المذكرة الخاصة بك فقد قُصد إعداد هذه الأجنحة لسكنى نخبة من الزبائن العالميين الذين سافروا فى جميع أرجاء العالم ويتمتعون بأرقى ذوق. لم أقتنع بأن بين المصممين فى المدينة من يتوافر له الذوق المبكر الرقيق لينتج خلفية ملائمة لأناس فى ذلك المستوى. وبعد رؤية عملك أحسست أن لديك تلك المقدرة. وهذا الإنتاج يثبت أننى كنت على حق»

قالت: «لقد قطعت بالكاد نصف الطريق. تم عمل التصميم الأساسى وتخطيطات الألوان ولكن لم يتم عمل التفاصيل الهامة.» وأضافت: «أنا محظوظة لأن أحد تجار التحف فى لندن، هو ممن يزودوننى بالكثير من قطع الزخارف، أعطانى خطاباً يقدمنى فيه إلى تاجر هنا يتعامل فى نفس النوع من الأشياء أو يعرف أين يمكن الحصول عليها»

وبينما كان يشرب البيرة سألها عدة أسئلة وقدمت له الأجابات وهى تشرح سمات التصميمات التى لم تظهر بعد فى النماذج.

سألها: «لمن أوكلت صنع هذه النماذج؟»

«لقد قمت بذلك بنفسى. إنه ليس صعباً عندما تعرف الطريقة»

«هل تقصدين أنك قمت بالتنفيذ الفعلى للرسومات؟»

وطرق ببراجه (المفاصل ما بين سلاميات الأصابع) طرقاً خفيفاً على الحوائط الخارجية للنماذج.

أومأت برأسها وقالت: «ولم لا؟ إن إستخدام منشار رفعك ليس إمتيازاً مقصوراً على بنى جنسك. إذا كانت إمرأة تستطيع أن تفصل وتخيط ثوباً فإنها تستطيع أن تشيد بيتاً للدُمى. وهو أساساً يشبه هذه النماذج تماماً فيما عدا أنها يُنظر لها من أعلى وليس من جانب واحد.. هل لك أن تأتى للمائدة؟ أظن أن العشاء على وشك أن يكون جاهزاً.»

بعد خمس دقائق كان يمسح الزبد المصهور من على ذقنه بإستخدام أحد منديلى المائدة اللذين إشترتهما خصيصاً لهذه المناسبة. وقال مبتسماً: «لقد كنت أحب الذرة وأنا طفل ولكننى لم أتناوله منذ أعوام»

«إنه رخيص جداً الآن. أنا أتناوله يومياً تقريباً. وأنا فى الواقع أعيش على السالمون الذى يعد صفقة رابحة هنا بالمقارنة بسعره فى إنجلترا. لقد وجدت الفاكهة ممتازة مثل خوخ ميلوكى الضخم بحجم التفاح والعنبيات الضخمة النضرة. الشىء الوحيد الذى لم أستطع مجاراته هو الخبز المحسن. فإن محال السوبرماركت تعج بخبز مصنع كريه الملمس وذلك بدلاً من أرغفة الخبازين الحقيقية ذات القشرة القابلة للمضغ.

علق قائلاً: «أنت تبدين على إتصال دائم بالخبز» ووجه لمحة سريعة لأصابعها وتابع: «أتمنى لو أستطيع إنقاص وزنى. ربما ينبغى أن أمارس الجرى»

«لن أضطر لذلك لو كنت مكانك. إنه يؤذى مفاصل الناس. والسير أفضل خاصة لأى فرد ليس معتاداً على التمرين المنتظم». وومضت عيناها وهى تشير عليه بقوله: «ربما يجب

أن تمضى وقتاً أقل فى سيارات الليموزين، ووقتاً أكثر على ساقيك» ثم اضافت: «هل جئت إلى هنا سيراً أم بالسيارة؟»

إعترف قائلاً: «جئت بالسيارة» وتابع: «أظن أنك على حق. يجب أن أتجول على قدمىّ أكثر. لقد إنغمست فى عادات سيئة»

سألته: «هل مارست الرياضة أثناء شبابك؟» وسرعان ما ندمت على أنها لم تضع السؤال بلباقة أكثر. فرغم أن يكبرها بدرجة تكفى لأن يكون والدها لكن ربما لا يحب أن يُذكر بأنه أقرب إلى الشيخوخة منه إلى الشباب. إن السن يُعد موضوعاً حساساً لبعض الرجال والنساء فى خمسينيات عمرهم.

ولكن لم يبد جون أى علامة على إستياءه من الأسلوب الذى صاغت به السؤال.

أجابها: «لا. لقد كنت مشغولاً جداً أناضل فى سبيل النجاح وأدرس بمدرسة ليلية لدرجة أنه لم يكن لدى وقت لكرة القدم أو البايسبول أو أى رياضات أخرى» ثم تابع قائلاً: «لقد كان والداى مهاجرين يونانيين. لقد ولدت على الجانب الشرقى الوضيع من نيويورك. وكنت مصمماً على الإنتقال للجانب الشرقى الراقى حيث يعيش الأغنياء.»

لم أدرك أنك غير أمريكى. لقد ظننت أن تورنتو هى موطنك الأصلى»

«كانت زوجتى من تورنتو. لقد ورثت فى آخر الأمر منزل والديها وانتقلنا للمعيشة هناك. وأنا الآن أضرب بحياتى حيثما أشاء وأكثر من الذهاب إلى تورنتو. إنها مدينة حديثة ضخمة ولكنها أنظف ونسبة الجريمة بها أقل من مثيلاتها. دائماً كان

لدى مارى توق شديد للعودة إلى هناك، وكنت أريدها أن تكون سعيدة فى أوقات غيابى. عندما يكون لديك طموح جامح فمن الصعب أن تعرفى متى تخففين خطاك. لقد استمررت فى العمل بجدية أكثر مما كان يلزم وصنعت نقوداً لم نحتاجها ولم يمكنها شراء الصحة لزوجتى عندما سقطت مريضة. وعلى مدى شهورها القليلة الأخيرة كنا متلازمين دائماً. لقد أدركت مدى ما فقدته لأننى كنت أسيراً للنجاح المادى. ولفترة بعد وفاتها عدت للعمل إثنى عشر وخمسة عشر ساعة يومياً. ثم أجبرت نفسى على الإبطاء والاستمتاع بالأشياء التى علمتنى مارى أن استمتع بها معها.»

سألت اليكس: «أى نوع من الأشياء؟»

«سماع الموسيقى.. مشاهدة اللوحات الفنية.. الاستمتاع بالطبيعة. ولكن لا يكون لهذه الأشياء نفس السحر إذا فعلتيها بمفردك. هل سبق لك الزواج يا اليكس؟»

هزت رأسها وقالت: «كنت على حب مع شخص ما ولكن علاقتنا إنتهت. لقد سافرت إلى فلوريد لأصمم منزلاً شتائياً لعائلة إنجليزية، وعندما عدت وجدت صديقى مرتبطاً بفتاة أخرى. ربما كان من المبالغ فيه أن أتوقع إنتظاره لى.» ثم أضافت فى حيوية: «لا يمكننى الإدعاء بأنه قد سحق فؤادى.. لقد كانت لنا خلافاتنا لبعض الوقت. أعتقد أننى إنطوائية بطبيعتى»

وعندما نهضت لترفع الصنف الأول من الطعام سألها: «من أخذك للعشاء ليلة أمس؟»

«عالم يشتغل بعلوم المحيطات»

«من جامعة كولومبيا البريطانية؟»

«لا . إنه يعمل فى هاواى . »

سألها : «هل هو الذى أرسل لك الورود ؟» كان ينظر إلى زهور بخور مريم التى وضعتها على الطرف البعيد من مائدة الطعام .

«نعم . . اليس نباتاً جميلاً ؟»

راقبها وهى تُخرج كسرولة من الفرن وقال : «أتخيل أنه قصد به إبلاغك بأنه يراك جميلة »

«أرى أن أكثر مايفعله هو إبراز الصفة الشخصية للجناح وهو مايفعله فعلاً . لقد تعودت عندما أذهب لمكان ما لعدة أسابيع أن أشترى بعض نباتات المزاهر بنفسى لأكسب المكان الذى أقيم به مناخاً منزلياً . لست أدرى لماذا لم أفعل ذلك هذه المرة . ربما لأن حمل النباتات ثقيل وليست لدى سيارة . لقد وجدت أن إقامتى فى وست إند لاتتطلب سيارة . إن خدمة الباصات جيدة فى فانكوفر . أظن أنه قد مرت أعوام على آخر مرة سافرت فيها بالمواصلات العامة ؟ »

قال مقطباً وجهه كأنما يحاول التذكر : «نعم . بعض الوقت . ولكن لم أنس مايكون عليه قطار الانفاق فى نيويورك فى ساعة الذروة » ثم أضاف : «إن استمرار تجربة كهذه هى تصورى للجحيم »

«أنا أوافقك . إن ساعة الذروة فى قطار الانفاق فى لندن مرعبة بنفس الدرجة . هل تعرف أن أتوبيسات الساعات المتأخرة من الليل هنا تُسمى خدمة اليوم ؟ لقد أعجبنى وجودها . » وابتسمت ابتسامة وضاءة وتابعت : «فى يوم قريب رأيت السائقين يتوقفون ليدعوا سنجاباً أسود يعبر شارع روبسون »

«آمل ألا تستخدمى الأتوبيسات المتأخرة . هذه مدينة

كبيرة وميناء مما يعنى أن لها نصيبها من المكروهات . إذا تأخرت بالخارج بمفردك فيجب أن تركبى سيارة أجرة دائماً »

«أوه . سأفعل . أنا على وعى بالمخاطر . وهناك أماكن من المدينة تكون مشبوهة حتى أثناء النهار»

تذوق جون بعضاً من اللحم البقرى المطهى بالكسر وله كذلك والكلاوى التى قدمتها مع البطاطس المعدة بالفرن ومعها القرنبيط . وقال مستحسناً : «أنت طاهية ماهرة» ثم تابع قائلاً : «أين تضعين الزواج والأطفال على خريطة حياتك يا اليكس ؟ »

فكرت فى إجابة مراوغة ولكن شيئاً ما دفعها لأن تقول بصراحة : «إنهما غير موجودين . أنا لن أتزوج . أنا لا أصدق أنه من الممكن أن أجمع بين مهنة كمهنتى وبين الزواج . ربما يحدث ذلك يوماً ما ولكن ليس الآن . اعتقد أنه من الخطأ توقع إمتلاك كل تقدمة الحياة . يجب على المرء أن يختار مايرغب فيه بدرجة أكبر . بالنسبة لى فن المهم جداً أن أكون حرة لأركز على عملى بعيداً عن ذلك النوع من المعوقات والملهيات التى يجب على النساء المتزوجات التوافق معها . »

علق قائلاً : «شىء واحد لا يجدن أنفسهن مضطرين للتغلب عليه وهو الوحدة » . وتابع قائلاً : «لم أعرف مايعنيه أن تكون وحيداً حتى ماتت زوجتى . أنا أعرف ذلك الآن . »

وافقته فى تعاطف قائلة : «نعم . إذا عشت مع شخص لفترة طويلة فلابد أن يترك فجوة رهيبة » وأضافت : «ولكنى لم أتعرض إطلاقاً لتلك التجربة . وبصرف النظر عن العامين اللذين قضيتهما مع بيتر فأنا أعيش باستقلالية على مدى عشرة أعوام تقريباً . لقد تعودت على ذلك . وأنا أحب صحبة

نفسى».

مع اللحم كان يشربان نبيذ أحمر. أضاف بعضاً منه لكأسها وأعاد ملء كأسه قبل أن يقول: «لكنك تخرجين مع رجال من وقت لآخر.»

«على أساس صداقة.»

وجه لها نظرة متأملة. كانت متأكدة إلى حد كبير أن يتساءل عن حدود تعريفها للصداقة. لكن إذا كان هذا هو السؤال الذى يدور بعقله فقد إتبع فضوله وتركها تتساءل عن علاقاته الخاصة. لم يكن كبيراً إلى حد يبعد عن ذلك. ومن الناحية الأخرى فهى لم تسمع أو تقرأ على الإطلاق أى قيل وقال عن حياة جون كازينوبوليس الخاصة. ولم يبد أنه ذلك الرجل الذى يكون علاقات مشبوهة مع النساء.

وتساءلت عما إذا كان قد فهم من دعوتها له للعشاء أنها لن تعارضه فى علاقة شخصية معه مثلما هناك علاقة عمل.

لم يصدر عنها أى شىء يعزز ذلك. ولكى تواجه إى سوء فهم، ربما يكون قد تولد بداخله، فقد عادت بالحديث مرة أخرى إلى موضوع المبانى الملحقة وحافظت على ذلك طوال مابقى من وقت أثناء تناول الطعام.

كانت الحلو أناناس طازج مع زبادى أضافت له فول سودانى وشرائح موز مجمدة عثرت عليها فى محل مفضل بشارع روبسون ستراس يسمى «البقرة الاسكتلندية» وقد سُمى بذلك لجوه الأوربى.

كان المطبخ الصغير مرئياً للجالس إلى مائدة الطعام. ولاحظ جون أن تجهيزاته لاتتضمن غسالة أطباق. وعلى الرغم من إعتراضاتها فقد أصر على مساعدتها فى غسل الأطباق التى

كانت تزمع تركهم مكومين حتى ينصرف.

وفيما بعد كانا يتناولان قهوتهما وقد جلسا على طرفى الأريكة التى يمكن تحويلها إلى سرير كبير عندما يتقاسم الجناح أربعة أشخاص. ودارت أحاديثهم حول مختلف الموضوعات ولكنه لم يبدى أى محاولة للعودة بالحديث إلى الأمور الشخصية.

توقعت اليكس أن ينصرف مبكراً إلى حد ما، ولكن دقت الساعة الحادية عشرة بينما كان لايزال يقبع مسترخياً فى طرف الأريكة وهو يتحدث عن أفضل فنادق العالم. ويبدو أنه أقام فى معظمها فى إطار توسعته لسلسلته الخاصة.

كان رجلاً مشوقاً. وكان من الطبيعى أن تنصت له بتركيز. ولكنها لم تنل كفايتها من النوم فى الليلة الماضية ووجدت نفسها تبتلع تثاؤباتها وتناضل ضد النعاس المتزايد.

وعندما سمعته يقول: «كان يجب أن أكون الآن فى طريق عودتى وتكونين أنت فى فراشك.» عندئذ فقط وجدت نفسها ولفزعها الشديد، قد نامت.. ولكن أن تنكس رأسها لا ارادياً بسبب النوم، ولو للحظة واحدة، بينما كان يتحدث.. هل يمكن أن يكون هناك شيئاً أكثر إرباكاً؟

لم يبد على جون أنه أحس بالإهانة. قال: «أنا آسف. لقد نسيت أنك كنت بالخارج أمس حتى وقت متأخر وكنت بحاجة للنوم» وعندما وقف ونهضت معه تابع قائلاً: «لقد كان عشاءً رائعاً يا اليكس. أنا أقدر دعوتك وأتمنى أنا استمتع بمزيد من طهيك فى وقت آخر. وأيضاً شكراً لك على هذه السهرة اللطيفة جداً»

قالت وهى لاتزال مروعة بزلتها: «لقد استمتعت بها أيضاً»

وبينما كانت تتبعه إلى الباب قال: «آمل أن تستخدمى قفل الأمان أثناء الليل.»

«نعم أنا أفعل. وهناك أيضاً عين سحرية لرؤية من بالخارج إذا طرق الباب أى شخص»

فتح الباب واستدار لها قائلاً: «فتاة بمفردها لا يمكن أن تكون شديدة الحرص» وتوقف ناظراً إلى عينيها. لم يكن رجلاً طويلاً مثل لورير. كان هناك فرق قليل فى قامتيهما. وقال: «لو كانت لى إبنه لكانت فى مثل سنك. إن قضاء هذه السهرة معك جعلنى أندم أكثر من أى وقت مضى على أن كون لى إبنه هو واحد من الأشياء الطيبة التى إفتقدتها فى الحياة. تصبحين على خير يا اليكس»

ولدهشتها وضع يديه على كتفيها ومد شفتيه وطبع قبلة على وجنتها.

ثم سار إلى المصعد.

فى الصباح التالى تسلمت (بوكين) زهور يشتمل على ورود وأزهار قرنفل وردية ومعها بطاقة تحمل رسالة موجزة: «شكراً لك ج.ك.»

قدرت اللفتة. ولكن رغم أن زهوره لابد قد تكلفت على الأقل خمسة أضعاف ثمن نبات المزاهر إلا أنها لم تدم طويلاً مثله ولم تسر عينيها مثلما فعل بخور مريم.

بعد دقائق معدودة من وصول الورود دق جرس التليفون.

إلتقطت السماعة قائلة: «آلو؟»

«اليكسندرا، هل أنت بخير؟»

لدى سماعها صوته طرأ على قلبها هبوط مميز.

«أنا بخير شكراً لك يا لورير. كيف أنت؟»

«بخير. عندما لم تظهرى اليوم ظننتك مريضة»

كانت قد دُربت فعلاً على كيفية التعامل مع هذه المكالمة، إذا أقدم عليها، أياً كان الوقت. قالت بصوت لطيف، ولكن بسرعة عملية فى نبرتها: «أنا لا أفعل نفس الشىء دائماً. هذا الصباح سرت على جانب الخليج الإنجليزى من المتنزه»

كانت هناك لحظة صمت قبل أن يقول: «شكراً لك على رسالتك. لقد كنت سأتصل بك بالأمس ولكنى شُغلت أنصتى.. هذا الطقس الرقيق قد لا يدوم طويلاً. التنبؤات الجوية تقول بسقوط الأمطار غداً. إن أخى غير الشقيق يمتلك إحدى جزر الخليج الصغيرة. والوصول لها بالطائرة لا يستغرق وقتاً طويلاً. هل يمكننى إقناعك بأن تأخذى إستراحة غداء طويلة وتأتى للتنزه هناك؟»

شحذت اليكس إرادتها وقالت: «إنه شىء رائع منك أن تقترح ذلك. ولكننى أخشى أن يكون غير ممكن. لدى اليوم إرتباطات لا يمكننى إلغاءها بأية حال»

وعن قصد لم تضف: «أنا آسفة. كان سيصير شيئاً رائعاً. ربما يمكنك أن ترينى الجزيرة فى يوم آخر» كان ذلك ما ينبغى أن تقوله لو كانت ترغب فى رؤيته مرة أخرى.

قال ببطء: «أوه.. هذا شىء يثير الرثاء» ثم أضاف: «ما رأيك فى العشاء الليلة؟»

كان صعباً تماماً ألا تضعف ولكنها دفعت نفسها لأن تقول بلهجة باردة: «أنا مشغولة هذا المساء أيضاً. لقد وصل صاحب العمل إلى فانكوفر فى وقت متأخر من الأمس، وهذا يعنى مقابلات زائدة وربما بعض التغييرات العاجلة فى تصميماتى الحالية»

«أدرك ذلك .. هذا سيء جداً . كنت آمل أن أريك بعضاً من أماكنى المفضلة . كم سيبقى عميلك فى كولومبيا البريطانية ؟ »

«لست متأكدة . ولكن وقتى هنا محدود ويجب أن تأخذ حياتى الإجتماعية مرتبة ثانية بعد عملى . أنا فتاة مكرسة للعمل كما تعلم . وهو يعنى كل شيء بالنسبة لى »

كان هناك صمت أطول هذه المرة . وخلاله كان لديها إغراء بأن تنهى المكالمة المؤلمة بأن تقول بسرعة : «لا يمكننى الحديث الآن . أنا مشغولة . إلى اللقاء »

وحيث أنها أعطته صرفاً واضحاً إلى حد ما فلا يمكنها أن تجعل نفسها تتلفظ تماماً بالضربة القاضية .

وبينما كانت تعض شفتها فى تردد عصبى قال : «إن عملى هام بالنسبة لى ولكننى لا أقول أنه يعنى كل شيء . هناك أشياء أخرى أضعها فى نفس المرتبة العالية . رغم ذلك لا ينبغى أن أعطلك عندما تكونين مشغولة . إلى اللقاء يا اليكسندرا »

ودون أن ينتظر إجابتها ، أغلق الخط .

أعادت اليكس السماعة . وبدلاً من الذهاب إلى المنضدة حيث كانت تعمل فتحت الباب الزجاجى المنزلق المؤدى للشرفة ، وخرجت إلى شمس الصباح .

لم تكن هناك سحب فى السماء . وكانت حدود الجبال واضحة وجادة فى الهواء المشرق الصافى . كان بإستطاعتها رؤية العداءين وهم يمارسون الجرى على إمتداد الكورنيش مثلما يفعلون طوال ساعات اليوم . وأقلعت طائرة مائية من الميناء . وحلقت فوق المتنزه متجهة إلى الغرب نحو الجزر التى قرأت اليكس أن لمعظم أهل فانكوفر منازل صيفية عليها .

كانت ستستمتع بتجربة الطيران فى طائرة مائية . وبالنزهة والسلام والهدوء على جزيرة بعيدة عن ضوضاء حركة المرور بالمدينة . أكثر ما كانت ستستمتع به هو صحبة لورير .

وفى ارتباك مفاجيء ، ولأول مرة منذ أعوام ، غامت رؤاها بدموع حارة لخيبة الأمل .

كانت تعرف أنها فعلت الشيء الصحيح .. الشيء الواعى . لكنه أحدث ضرراً أكثر مما كانت تتوقع . أحدث ضرراً مثل الجحيم .

فى يوم درسها للرقص بالنقر . غيرت مفتاح القنوات بالتليفزيون إلى المحطة التى كانت تشاهدها كل صباح لسماع النشرة الجوية . كانت هناك تنبؤات بنسبة ٦٠٪ من «الترسيب المتوقع» وهو تعبير يقصد به علماء الأرصاد الجوية إحتمال سقوط المطر .

رغم ذلك فعندما خرجت اليكس ذاهبة إلى جمعية الشبان المسيحيين فى برارد ، كانت حمامات المطر الثقيلة التى إنهمرت طوال اليوم قد توقفت ، ولم تجد نفسها بحاجة لأن تحتمى بمظلتها .

كانت قد بدأت تعلم الرقص بالنقر فى لندن للتجربة والمتعة ولأنها كانت دائماً تستمتع بالأفلام القديمة لفريد أستير وجينجر روجرز فى التليفزيون . بدا أن أغلب استديوهات الرقص فى فانكوفر تقع فى الضواحى . ولكن بينما كانت فى المكتبة المركزية ذات يوم رأت برنامج نشاطات الخريف فى جمعية الشبان المسيحيين مثبتاً على لوحة الإعلانات . كانت تتراوح بدءاً من المحادثة اليابانية إلى توجيهات بشأن أجهزة الغوص تحت الماء . وكانت هناك ثلاثة مستويات لفصول الرقص بالنقر . وقد سجلت للمنهج المتوسط .

إستمر الدرس لمدة ساعة وتعلمت رقصتين جديدتين: الرقصة السداسية المتكررة وكرمة العنب. فى نهاية الدرس ارتدت تنوره ثقيلة فوق ثياب الرقص السوداء الضيقة وارتدت حذاء السير بدلاً من حذاء الرقص.

سمعت إحدى الفتيات تقول: «إنها ستمطر مرة أخرى»

عندما نظرت اليكس تجاه النافذة رأت فى ضوء إحدى لمبات الشارع أن هناك رذاذ رقيق يتساقط ببطء.

غادرت المبنى من الباب الجانبى. وعندما وقفت على الدرج ورفعت مظلتها، نزل رجل من سيارة تقف إلى جانب الرصيف. كان يرتدى ستره ذات لون أصفر فاتح مضادة للطقس العاصف مثل تلك التى يرتديها قواد اليخوت.

لم تنظر له عن كثب إلا عندما قال: «هل تريدين سيارة لتوصلك؟» وفى حفقة واثبة أدركت أنه كان لورير تايت.

صاحت فى دهشة: «أوه.. مرحباً ماذا تفعل هنا؟»

«أنتظرك. لقد اعتقدت أنه لن يتعارض مع مهنتك المستنزفة تماماً أن القاك خارج الدرس واصطحبك بالسيارة لسكنك. لن تحتاجى تلك»

أخذ المظلة من يدها، وأغلقها، وقبض على ذراعها بقوة ثم دفعها خلال الخطوات المتبقية عبر حافة الرصيف المغطاة بالعشب حتى سيارته ذات المقعدين والسقف المنخفض.

قبل أن تفيق من دهشتها كان قد أجلسها فى المقعد المجاور للسائق وطوح حاجياتها فى المساحة الخالية فى المؤخرة.

من جمعية الشبان المسيحيين إلى حيث تقيم كانت المسافة تستغرق عشر دقائق سيراً. أما فى سيارة فهى لا تأخذ وقتاً على الإطلاق. لم يتحدث أى منهما. كانت اليكس مأخوذة تماماً

بظهوره غير المتوقع وكلماته الساخرة عن مهنتها لدرجة أنها لم تجد ما تقوله.

إختلست نظرة إلى جانب وجهه فرأت أنه يتفق مع نبرته. كان يقطب حاجبيه الداكنين فى عبوس منفر فبدا مروعاً بدرجة أكبر بكثير من رفيقها الدمث على العشاء منذ بضع ليال. ومع ذلك، وعن عناد، سرها غضبه منها. لقد كانت تظن أنها لن تراه مرة أخرى على الإطلاق.

لدى وصولها الفندق، دخل بالسيارة إلى جراج السيارات السفلى.

عندما أوقف السيارة قال: «حيث أننى قد وفرت عليك السير فى ليلة ممطرة فأقل مايمكن أن تفعليه أن تقدمى لى فنجاناً من القهوة»

قالت فى صوت ضعيف: «نعم.. مهما تكلف الأمر» وبدأت تتساءل عما أوقعت فيه نفسها بشأن خصامها لهذا الكندى المرعب المفاجىء.

فى المصعد فكت أزرار معطفها الواقى من المطر. كان الرقص بالنقر لمدة ساعة تمريناً شاقاً. لقد تعودت بمجرد رجوعها أن تأخذ حماماً ثم تغسل ثياب الرقص وتعلقها حتى تجف دون تجعد.

لم تضطر إطلاقاً للتعامل مع موقف كهذا من قبل. وكون جسدها حاراً ولزجاً يجعلها فى وضع غير مؤات.

عندما أخرجت مفتاحها من حقيبتها أخذه منها لورير. فتح باب جناحها ثم تنحى جانباً لتدخل.

قالت وهى تتجه للمطبخ مباشرة: «أرجو ألا تجد بأساً فى قهوة سريعة الذوبان. سأضع الإبريق.»

عندما عادت إلى المساحة المخصصة للمعيشة كان قد نزع معطفه الأصفر الواقى من المطر. كان يرتدى تحته ستره ذات لون أحمر كرزى وعنقها على شكل حرف ٧. وتحتها كان يرتدى قميصاً قطنيا. كان اللون الزاهى يناسب بشرته الداكنة وشعره الداكن بلون شعر الهنود.

قالت وهى تدور من وراءه: «إذا سمحت فسأبدل ثياب الرقص»

قال فى لهجة جافة: «يمكنك ذلك فيما بعد. أنا أريد أجابة الآن فوراً»

سألته «إجابة لأى شىء؟» وبدأت تنزع معطفها الواقى من المطر.

وحتى فى حالته الحالية فقد تقدم على الفور ليساعدها فى خلع المعطف ثم القاه على أحد المقاعد.

وقال: «أريد أن أعرف لماذا، بعدما قضيت معى سهرة واحدة لطيفة بدرجة واضحة فأنت الآن تنفرين منى.» وخفض بصره تجاهها وقد عبس وجهه. وتابع: «لقد اضطررت أن أكون غبياً لدرجة كبيرة رغم أنفى لا أدرك ذلك الصرف الواضح فى التليفون فى ذلك الصباح.»

ماذا كان يمكنها أن تقول؟ لم يكن بإستطاعتها قول: «لقد إعتقدت أن هناك خطراً أننا لو إستمررنا فى لقاءتنا فربما أقع فى الحب معك»

«على الأقل أنت لا تنكرى التهمة» قالها بتلك اللمحة الفكاهية التى ميزت موقفه من الحياة خلال سهرتهما معاً. ثم أضاف: «لا استطيع أن أطيق النساء اللواتى لا يسلمن إطلاقاً باستحقاقهن اللوم بدءاً من طبق محطم حتى كذبة واضحة.»

لم يترك لها خياراً سوى أن تقول: «لا. أنا لا أنكرها، ولكن هذا لا يعنى أننى ملزمة بتقديم توضيح لك. أنا آسفة إذا كنت قد آذيت مشاعرك، ولكن...»

«إن مشاعرى أصلب من ذلك. صلبة بحيث تتحمل الحقيقة بدلاً من حزمة من الأعذار عن مدى إنشغالك. إذا كان تناول الطعام شىء ممل...»

قاطعته قائلة: «أنت تعرف أنه لم يكن... لكننى...»

سرعان ما قاطعها هذه المرة. قال: «نعم. أنا أعرف. أعتقد أنها كانت أفضل سهرة لكل منا على مدى وقت طويل. ولذلك لم أتوقع أن أواجه بالرفض عندما اقترحت تكرار المتعة. أنت لم تكذبى عندما أخبرتنى أنك غير مرتبطة. اليس كذلك؟»

«بالتأكيد لا. أنا... أنا أظن ان الإبريق يغلى»

ولكن عندما استدارت لتتعامل معها، أخذ بكفتيها ــ برقة أقل كثيراً من جون ــ وأوقفها.

«القهوة يمكن أن تنتظر. أنا أريد توضيحاً عن سبب تغيير رأيك بشأن رؤيتى.»

إستاءت اليكس من حصارها بهذا الأسلوب العتيق. قالت بحنق: «ربما تريد تفسيراً ولكن لم تنله. أرجوك دعنى أذهب»

فى اللحظة التالية، بدلاً من أن تكون رهينة يدين قويتين تقبضان على كتفيها، وجدت نفسها بين ذراعيه بينما انقض رأسه المرتفع على رأسها.

بدافع غريزى، أغلقت عينيها لثانية قبل أن تجرب فى إنكار ذاهل ذاك الإحساس بفمه يطبق على فمها فى قبلة ملتهبة طويلة. بدأت بوحشية ثم تغيرت تدريجياً إلى أن لم يعد يصيب

فيها جام غضبه ونفاذ صبره، ولم تعد هى تقاوم قوته القاهرة.

أخيراً، تركها، ورفع شفتيه عن شفتيها ببطء وعلى مضض. وعندما فتحت عينيها أرخى ذراعيه من حولها.

قالت فى صوت خفيض مهتز: «ليس لك أى حق على الإطلاق فى أن تفعل ذلك»

أجابها بصوت أجش: «ربما لا. ولكن كلينا استمتع به» ثم تابع: «لماذا تحاربين التجاذب بيننا؟ أنت تعرفين أنه موجود مثلما أعرف أنا. لماذا تدعين أنه غير موجود يا اليكسندرا؟»

تاركاً إياها تبحث عن إجابة دار حول الجدار الذى يفصل المطبخ عن مساحة المعيشة، ودخل إلى المطبخ.

غاصت اليكس فى أحد المقاعد وقد أحاط الارتباك بكل أفكارها وعواطفها. لم تستطع تذكر أنها قد أحست بمثل هذه الشعور من قبل. عندما كان بيتر على علاقة غرامية معها، فلم يقبلها إطلاقاً بهذه الطريقة.

ربما أحدثت سنوات الكبت شيئاً ما بها. ولكن بقبلة واحدة أوقظ لورير الأحاسيس التى أحدثت صدمة بقوتها. كانت على وعى غائم أن لورير يفتح ويغلق الخزانات بحثاً عن البن والفناجين. كانت ترى صورته فى زجاج النافذة الخالية من الستائر التى يتقاسمها المطبخ ومساحة المعيشة. ولكنها لم تبد حراكاً لتساعده. كانت لا تزال ذاهلة جداً بحيث لا تستطيع الإتيان بأى رد فعل طبيعى.

بعد دقائق قليلة كان يخرج من المطبخ حاملاً فنجانين من القهوة. ووضعهما على المائدة المنخفضة.

سألها: «ألم تأكلى بعد؟»

هزت رأسها نفياً.

«هل تحبين البيتزا؟»

«نعم، ولكن...»

قال فى حزم: «يجب أن نأكل. ويجب أن نتحدث.. إذا كنت لا تريدين الخروج مرة أخرى. فيمكننى أن أذهب بالسيارة لإحدى محال الطعام المجهز فى دينمان. لن يستغرق ذلك ربع ساعة.»

قالت لها غريزتها أنه سيكون أكثر أمناً أن يتحادثا عبر جانبين متقابلين لمائدة فى أحد المطاعم بدلاً من عزلة جناحها حيث يمكن أن تخرج الأمور من يدها مثلما حدث فعلاً.

«لا... أظن أنه من الأفضل أن نخرج. ولكن يجب أن أبدل ملابسى»

«ليس لأجل مكان لبيع البيتزا». وطافت عيناه الداكنتين بجسدها النحيل وأضاف: «أنت جميلة كما أنت»

ألقت نظرة على ملابس الرقص التى كانت تبرز من تحت نيابها وقالت: «أنا أفضل ملابسى». قالتها فى حزم يوافق لهجته. «لن أتأخر. سآخذ قهوتى معى». والتقطت فنجانها وصحفته وحملتها إلى حجرة نومها.

بعد نصف ساعة كانا يجلسان إلى مائدة فى إحدى زوايا مطعم بسيط فى مايسمى إيطاليا فانكوفر الصغير فى الطريق التجارى.

وبعد أن أمر بطعامهما قال لها: «إن مكرونة الباستا هنا لا تعد بكميات كبيرة. إنهم يعدونها فى المطبخ» ثم وجه لمحة خاطفة للرواد الآخرين وقال: «فى العادة يكون المكان مزدحماً أكثر من ذلك»

إفتعلت محادثة قصيرة بأن قالت: «أظن أن ذلك يرجع إلى

أنها ليلة ممطرة» كانت لا تزال تتساءل عما ستقوله عندما يكرر سؤاله لمعرفة سبب صدها له.

كانت تتحدث وقد إستندت بمرفقيها على المائدة المغطاة بنسيج الجنجهام القطنى المخطط وقد أراحت ذقنها برفق على أصابعها المتشابكة.

فى وسط المائدة كان هناك مصباح على هيئة زجاجة خمر الكيبانتى الإيطالية. كان يحيط بالمصباح ظلة تخفى اللمبة وتنشر وميضاً أحمر لمع على الزوايا العظيمة فى وجه لورير فبدا، أكثر من أى وقت مضى، كصورة أحد هنود أمريكا الحمر كما تصورهم هوليوود.

أزاح المصباح جانباً. ثم مد يده عبر المائدة وأخذ أحد معصميها فأضطرها لأنك تفك أصابعها وتترك يدها فى يده.

وقال فى هدوء: «والآن أخبرينى.. لماذا قررت إنهاء صداقتنا بينما لم تكد تبدأ؟»

حاولت أن تخلص يدها ولكنه لم يدعها. كل ما نجحت فيه أن جعلته يشدد عليها أصابعه القوية الطويلة.

قالت وهى تتجنب عينيه: «لست متأكدة من إيمانى بالصداقة بين بشر من جنسين مختلفين. يبدو أنها تنتهى فى العادة إلى... تعقيدات. وليس لدى وقت أو رغبة فى أن أعقد حياتى»

«انظرى لى يا اليكسندرا»

أحدث الأمر الهادىء رعدة خفيفة غريبة خلالها. وعلى كره لاقت عيناها الرمادية الطويلة الأهداب عينيه.

قال بصوت خفيض: «لم أكن أظن أنك جبانه» ثم تابع: «هل سبق أن أذاك رجل؟ هل هذا هو سبب خشيتك أن

نكون أصدقاء؟»

هزت رأسها. وقالت: «ليس ذلك. إذا أمكن أن نكون مجرد أصدقاء فسيكون هذا شيئاً جميلاً.» ثم أضافت بلهجة معتدلة: «؟ولكن معظم الرجال لا يضعون الصداقة فى تفكيرهم عندما يلاقون الفتيات.»

وافقها قائلاً: «لا، هذا حقيقى إلى حد كبير. وحيث أننى قبلتك فمن الصعب أن أنكر أننى وجدتك فتاة جميلة جداً ومرغوبة جداً. ولكنى لا أرى النساء «أشياء جنسية» كما يسميهن المنادون بالمساواة بين الجنسين. ربما كنت كذلك من خمسة عشر عاماً مضت عندما كنت شاباً شهوانياً. ولكننى الآن رجل ومنذ وقت طويل. علاقاتى مع النساء لها نفس الأساس كصداقاتى مع الرجال. أريد أن أكون قادراً على مناقشة الأمور التى تهمنى، وأن استمع إلى آراء ذكية. وبصفة عامة أن آكل وأشرب وأمرح معاً. وإذا حدث ذلك فى حالة الصديقات من النساء فإن هذا الأساس يؤدى إلى أشياء أكثر.. جمالاً. وإذا لم يحدث فهذا على ما يرام أيضاً.

وقبل أن تستطيع الرد على هذا البيان أحضر النادل زجاجة النبيذ الذى كانا قد أختاراه، وفتحها وملأ كأسيهما.

وعندما أصبحا بمفردهما مرة أخرى سألها لورير:

«ما الذى أعطاك فكرة أننى من ذاك النوع من الفتيان الذين يكون غرضهم الأساسى هو الفراش؟»

أجابت: «لم أفكر فى ذلك على الإطلاق. ولو كان الأمر كذلك، فكنت ستأخذ طريقك فى هذا الاتجاه فى تلك الليلة. ولكن من ملاحظتى لحياة الآخرين فإن إبقاء الأمور على أساس صداقة هو شىء قوله أسهل من فعله. والدليل ما حدث الليلة.

لقد قبلتنى رغماً عنى. وربما تفعله مرة أخرى.»

سلم بذلك قائلاً: «لقد فقدت أعصابى» وتابع: «لقد أثارنى موقفك المتحدى. أعتقد ــ وبنظرة محايدة ــ أنك ستعترفين بأننى وقد تلقيت لكمة مجازية فى الأسنان لغير سبب واضح فن حقى أن أطلب توضيحاً. وعندما رفضت تقديم توضيح فقد أردت أن استخرجه منك. ولكن حيث قد استعصى ذلك فقد قبلتك.. لمتعتنا المشتركة»

«الأمر ليس كذلك. لم أرد أن أقبّل»

«دعينا نصل إلى حقائقنا بصورة صحيحة. أنت لم تريدى أن يحدث، ولكنك أحببته عندما حدث. ما رأيك لو أعطيتك كلمتى بأننى لن أفعله مرة أخرى حتى توضحى أنت تماماً أنه لم يعد شيئاً غير مرغوب فيه؟ وفى أثناء ذلك سنلتزم بشدة أن نكون صديقين. ما رأيك؟»

أدارت ساق كأسها مراقبة بريق النبيذ الأحمر فى ضوء المصباح.

«لابد أن لك الكثير من الأصدقاء فى فانكوفر يا لورير. لماذا تريد أن تضيفنى إلى دائرتك؟»

أحضرت فتاة دون العشرين سلة خبز لها ومربى وطبقاً به زيتون.

شكرها لورير. وعندما إنصرفت قال: «فى الواقع أنا رجل غريب فى هذه المدينة الآن. معظم قرنائى هنا إما أنهم تزوجوا وأنهم يستعدون للزواج. أنا لا أنتمى لأى من الفريقين. إن لدى إنصات بسيط ممل لأحاديث الناس عن أطفالهم، وبالتأكيد ليست لدى أية نية فى أن أكون زوجاً بديلاً لإمرأة مطلقة بعائلة جاهزة فعلاً.»

وصلت المشهيات وشغلت إنتباههما لبضع دقائق.

«لقد قلت أنك قد تضطرين لتغيير تصميماتك للمبانى الملحقة. ما الذى لم يعجب عميلك فيها؟» كان سؤاله تذكيراً لها بالعذر الذى إنتحلته فى التليفون.

«يسعدنى أن أقول أنه قد وافق عليها حتى الآن. ولكن إكمال التفاصيل يمكن أن يستغرق الكثير جداً من الوقت. على سبيل المثال فإن هذه الأجنحة الأضافية يجب أن يوجد بها لوحات من الدرجة الأولى فعلاً. يوجد بمتحف الفن فى فانكوفر برنامج للتأجير الفنى من المحتمل أن تكون قد سمعت عنه. يسمح هذا البرنامج للأعضاء فى المتحف باستئجار اللوحات من بين مجموعة كبيرة مختارة للفنانين الكنديين والأمريكيين المعاصرين. وتعتمد رسوم الاستئجار على قيمة العمل فى السوق. وهى تتضمن أعمالاً بطريقة السلك سكرين (الغربال الحريرى)، وأعمال بالألوان المائية، وبالزيت، وصور فوتوغرافية، ونقوس فكل الوسائل موجودة. اعتقد أن أعلى تكلفة هى عشر دولاراً مما يمثل أسلوباً رخيصاً جداً للاستمتاع بالفن الرفيع لثلاثة أشهر.»

«نعم. إنها فكرة ممتازة. هل ستستخدمينها فى المبانى الإضافية؟»

«ليس بالضبط. لدى مقابلة غداً مع المدير لأحاول إقناعه بأن يسمح لنا بإستئجار بعض من مجموعات التحف الدائمة»

لفت نظرها قائلاً: «أظن أن درجة الحرارة والأضاءة فى متحف الفن مضبوطتان بدقة لحماية اللوحات من التحلل التدريجى. لن تستطيعى أن توفرى نفس الظروف فى المبانى الإضافية. قد يريد شاغلوها أن يجعلوها أدفأ أو أبرد مما هو ملائم

للوحات القيمة.»

أومأت برأسها موافقة على ما تبادر لذهنه من أسباب قد تدفع المدير لرفض طلبها بقوة. ووضعت شوكتها لتشرح ما أعدته لتواجه به هذا الرفض.

كانت متعة نادراً ما أستمتعت بها أن تناقش عملها مع فرد يمكن أن يبدى إهتماماً ذكياً دون أن يكون له دخل، وبالتالى لا يكون منحازاً بأى شكل. نسيت كيف بدأت السهرة وكانت واعية فقط لسهولة ومتعة الحديث معه.

وبينما كانا يتناولان طعامهما قال لورير: «لقد تصادف أن كنت في فانكوفر عندما أفتتح متحف الفن فى المبنى الذى كان داراً للقضاء. تكلف تحويل المبنى عشرين مليون دولار وقد أفتتح فى فجة ضخمة فى نهاية عام ١٩٨٣. لقد ذهبت مع جدتى إلى مهرجان ليلة الإفتتاح. كانت واحدة من المناسبات المشهورة المشوقة.»

لقد ذهبت اليكس للمتحف عدة مرات وكان سهلاً أن تتخيل روعة مهرجان الافتتاح فى وجود رجل برابطات عنق سوداء ونساء بفساتين رائعة يتنزهون صعوداً وهبوطاً عبر الدرج الدائرى الرائع أسفل القاعة المستديرة ذات القبة.

«أظن أن محال هولت رينفرو وإيتونز قد باعوا الكثير من الفساتين العتيقة فى مناسبة كهذه. ماذا ارتدت جدتك؟ هل تذكر؟»

«نعم، وقد ذكرت لى فيما بعد بأن كان أقدم فستان هناك. لقد إشترته أثناء رحلة إلى باريس مع جدى قبل الحرب العالمية الثانية. وهو من تصميم أحد كبار المصممين فى الثلاثينيات. لقد نسيت إسمه. إن معظم ملابسها تنتمى

للماضى رغم أنك لن تعرفى ذلك. ولعين الرجال فهى تبدو ملائمة جداً.»

«كانت ملابس تلك الفترة تصنع من منسوجات ممتازة. لدى فستان سهرة من الثلاثينيات إشتريته فى لحظة جنون من مزاد فى صالة سوثبى بلندن. لقد ملأنى الإعجاب وأنا أرتديه. لكنى لم أجرب ذلك إطلاقاً أمام العامة. لست متأكدة أنه سيتحمل التنظيف الجاف إذا سُكب عليه شىء ما. لقد كان فعلاً تبذيراً مجنوناً. لست أدرى ما أصابنى. لقد ذهبت إلى المزاد لشراء قلادة من صنع لاليك. وقد يعد إقتنائها استثماراً ومتعة فى نفس الوقت. ولكن السعر ارتفع كثيراً جداً بالنسبة لى فاشتريت الفستان بدلاً منها»

سألها: «هل تجمعين مجوهرات لاليك؟»

دهشت أن يكون اسم المصمم الفرنسى معروفاً له. فرغم أنه إسم معروف لخبراء المجوهرات الفنية الحديثة والمصنوعات الزجاجية، فإن رينيه لاليك لم يكن معروفاً على نطاق واسع بين العامة.

«لقد كنت محظوظة إلى حد كبير أن وجدت بعض القطع الموقع عليها فى متاجر التحف القديمة عندما كنت فى المدرسة الفنية» ثم أضافت فى أسف: «ولكن لا يوجد الآن تجار كثيرون يقدرون أسلوبه بدرجة كبيرة، وقد بلغت الأسعار السماء.» ثم سألته: «كيف عرفت به؟»

«لدى جدتى ساعة لاليكيه فى حجرة نومها وكثير من المزاهر والحلى. أعرف أنها ستسعد بعرضها عليك. لماذا لا تأتى وتتناولى معنا العشاء فى إحدى الأمسيات؟ سوف يشدك المنزل. لقد صممه ماكلور الذى كان واحداً من الأسماء

الضخمة فى العمارة فى بداية القرن هنا وفى فيكتوريا . »

كانت اليكس تعرف أن فيكتوريا التى تقع على جزيرة فانكوفر هى العاصمة الأقليمية لكولومبيا البريطانيا .

قالت : « لست أدرى إن كنت سأستطيع زيارة فيكتوريا أثناء وجودى هنا . لقد سمعتها توصف بأنها « لحديثى الزواج أو للموشكين على الموت » .. ما رأيك أنت فيها ؟ »

« لقد أمضيت بها وقتاً قصيراً حديثاً . هى أصغر من فانكوفر إلى حد كبير . لا أظن أنك ستجدينها مثيرة . قد تكون مكاناً رائعاً للمعيشة لكن ليس فى فيكتوريا الكثير مما يشد من يزورها لفترة قصيرة . أعتقد أن من الأفضل أن تذهبى لواحدة من جزر الخليج أولاً . لكن لا تعتمدى على نصيحتى لأننى كما قلت لك ، لا أعرف فيكتوريا إلى هذه الدرجة . إسألى عنها جدتى عندما تأتين لتناول العشاء مساء الغد » .

« ألا ترى أنك يجب أن تستشيرها قبل أن تدعونى للعشاء ؟ »

قال بلهجة لطيفة : « لقد فعلت » ولاحت ومضة فى عينيه وهو يتابع : « لا تظهرى السخط . لم أكن فعلاً متأكداً أننى سأجعلك تغيرين رأيك بشأن رؤيتى ، لكننى كنت مفعماً بالأمل . أنا متفائل بطبيعتى . ماذا عنك ؟ »

« لم تكن لديها إجابة جاهزة للرد على هذا السؤال . فكرت بشأنه للحظات .

« أعتقد أننى مزيج . أنا لا أنزعج بشأن الكوارث الكونية . وأنا متفائلة بخصوص مهنتى لأن أى فرد تكون لديه الموهبة الأساسية يمكن أن يصل لنتيجة طيبة إذا عمل بجدية كافية . »

سأل لورير : « من يتعامل مع بريدك ، وغيره من الأمور ،

عندما تكونين فى مهمة كهذه ؟ هل لك مكتب فى لندن ؟ »

تحدثا عن عملها وعن عمله فيما تبقى من الوقت الذى أمضياه معاً . أخيراً ، وبعد أن أنزلها عند الفندق ، تساءلت اليكس إذا ما كانت قد أقدمت على شىء أحمق عندما وافقت على إستمرار صداقتهما بناء على الأسس التى إقتراحها .

كان لديها بعض الشك أنه سيفى بما عليه من هذه الصفقة طالما أنها لم تعطه أى تشجيع . ولكن هل يمكنها التأكد من أنها لن تفعل ؟

وكما خمنت كان منزل جدته واحداً من أروع المنازل فى حى شونزى الراقى .

عندما نزلت من السيارة لدى المدخل ، قادها لورير صاعداً الدرج الواسع إلى باب أمامى ضخم فتحه ودفع مصراعيه لتدخل . ولجا إلى ردهه خالية من الأثاث ، ذات نوافذ ملونة الزجاج ، وبنهايتها باب داخلى لم يكن مغلقاً . كانت تؤدى إلى صالة ذات درج متسع كدرج المدخل ومغطى بالسجاد . رأت مساحة واسعة يخرج منها ممر يؤدى إلى مؤخرة المنزل . ورأت مصطلى للنار كان يمتلىء فى تلك اللحظة بزهور جافة رتُبت فى سلة كبيرة من الأغصان المجدولة .

كان إنطباع اليكس الأولى عن الخشب : ألواح الخشب التى تغطى الجدران ، الباركيه اللامع الذى يحيط بالسجاد ، والأبواب الخشبية الصلبة ذات الحليات المعمارية الدقيقة ، ومجموعات أعمدة الدرابزون الخشبية التى يعلوها درابزون من خشب ذى بريق كستنائى حديث .

لم تنتبه السيدة تايت لوصول السيارة فقد كانت تنصت للموسيقى وتعمل فى قطعة من التطريز الإبرى فى حجرة معرضة

للشمس، مليئة بالنباتات، فى الجزء الخلفى من المنزل. اسكتت السيدة تايت الموسيقى ونهضت مبتسمة لتحيى ضيفتها، وللحظة تذكرت اليكس والدتها التى كانت تهوى القيام بأشعال الإبرة وهى تنصت إلى شوبان وموتسارت.

صافحتها السيدة العجوز فى حرارة وهى تقول: «أنا سعيدة بلقائك يا آنسة كليفورد، لقد قال لى لورير أننا نشترك فى إعجابنا بمواد لاليك الزجاجية، ولاشك أن هناك أشياء أخرى كثيرة.»

كانت طويلة ونحيفة إلى حد ما، وقد إحتفظ حاجباها بلونهما الأسود بينما إستحال شعرها إلى اللون الأبيض. وعلى غير المتوقع كانت ترتدى سروالاً جيد الهندام متناسق مع قميصها الحريرى ذى اللون الأرجوانى الفاتح. كانت عيناها بلون حبات العقد الطويل من قطع الجمشت الأصلية الذى كان يزدوج عند فتحة قميصها. لم يعد بإمكانها أن تكون جميلة ولكن كانت عيناها جميلتين وقد زاد من جمالها تلك المسحة الخفيفة من الماكياج الملائمة بدقة لسنها. أحبتها اليكس من أول نظرة. لابد أن إيلينا كليفورد كانت ستصبح كهذا النوع من النساء لو أنها بقت على قيد الحياة. ذاك النوع الهادىء الحكيم الذى تمنت اليكس أنه تكونه يوماً.

كان واضحاً أن بربار اتايت تهيم بحفيدها، ورغم ذلك لم يكن فى سلوكها تجاهه أى نزعة للإستئثار بحبه. وعلى غير العادة فى الجدات، لم تقحم فى الحديث أى ذكريات عن طفولته. لقد بدت إمرأة بعيدة النظر، ومهمته بالمستقبل أكثر من الماضى.

بعد العشاء صحبت اليكس فى جولة فى أرجاء المنزل.

أتى لورير معهما. وبينما كانت تنظر إلى مختلف اللوحات المقتنيات اللافتة للنظر، كانت اليكس واعية لأن لورير يضع عينيه عليها.

بين أجمل قطع لاليك الزجاجية، التى كانت السيدة تايت قد جمعتها أثناء رحلاتها إلى أوروبا فى سنوات زواجها الأولى، كان هناك طبق زجاجى مزخرف لامع. كانت تزينه خمس من حوريات البحر يغتسلن فى رذاذ المياه. وعلى الدرج كانت هناك مزهرية تحمل حوريتى بحر آخرتين، وكانت أذيالهما تشكل المقابض.

أوضحت السيدة تايت قائلة: «بعض من أكبر القطع كانت هدايا من زوجى» وتابعت: «لقد بدأت بشراء زجاجة عطر صغيرة دون أن أحلم إطلاقاً بأنها ستكون الأولى من كثير»

أضاءت مصباحاً فى خلفية تجويف ضحل بجدار غرفة نومها، فبدت مجموعة من القنينات العطرية مختلفة الأشكال والألوان. أحدها تتخذ شكل نبات الخرشوف وأخرى منقوشة ومصقولة بتصميم فنى للخنافس وثالثة مزخرفة بطيور سنونو محلقة.

قالت اليكس: «لم أعرف أن لاليك هو الذى صمم هذا» وأشارت إلى القنينة النحيلة ذات اللون الأزرق الياقوتى التى سبق أن رأتها فى واجهات العرض الجميلة بمحلات هارودز ومحلات بلونج ديلز ضمن أثمن ما رأت.

قالت السيدة تايت: «لقد أحدث لاليك وفرانسوا كوتين، صانعا العطور الفرنسيان الشهيران، ثورة فى صناعة العطور. عندما بدأ كوتيه إستخدام هذه القنينات الجميلة لعطوره، إقتضى

أثره كل صناع العطور الآخرين. لقد صنع لاليك مئات الألوف من القنينات الجميلة. ومن أندرها تلك التى توجد ضمن ما يسمى (بأغطية التاج)»

فتحت الباب الزجاجى الذى يقى المعروضات من الأتربة، وتناولت قنينة صغيرة ذات سداده على هيئة حزمة من زنابق الوادى.

وأضافت: «مثل تلك التى إكتشفها لورير وأحضرها لى من مزاد علنى بأحد جراجات السيارات منذ أعوام» ورنت له بنظرة باسمة.

وأخيراً، وبينما كان لورير يعيدها بالسيارة إلى الفندق، قالت اليكس: «لقد كانت هذه واحدة من أمتع السهرات التى قضيتها منذ وقت طويل: «إن جدتك إمرأة ساحرة»

وافقها قائلاً: «إنها واحدة من الأثيرين لدى»

وتساءلت عمن قد يكون الآخرين، وكم عدد النساء الصغيرات بقائمته حالياً، إن لم يكن على الدوام.

عندما وصلا إلى الفندق، فك حزام مقعده ومد يده إلى خلفية السيارة.

قال: «أظن أنك قد تحبين استعارة هذا لمدة» وناولها حقيبة تحوى منظاراً مكبراً ثنائى العينين.

منذ وصولها كانت تتمنى أن تمتلك أحدها لتتأمل، فى لقطات مقربة، أجزاء مشاهدها الخلابة.

قالت فى إمتنان: «كم هو حُسن تفكير منك. كنت أحب أن استعيره»

ومثلما فعل فى أول لقاء لها، وفى الليلة الماضية، سار معها حتى المصعد.

«تصبحين على خير يا اليكسندرا. أراك فى الصباح»

على مدى الأسبوعين التاليين كانا يلتقيان كل صباح. فما أن تستدير عند المدفع حتى يتراءى الظل، الذى صار مألوفاً الآن، على الأسفلت فتنظر من فوق كتفيها وتوجد له تحية صباح باسمة. ويسير إلى جانبها حتى يصلا نادى التجديف.

رغم أنه كان خريفاً إلا أن الطقس الصيفى المشرق الجاف كان غالباً. وقبل شروق الشمس فى كل صباح كان الجو يشوبه بعض البرودة الواضحة.

كانت اليكس قد بدأت فى إرتداء ستره رياضية فوق قميصها التى شيرت بعد أن لاحظت أن يديها تبردان أثناء سيرهما المعتاد فى الصباح. وذات يوم فاجئها لورير بتقديم زوج من القفازات النسائية الصوفية ذات اللون الأحمر.

شكرته وقد مسها هذا المثل الثانى على حسن تفكيره ومراعاته للآخرين.

سألته: «من صاحبتها؟» وقد إفترضت أنه لابد قد إستعارها من السيدة تايت أو واحدة من زوجات إخوته.

«إنها ملكك. إشتريتها بالأمس. لقد ظننت أنك ربما تكونين مشغولة جداً بحيث لا تتذكرى أنك تحتاجينها»

«كم هو طيب منك أن تتذكر. بكم أنا مدينة لك؟»

«لا شىء. لم يكونا غاليين. لقد حصلت عليها من أوكازيون بأحد محلات أيتونز»

لم تصر على رغبتها بأن تدفع ثمنها. دست القفازين فى جيبها، قالت: «شكراً لك يا لورير. سوف تحظى يداى بالكثير من الراحة فى الغد»

بعد بضع خطوات مترثة، قال: «بعد إعادة التفكير منك،

يمكنك أن تنفذى وعدك بدعوتى للغداء فى نادى الكلية ، وتأخذ بعد ظهر أحد الأيام كأجازة من العمل . يجب ألا تعودى إلى أوربا دون رؤية متحف الأنثروبولوجى (علم الإنسان) . ما رأيك فى اليوم ؟

ذكرتها إشارته لعودتها إلى إنجلترا بأنها قد قطعت أكثر من نصف المدة التى ستبقاها فى كندا . عاجلاً ستعود إلى لندن وسيعود هو إلى هاواى . من المحتمل ألا يلتقيا مرة أخرى على الإطلاق .

ستفتقد صداقته كثيراً جداً . ربما تكون الصداقة الأولى والأخيرة لها مع رجل . لم تكن تصدق فى الواقع أن من الممكن لرجل أعزب فى مثل سنه أن يكون صديقاً لإمرأة فى مثل سنها ، ولكن لورير وفى بوعده . لقد ذهبا إلى مسرح نادى الفنون على جزيرة جرانفيل وإلى مسرح الملكة اليزابيث وإلى مسرح أورفيوم ليستمعا إلى أوركسترا المدينة السيمفونى . فى كل مرة كان يتصرف بلياقة تامة . بل إنه وافق على أن يدعها تدفع ثمن تذاكرها وأن تتقاسم معه فواتير الوجبات التى تناولاها معاً .

قالت موافقة : «حسناً . لما لا ؟» سيطر عليها إندفاع غامض بأن تضع المتعة قبل الواجب لمرة واحدة أخبرها لورير أنه سيمر عليها بالفندق لأخذها بالسيارة . ولكنها فضلت أن تستقل أتوبيساً كانت تعرف أنه سيقلها إلى قلب الحرم الجامعى . لقد فكرت أن تكف عن العمل مبكراً وتقوم ببعض عمليات الشراء وهى فى طريقها إلى هناك . لقد تعودت عندما تسافر للخارج بسبب العمل أن تعود بهدايا للعمة جو وعائلتها . إن آل فيشر هم عائلتها الوحيدة ، ولم تنس إطلاقاً دينها لهم رغم أن ساعات

قلائل فى هذا المنزل المكتظ الصاخب الغير منظم كانت كافية لتضاعف من إمتنانها للأجواء المنظمة المريحة بمنزلها .

كان حرم جامعة كولومبيا البريطانية فى بونيت جراى مخططاً بطريقة جذابة . وقد إمتدت بين مبانيه طرق واسعة تصطف على جانبيها الأشجار وتحف بها الأعشاب . وبينما كانت تتأرجح فى يدها حقيبة تحوى بعض الهدايا لأبناء عمتها ، لم تجد اليكس صعوبة فى العثور على نادى الكلية لأعضاء هيئة التدريس بالجامعة .

بعد أن أبرزت ما يثبت حقها فى إستخدام تسهيلاته إتخذت لنفسها مكاناً فى الردهة بجوار النافذة . وطلبت كأساً من الشيرى (خمر أسبانية) . القت نظرة على الجرائد المثبتة على حامل قرب درج البار . ومضت تقطع الوقت ، حتى يصل لورير ، فى التقاط الأخبار عن إنجلترا فى نسخة الأمس من التايمز .

اضطرت للتوقف عن القراءة تحت ضغط المحاولات الملحة لمدرس شاب لبدء محادثة معها . وعندئذ رأت لورير صاعدا الدرج المؤدى إلى القاعة .

لو كانت بمفردها فكانت ستتوقع أن يلحظها . ولكن نظراً للوضع الكائن فقد لوحت للورير وابتسمت بكثير من الحيوية الزائدة عما كان لازماً فى الحالة العادية .

تراجع المعجب الغير مرغوب فيه تجاه البار مدركاً تضاؤله أمام ذلك الرجل الصاعد على الدرج . عندما إنضم لها لورير قال : «لا يمكننى أن ألومه على المحاولة ، أنت تبدين رائعة»

«شكراً لك»

منذ أن كانا معاً على الكورنيش غسلت شعرها ، وجففته ،

ووضعت بعض الماكياج على وجهها، وارتدت ستره صوفية قصيرة وبنطلوناً قصير، وقد تميزا بالبساطة والأناقة.

وللمرة الأولى منذ أعطى لورير وعده، جال ببصره يتفحص جسدها وأناقتها. هل كانت علامة على أن الصداقة بينهما قد إنتهت؟ وأن علاقتهما قد إتخذت مساراً جديداً؟

طوال الغداء كانت عيون الرجال الجالسين إلى باقى الموائد تومىء بأفكار خارجة. ولكن سرعان ما شعرت بالارتياح لأن سلوك لورير عاد إلى الصداقة.

بعد الغداء سارا عبر المسافة القصيرة التى تفصلهما عن المتحف. كان مبنى غير عادى يحفل بآثار هنود الساحل الشمالى الغربى. وكانت أعمدتهم التوتمية الشاهقة التى عرتها عوامل الطقس معروضة فى متحف النحت الضخم الزجاجى الجدران.

كان منحوتاً عليها صور الجروتسك الغريبة وقد ضمت عيوناً بارقة وتكشيرات وحشية جعلت سيرينا تشعر بقلق عامض. أخذها لورير لتشاهد تمثالاً ضخماً للفنان بيل رايد يمثل الاسطورة الهندية لغراب أسود يكتشف الجنس البشرى فى صدفة حيوان البطلينوس. كان بإمكانها أن تدرك سبب تأثيره فى لورير ولكنه لم يعجبها بنفس درجة إعجابها بزرارى قبعة أحد كبار موظفى الأمبراطورية الصينية القديمة. كان الزرارات معروضان فى خزانة عرض فى قاعة تضم معروضات من كافة بقاع العالم.

ورغم أنه كان مشدوداً للفن البدائى ولم تكن هى كذلك إلا أنها استمتعا بالساعتين اللتين أمضياهما يطوفان بالمعروضات وعرف كل منهما الكثير عن الآخر.

بعد ذلك عادا إلى النادى لتناول الشاى. واستمرا يثرثران حتى طافت إحدى النادلات بصينية عليها مشهيات لاذعة وأدركا أن أعضاء طاقم التدريس قد بدأوا يتوافدون لقضاء ساعة من المرح.

طلبت اليكس مشروباً لهما. وقال لورير: «الأحد القادم عيد الشكر. سيوف تقضى جدتى اليوم فى ميدان ماكس غرب فانكوفر. أنا لا أحضره هنا دائماً، ولذلك لن يكون وجودى مفتقداً. ولا يمكننى أن أدعى حضور الحفلات العائلية الكبيرة حيث تستطيع زوجتا أخواتى بالكاد أن يكبحا كراهيتهما المتبادلة، وتلك هى أوجه المتعة المتاحة لى. غير أننى أخطط لقضاء نهاية الأسبوع على واحدة من جزر الخليج الصغيرة. لست أدرى إن كنت ترغبين فى مصاحبتى؟»

القى السؤال ببساطة، ودون توقع منها ولم يكن لدى اليكس أى إستعداد للتعامل مع تغير درامى فى تطور علاقتهما.

منذ أعطى وعده كان سلوكه شبيهاً برجل متزوج سعيد قُذف به إلى علاقة قريبة مع إمرأة أحبها كشخص ولكنه لم يحبها كأمرأة بسبب حبه لزوجته.

وهو الآن ينظر لها فى إعجاب بالغ. ووجدت نفسها ترد على هذه النظرة كفتاة أصغر من سنها بعشر سنوات. سرى بقلبها هبوط غريب. بدأت نبضاتها تتسارع. جف حلقها وأصبح الكلام مستحيلاً.

ولكنها كانت تعرف ما يجب أن تقوله.

لم تكن المرة الأولى التى يخطب ودها رجل فى الأيام التى سبقت ارتباطها ببيتر حاول عدد من الرجال إقامة علاقة معها. لم تجد بأى منهم ما يجذبها. ولكن التدريب الذى تلقته فى بداية

العشرينات من عمرها على قول «لا» للرجال، لم يكن مجدياً في التعامل مع عرض لورير.

رفع أحد حاجبيه وقال: «ألا تحبين الجزر الصغيرة؟ أم أنك لا تحبين الفكرة، والوقت؟»

الفصل الثالث

(ربما إستحت الزهور)

فجأة، تلاشى ارتباك اليكس. كان ماينبغي أن تقوله بسيطاً، إذ سرعان ما أدركت رغبتها الشديدة في قضاء نهاية الأسبوع مع لورير على تلك الجزيرة.

«أنا أحب تلك الفكرة كثيراً جداً. لكن ألن يؤلم جدتك أنك لن تقضي عيد الشكر معها؟ إنها ليست صغيرة السن.. ومن الواضح أنك شخصها المفضل»

هز رأسه قائلاً: «أنا مجرد واحد منهم. وهي لن تفتقدني في وجود باقي صغارها حولها. لقد إستنتجتْ بالفعل أننا، أنا وأنت، سنقضي عيد الشكر معاً.»

فكرت اليكس في أن السيدة تايت ربما تكون عنها فكرة متدنية. فعندما كانت السيدة تايت شابه، لم تكن البنات الملتزمات يقضين عطلات نهاية الأسبوع مع الرجال.

كأن لورير قرأ أفكارها، فقال: «لديك يومان لتفكري في الأمر. لا أريد إقناعك بشيء لست متأكدة أنك تريديه. أنا أسألك الآن... ولا أمارس عليك ضغطاً غير عادل بأن المسك أو

www.rewity.com

أقبلك »

ذكرته قائلة : « لقد وعدت أنك لن تفعل شيئاً حتى أظهر أننى أريده . ولا أجدنى قد فعلت »

وافقها قائلاً : « ليس بأسلوب صريح . ولكن هل كان هناك أى تساؤل على الإطلاق بشأن التجاذب بيننا ؟ أنا لا أظن ذلك . لقد ظننت فقط أن التوقيت كان خاطئاً . المرة الأولى التى قبلتك فيها لم نكن نعرف بعضنا لوقت طويل يكفى لأن تشعرى بالراحة له . الآن نحن نعرف المزيد بدرجة كبيرة عن كلينا »

عاد النادل بمشروباتها التى كانت اليكس قد طلبتها .

عندما مالا للأمام ليلتقط كأسيها ، قال بهدوء : « الشىء الذى لا أعرفه .. ما هى الخطوة التالية ؟ »

كان السؤال مصحوباً بنظرة جعلت أعماقها تضطرب إضطراباً مضاعفاً . إنه لا يلمسها أو يقبلها ، ولكن مجرد حديثه بهذا الأسلوب يلقى عليها ضغطاً .. ضغطاً ثقيلاً .

هزت رأسها قليلاً وتراجعت فى كرسيها . وفوجئت بأن يدها لا ترتعش عندما رفعت الكأس إلى شفتيها . كانت ترتعد من الداخل .

قال : « على أية حال فكرى فى الأمر... وإذا كنت قد غيرت رأيك عندما اتصل بك مساء الجمعة فهذا حقك . سأصاب بخيبة الأمل ، ولكننى لن أقطب جبينى ، أعدك بهذا . »

فى طريق عودتها إلى شارع روبسون ، داخل اليكس إحساس أكيد بأنه سيقبلها مودعاً .

كانت ذكرى قبلته الأولى لا تزال ملتهبة . إنتظرت فى لهفة

أن تحس بلمسة شفتيه على شفتيها للمرة الثانية .

ولدهشتها وخيبة أملها ، صافحها ولكنه حتى لم يقبلها على وجنتها .

قال : « سأتصل بك فى وقت متأخر من يوم الجمعة . شكراً على الغداء »

فى الصباح التالى ، ضم البريد خطاباً من عمتها . وضمت الدفعة الثانية ، قبل الغداء ، كلمة قصيرة من لورير مكرراً شكره على غداء الأمس .

كانت كلمة مهذبة مختصرة ، يبدو أنه إعتاد كتابتها لكل من يستضيفه . لكنها قرأتها وأعادت قراءتها مرات عديدة كأنها رسالة حب .

بل إنها أمضت وقتاً تتعقب حروف الياء والتاء فى كلمة « عزيزتى » تبحث عن حروف الحاء والباء فى باقى الرسالة لترى كيف تبدو كلمة « حبيبتى » بخط يده .

وبعدما تفحصت النتيجة ، وتمنت لو أنها كانت ما كتبه بدلاً من عزيزتى اليكسندرا ، فلم يعد بإستطاعتها إنكار أنها وقعت فى حبه .

كان يوم الجمعة يوماً طويلاً إلى حد السأم . كانت تعرف أنها لن تراه على كورنيش البحر يومى الخميس والجمعة لأنه كان سيذهب إلى رحلة لصيد السالمون مع أحد أخويه غير الشقيقن . لم تكن تعرف أن هذين اليومين الكاملين بدونه سيكونا لا نهائيين .

عندما دق التليفون بعد الرابعة بقليل من عصر الجمعة ، إستطاعت بالكاد أن تمنع نفسها من إختطاف السماعة . وانتظرت حتى رن ثلاث مرات قبل أن تجيبه .

لم يكن لوريز هو المتحدث. كان جون كازينوبوليس. كان يحدث من تورنتو. وسألها إن كانت ترغب فى حضور حفلة عائلية لعيد الشكر يقيمها هناك فى نهاية الأسبوع.

«إنه كرم كبير منك ياجون. لابد أننى كنت سأستمتع بها لولا أننى قد قبلت بالفعل دعوة لنهاية الأسبوع»

«أوه. سيء جداً. كان ينبغى أن أوجه دعوتى مبكراً. على كل حال فإنه لطيب أنك لن تبق وحدك. مع أن عيد الشكر هنا شيء ضخم مثلما هو فى الولايات المتحدة فإنه ليس الوقت الذى تقضيه بمفردك. لقد إكتشفت ذلك فى الماضى عندما كنت هنا.»

بقى على الخط لبضع دقائق يسأل عن تقدمها فى تصميمات المبانى الإضافية.

وأخيراً قال: «سأكون فى فانكوفر مرة أخرى قريباً. ربما فى الأسبوع القادم. وإلى أن القاك أرجو أن تستمتعى بعطلة نهاية الأسبوع».

«شكراً لك. وأنت أيضاً. إلى اللقاء ياجون.»

شتتت المكالمة تركيزها، وقررت اليكس أن تكف عن العمل لباقى اليوم. كانت قد صممت سجاجيد لكل المبانى الإضافية. وكانت تطرزها مثل السجادة الفارسية التى كادت إيلنيا كليفورد أن تكملها، قبل موتها، لحجرة المعيشة فى بيت دمى ابنتها «الردجابلز».

لم تكن اليكس تزود إبرتها بخيوط غزل «باترنايان» دون أن تتذكر، بكل الحب، يدى والدتها الجميلتين المزينتين بالأساور القديمة التى كان قد إشتراها لها والد اليكس. وسواء كانتا تطرزان، أو تعزفان على البيانو، أو تمسدان شعر القطة،

أو تمشطان شعر اليكس الطويل فقد كانت يدا والدتها دائماً جميلتين ورقيقتين.

كيف كانت سترى، كأم وكزوجة مخلصة، قرار إبنتها بالأ تتزوج مطلقاً؟ لابد وأنها كانت. ستفخر بإنجازات اليكس فى مجال مهنتها، ولكن أكانت ستستنكر حياتها الخاصة؟

لقد إستنكرت العمة جو العلاقة الغرامية الأولى لإبنه أخيها. إنها لم تقل ذلك عندما كانت اليكس تخرج مع بيتر، ولكن بعد ما انفصلا، إتهمت اليكس بأنها أعطت فرصة للطعن فى شرفها.

لقد قالت لها بأسلوبها الصريح: «لقد كنت فى الثانية والعشرين ولم تكن لك أى علاقات غرامية. اليس كذلك؟ ولم يكن لديك أيا من الخبرات الكبيرة فى الحياة.» ثم استطردت قائلة: «هل تعرفين ماذا كانت أحد أمنياتى الكبيرة التى اشتهى تحقيقها فى الحياة.. الجلوس فى الشمس الصيف فى طريق ريفى بفرنسا لأقضم قطعاً من الخبز اللاذع الجاف مع الجبن المصنوع البان الشياه الآتى مباشرة من مصانع روكفورت، وأن أشرب نبيذ الكاهورز الأحمر. ثم استلقى على العشب وأصغى لصوت النحل لما يقرب من نصف ساعة. لن أنسى هذه النزهة ماحييت. وهذا مالا يمكن قوله على أغلب ما تفعلون اليوم.»

قالت اليكس: «لابد أن العم بين يزهو بذلك»

كشرت عمتها وقالت بجدية بالغة: «لقد كانت هناك أوقات مع بين لن أنساها أيضاً ياعزيزتى. إن ما أريد قوله هو أن جيلك قد إستقر فى ذهنه أن الفتاة التى تبلغ الثانية والعشرين دون أن يكون لها عشيق هى إستثناء غريب. أنت لم

تشعرنى بأنك إفتقدت شيئاً هاماً لأنك لم تذهبى إلى فينيسيا أو تعلمت التزحلق على الجليد. أو فعلت أيا من ملايين المتع الأخرى التى تقدمها الحياة. فينيسيا يمكن أن تنتظر أما العلاقات الغرامية فلا. إن العكس تماماً هو ما يجب أن يكون. لقد كان الفضول والخوف من أن تكونى فتاة شاذة هما مادفعا بك إلى علاقتك مع بيتر. أنت لم تحبيه. لاتفعلى هذه الغلطة مرة أخرى يا اليكس. وبأمانة فإن تعطى الفتاة كل ما تملك لمن تتزوج عن حب خير لها من أن تتناقلها الأيدى لمجرد إشباع فضولها ورغباتها ثم يلفظها الجميع فى النهاية.»

فكرت فى هذه النصيحة وهى تعمل فى الصور المصغرة المنقولة على سجادة لإحدى الوحدات فى المبانى الملحقة فى فندق جون الفاخر الجديد. وحادثت نفسها. بالطبع كانت العمة جو تقصد الحب من الجانبين. فوجود الحب من جانب واحد لن يحول دون حدوث الخلاف... ترى ماذا يحمل الغد.

كانت حوالى السادسة عندما رن التليفون مرة أخرى. وكان لورير هذه المرة.

«أوه.. مرحباً. كيف كان الصيد؟» القت اليكس سؤالها وهى تحاول أن تبدو أهدأ مما هى عليه.

«رائع. كيف حالك؟»

«بخير..» هل كان يجب أن تضيف أنها تطلع لرحلتها إلى الجزيرة.

وقبل أن ترتب أفكارها قال: «لم أحظ بنوم كاف ليلة أمس. كان لدى أخى مشاكل أراد أن نسويها بالحديث المباشر. ولذلك فسأتناول عشاء مبكراً ثم أغط فى النوم. هل الساعة التاسعة وقت مبكر للمرور عليك، هذا إذا كانت رحلتنا

كما هى؟» بدا واثقاً أنها كما هى.

«الساعة التاسعة ستكون ملائمة. حسب التنبؤات الجوية، فسيكون الجو دافئاً جافاً فى نهاية الأسبوع»

«دعينا نأمل أن تكون تنبؤاتهم صحيحة. ولكن اعتقد أننا سنجد طرقاً لتسلية أنفسنا حتى لو أمطرت. تصبحين على خير يا اليكسندرا»

«تصبح على خير»

بقيت النبرة المعانقة لتعليقه الأخير عالقه بذهنها طوال ذلك المساء.

لم تكن لتفاجأ إذا قضت الليل تروح وتجىء وقد إكتنفتها الظنون والشكوك حول صواب قرارها. فى الواقع، لقد نامت بعمق واستيقظت فى مزاج واثق ومتأكدة أنها على وشك أن تفعله فهو صواب.

لم يكن هناك سوى إحتشامها المتزمت الذى إستطاع أن يعارض فى ذهابها مع لورير. لكن حتى لو لم يكن هناك تعهداً بينهما، فلم يكن ذلك ليغير من الأمر شيئاً. فقد أصبح بينهما أكثر من الإنجذاب... لقد أحبته.

بعد لورير لن يكون هناك إنسان آخر.

إذا كانت نوعية حياة الفرد أهم من مدتها فإن نوعية علاقة الحب يجب أن تكون أهم من مدتها.

عندما ارتدت ملابسها وجمعت، فى حقيبة ملابس، الأشياء القليلة التى ستلزمها أحست بذلك الشعور الذى تخيلت أن عرائس أيام الحرب العالمية لابد قد شعرن به. أولئك اللواتى كانت شهور عسلهن هى الأجازات السابقة لترحيل أزواجهن على متن السفن والطائرات. كثير من هؤلاء الشبان لم يعد.

كانوا يعرفون، هم وعرائسهم، أن هذا شيء محتملاً. ولكن لم يمنعهم من مجابهة ألم الفراق ولم يمنع الفتيات من مجابهة إنكسار القلب بسبب الترمل.

لقد تزوجت بعضهن فيما بعد. ولكن بعض منهن قضين باقي حياتهم على ذكرى إنشودتهن الرومانسية المتقدة القصيرة. لو أنهن تمكن من البقاء أحياء بعد وفاة أزواجهن فسيمكنها هي. على الأقل لن تضطر لتحمل كروب الحياة فى عالم خال. لابد أن ذلك كان سيمثل بعض الراحة.

نحت أفكارها عن المستقبل جانباً، وعقدت العزم أن تعيش فى الحاضر. وضعت زهور بخور مريم البيضاء فى إناء به ماء لكى لاتكون ذابلة عند عودتها.

مر عليها فى الردهة بضع دقائق ثم وصل لورير.

«صباح الخير» لم يقبلها، ولكن حملت إبتسامته وعداً بعناق بمجرد أن يصبحا بمكان آخر أكثر خصوصية.

«صباح الخير» لم تخف البريق المتجاوب فى عينيها.

سألها: هل هذا هو كل ماستحضريه؟» وتناول منها الحقيبة

«لم أظن أننى سأحتاج الكثير»

قال لها فى إغاظة وهو يفتح باب الردهة: «لن تحتاجى. ولكن ذلك لايمنع أغلب النساء من تحزيم دسته من الثياب الغير ضرورية للاحتمالات الغير واردة»

ضحكت وقالت: «هذه فكرة واسعة الانتشار، وقد تكون صحيحة لبعض النساء الأكبر سناً، ولكن ليس لكثيرات من قريناتى. نحن ننتمى لمبدأ الإيجاز.. نطوف العالم بحقيبة يد واحدة وحقيبة سفر واحدة.. مثلما يسافر الرجال.»

قال: «لابد أنك لك حقيبة سفر ضخمة كى تستوعب مايروقك من الملابس» وراقبها وهى تطوح بساقيها النحيلتين إلى داخل السيارة.

قالت: «لكن الست كذلك. أراهن أن لديك خزانة ثياب ضخمة»

دار لورير حول السيارة، ووضع حقيبتها خلف مقعده. وقال: «لا. ليس لدى» ثم إنزلق إلى جوارها، وقال: «لكن ملابس الرجال لاتصبح خارج الموضة بسرعة مثل ملابس النساء»

قالت: «النساء الذكيات يعلمن أن هذه الموضة التى تتغير من فصل لآخر هى شيء طيب لصانعى الأزياء وليس لهن» ثم استطردت: «البنات الصغيرات جداً يستحوذ عليهن الجرى وراء أحدث صيحات الموضة ولكن من هن فى سنى يتفقن أموالهن فى التقليديات مع النذر اليسير مما يجد كل فترة.»

«أعتقد أنك بذاتك ستكونين ساحرة فى أى شيء.» وكان على وشك إدارة المحرك، ولكنه توقف ومسحت عيناه الداكنتان البريق الحريرى لشعرها والتألق النضر لبشرتها. وقال: «أنت جميلة ياأليكسندرا.. وشذاك دائماً أطيب من ورد الروض»

مال تجاهها وطبع قبلة على وجنتها.

«أنت تفعل الأعاجيب بمعنوياتى» غمغمت قبل أن يتحرك فه بلحظة مستديراً ليطبق على فمها فى قبلة رقيقة ولكنها ملتهبة.

تراجع فى مقعده وابتسم لها ببطء.

«أنت تفعلين بى الأعاجيب. عندما أكون معك أتصرف كصبى فى التاسعة عشرة.»

كانت تعى حرارة نظرته التى جعلت وجهها يتورد كأنها طفلة مدرسية. وأطرقت برأسها.

سألته: «ألا ترى أن الوقت لا يزال مبكراً.»

«ألم ترافقى أحد للنزهة فى مثل هذا الوقت؟»

جعلتها إشارته الضمنية إلى أن لكل منهما علاقاته السابقة تتسأل عما يظنه بها. أكان فضوليا أم غير مهتم؟ من جانبها لم تستطع منع نفسها من التساؤل عن النبهاء فى حياته ولماذا لم تستمر أى منهن.

كان لأخيه غير الشقيق سيزنا مرسى جنوب المدينة لا يبعد كثيراً عن مطار فانكوفر الدولى حيث هبطت طائرتها عندما أقبلت إلى فانكوفر لأول مرة. لم تكن تحلم بأن المرة القادمة التى تطير فيها فإنها ستكون مع حب حياتها بين يديها.

قال: «أنا أطير منذ كنت فى السادسة عشرة. لا تقلقى» وساعدها على ربط حزامها فى مقعد خلف مقعده.

أجابت بصدق: «أنا لست خائفة. لقد كنت دائماً أحب الطيران وأنا متأكدة أنك متمكن من فنون الطيران مثل تمكنك من قيادة السيارات.»

خلال العامين اللذين قضتهما مع بيتر فقد حقق حلمه بإقتناء سيارة فيرارى. لقد خلق لها أسلوب المظهرى المندفع فى القيادة العديد من اللحظات السيئة. وأكثر من معظم الناس، فإن لديها سبب لكى تكون قائدة سيارة حذرة. رغم أن بيتر كان يعرف تاريخها إلا أنه لم يخفف إطلاقاً من أسلوب قيادته المجازف السريع. أيضاً كان من ذلك النوع من الرجال الذين ينظرون لكل السائقات من النساء على أنهن أدنى منزله بالنسبة للرجال. وفى الأحايين النادرة التى كان يركب فيها مع

اليكس وهى تقود السيارة إلى مكان ما، فقد كانت دائماً مدركة لصبره النافذ تجاه ما يعتبره حرصاً زائداً منها.

ورغم أنها كانت المرة الأولى فى حياتها التى تحب فيها بعمق، فقد أدركت كم كانت مشاعرها فاتره تماماً تجاه بيتر. كان مسلياً وجذاباً ولكنها لم تحبه على الاطلاق مثلما أحبت لورير. ورغم أنهما ــ هى وبيتر ــ كانا حبيبين فإنهما لم يكونا صديقين حميمين.

كان غريباً أن تجد نفسها تفكر فى أخطاء علاقتها السابقة وهى تبدأ هذه الرحلة مع لورير. كم كان سيصير شيئاً رائعاً لو أنها ــ هى والرجل الجالس إلى جوارها كانا فى بداية رحلة حياة كاملة معاً.

ولكن حتى لو أحبها لورير، فليس هناك سبيل ممكن لأن تتشابك حياتيهما. حتى مع الأزواج ذوى المهنة الواحدة، مثل الطب، فدائماً تكون هناك مشاكل. لقد كان علم المحيطات والديكور الداخلى غير متوافقين مثل الزيت والماء.

عندما كانا على إرتفاع خمسة آلاف قدم فوق مضيق جورجيا الهادىء ما بين البر الرئيسى وجزيرة فانكوفر، إستطاعت أن ترى شيئاً رائعاً لصخور وعناقيد الجزر الصغيرة ترقد فى حمى الجزيرة الكبرى.

كانت الجزيرة التى يقصد أنها ذات غابات أقل كثافة عن جيرانها. إنخفضت الطائرة المائية تلامس الماء. وعندما تقدمت الطائرة تجاه موضع الهبوط، وجدت اليكس أن المنزل بدأ أكبر كثيراً مما ظهر من الجو.

عندما توقف المحرك، وخلع لورير سماعتى أذنيه، علقت على هذه المعالم.

قال : «لقد قُطعت معظم الأشجار عند بناء الكوخ . وثم استبدال أشجار متساقطة موسمياً ، منها القيقب . كانت الأماكن الواسعة المشمسة هى الإحتياج الرئيسى أكثر من الظل . كما تعرفين ، إذا كنت قد مشيت فى حمرات متنزه ستانلى ، فإن أشجار الصنوبر تكون أماكن باردة مظلمة . »

« لم استكشف هذه الممرات . قد يبدو سخيفاً ، ولكننى لا أهوى كثيراً السير فى الأماكن المهجورة بمفردى . أخشى أن يكون ذلك ضرباً من المساواة لن تستمتع به المرأة بدرجة تامة إطلاقاً . ربما لا يحدث شىء إذا مشيت هناك بمفردى ولكننى أرى من الأفضل ألا أخاطر به . »

« الحق معك . يمكن أن يكون موقفاً مروعاً إذا صادفت معتوهاً هناك . غير أننى سوف أصحبك فى جولة خلاله ذات يوم . »

ساعدها على تخطى حاجز المياه وهى تنزل من الطائرة . ثم أنزل حقيبتها ، واتبعها ببعض صناديق الكرتون المحملة بالمأكولات والمشروبات .

حاولت اليكس مساعدته ، ولكنه رفض وقال : « شكراً لك . سأحضر هذا الصندوق أولاً ثم أعود لأحضر الآخر . » وتقدمها عبر ممر يمتد من حاجز المياه حتى المنزل .

كان منزلاً رحيباً ذا طابق واحد ، تحيط به شرفه واسعة تظللها بروزات متساوية ممتدة من السقف الخشبى الرمادى المائل .

قال : « المكان يُستخدم بإنتظام ولذلك فلن نجده رطباً أو مبتذلاً .. كان هنا شخص ما فى نهاية الأسبوع الماضى . أحياناً يستعيره أصدقاء لنا ، ولذلك فنادراً ما يكون خالياً فى الصيف .

وحتى فى الشتاء فيمكن أن يكون المكان بديعاً مع إشعال نيران فى المدفأة بإستخدام الأخشاب التى تجرفها المياه .

« ماذا عن المياه والضوء ؟ هل تضطرون لإستخدام مصابيح الزيت والشموع ؟ »

ضحك ، وقال : « زوجتا أخوىّ لا تباليا بأن تكونا بدائيتان فى هذا الشأن . ولكن توجد لديهن كل وسائل الراحة المعتادة يغذيها مولد للطاقة . وفى العادة توجد وفرة من المياه بشرط ألا يضيعها أحد . بعد فترة جفاف غير عادية يمكن أن تحدث مشكلة . ولكن هذا لا يحدث كثيراً »

كان الصندوق الذى يحمله مثقلاً بزجاجات المشروبات . وعندما وصلا إلى باب المنزل لم يضع الصندوق على الأرض ، وقال لها : « المفتاح فى جيب سروالى الأيسر . هل يمكنك فتح الباب ؟ »

دست يدها فى جيبه ، وتلمست المفتاح وسحبته .

أحست بدفء وألفة بدرجة خصوصية وهى تضع يدها فى جيبه . نادراً ما تلامس جسديهما .

كان لورير متحفظاً ، كطالب يد عذراء من العصر الفيكتورى ، فنادراً ما لمسها بين قبلتها الأولى والثانية .

وحسب ما تعلمته فإن التجاذب الأولى ليس ضماناً بأن وراءه ألفة ومباهج أعظم . إنها لم تجد ذلك مع بيتر رغم وقوعها فى شرك إدعاءها أنها تشاركه سعادته وأحاسيسه طيلة علاقتهما .

لن تفعل هذه المرة . إذا لم تجد فى لورير ما يغمرها بالسعادة فلن تدعى أنه قد حدث . غير أنها كانت ترجو فى إستماتة أن يحدث . ربما تكون هذه هى نزهتها الوحيدة والأخيرة فى تلك البلاد قبل أن تعود لوطنها . وأيا كان ما يحدث فلن يغير من

حبها له. إنها لاتجد فى نفسها رغبة أن تكرر هذه التجربة مع غيره. وستغرق بعد ذلك فى عملها حتى أذنيها.

فتحت الباب، وتراجعت خطوة لتفسح له طريقاً للدخول قبلها، ثم تبعته. تسلل بعض الضوء من الباب المفتوح ليغمر المكان كاشفاً عن حجرة معيشة بسيطة رحيبة بصدرها مصطلى كبير وقاعدة مدخنة بنيت من قطع صخرية خشنة المقطع.

كانت الكراسى والأرائك الواسعة الوثيرة تدعو للاسترخاء. وكان أحد الجدران مغطى تماماً بالكتب والمجلات الحكومية. كان كل مايفصل المطبخ عن حجرة المعيشة مائدة طويلة للإفطار. وضع لورير الصندوق على المائدة، ومضى يفتح النوافذ ويدفع مصاريعها للخارج. كانت كل نافذة تطل على مشهد مختلف من المياه والجزر القريبة والبعيدة.

إستدار ليفتح أحد الأبواب الداخلية، وقال: «يمكن أن تبدأى فى إفراغ هذا الصندوق ريثما أحضر صندوق الطعام.»

«كانت اليكس تدير بصرها فيما حولها. وسرعان ما وقعت عينها، من نافذة الحجرة التى فتحها، على منظر رائع جدير، إلى أبعد الحدود، بالرسم أو التصوير.

فى مقدمة المشهد كان هناك مرج ناعم يمس حافة المياه. وفى الوسط كان مركب شراعى يتهاوى على صفحة الماء البراق. فى الخلفية كانت المرتفعات الشاهقة، المكسوة بالغابات، تسمو إلى السماء الزرقاء.

قالت وهى تتقدم إلى عتبه الحجرة: «ياله من منظر خرافى»

«اليس كذلك؟ وهذه الجهة من المنزل لايوجد فوقها أى بروز، ولذلك ترسل شمس الصباح بأشعتها إلى الداخل

مباشرة. وفى الليالى الصافية يمكنك أن ترقدى فى الفراش وتحدقى فى النجوم.»

كيف عرف ذلك؟ هل حكى له أقرباؤه؟ أم أنه قضى الكثير من العطلات على الجزيرة من قبل.. ومع من؟

وخزتها طعنة من الألم. يمكنها أن تقبل أنه كانت هناك أخريات قبلها. ولكن، بطريقة ما، لايمكنها تحمل فكرة أنه قد صحب غيرها إلى هذه الجزيرة.. كيف تدعى أن عملها هو أهم مالديها. وأنها لن تتزوج ثم تحب هذا الرجل.. ثم تتنكر لذلك.. ثم.. ثم تشعر بوخزه غيرة لأنه عرف نساء قبلها... و...

وأفاقت على صوته: «سوف أعود سريعاً»

وأنطلق خارجاً لإحضار الصندوق الثانى، وبدأت اليكس إخراج بعض حاجياتها.

عثرت على الحمام المجاور، ورتبت أدوات زينتها فى الخزانة التى تتصدرها مرآة فوق حوض غسيل الأيدى. ثم سمعته يدخل المنزل مرة أخرى. كان وقع أقدامه مسموعاً وهو يعبر المساحات المغطاة بالألواح الخشبية والتى تفصل بين السجاجيد.

سرت رجفة مفاجئة بأصابعها وهى تغسل وجهها.

ناداها: «هل ترغبين فى بعض القهوة؟»

رفعت صوتها لتجيب: «نعم، من فضلك»

كان غباء أن تقلق إلى هذا الحد ولكنها لم تستطع تمالك نفسها. وبدت كأنما هجرها كل هدوءها الطبيعى فجأة. أحست بالخجل وفقدان الثقة كفتاة صغيرة السن.. هل سيمكنها إسعاده مثلما تأمل أن يسعدها؟ هل تتمكن من كبح كلمات الحب التى طالما إشتاقت لأن تصبر عنها؟ وأن

تسمعها .

كان لورير يملأ الثلاجة بالأطعمة عندما إنضمت له فى المطبخ . خف قلقها بعض الشىء وهى تراقبه يركز على ترتيب إحتياجاتها على أرفف الثلاجة الخضراء الكبيرة . كان هناك موقد متوافق معها ، وقد وضعت غلاية القهوة على إحدى شعلاته الموقدة .

قال لها من فوق كتفيه : « ستجدين الفناجين فى الخزانة العلوية إلى اليسار »

تناولت فنجانين وبدأت تفتح علبة اللبن التى كان قد وضعها على طاولة العمل بالمطبخ

قال : « دعينى أفعل ذلك لك .. هذه الأشياء قد تكون متينه عسيرة الفتح . وقد تكسرين أحد أظافرك »

تركت له القيام بالمهمة . وفكرت .. لابد كانت له علاقات نسائية طويلة لأن يعرف أن علب اللبن تعد خطراً على أظافر الأصابع . أو ربما أنها كانت مهنته ، ليس إلا ، هى ما جعله دقيق الملاحظة بدرجة غير عادية لتفصيلات الحياة .

بعد أن فتح لها العلبة عاد بإهتمامه إلى الثلاجة .

وعلقت قائلة : « تبدو وقد وضعت إمدادات تكفى لحصار »

« كل فرد يأكل هنا دائماً ضعف ما يأكله فى العادة . دعينا نأخذ قهوتنا خارج المنزل . سأريك ما يحيط به . »

كان هناك طريقاً متعجاً حول حافة الجزيرة خلف منصات مائلة لصد المياه عن الجزيرة . لم تكن هناك براعم لأى أزهار ولم يكن هناك أى من صفات حدائق المدينة . فقط كانت هناك شجيرات وكروم زُرعت لتزيد من جمال الجزيرة الطبيعى . وهنا وهناك كانت تتناثر خلجان صخرية ذات

شواطىء صغيرة .

لقد رأت من الجو أن الجزيرة بها ملعب تنس .

« هل تلعبين التنس يا اليكسندرا ؟ »

« أعرف كيف اللعبة ، ولكنى لست ماهرة جداً . لم العب منذ تركت المدرسة ، وكان هذا منذ وقت طويل . »

« ما نوع المدرسة التى كنت بها ؟ مختلطة ؟ أم بنات فقط ؟ »

« بنات . ولكن كان لعمتى وزوجها أربعة أولاد . ولذلك فبعد أن ذهبت لأعيش معهم ، سرعان ما أصبحت معتادة على وجود كثير من الأولاد يملأون المكان . أوه .. إن لديك بيتاً من الأشجار للعب الأطفال . كان هذا شىء يريدونه دائماً . ولكن لم يكن بحديقتنا نوع الأشجار الملائم . »

« هذا البيت بناه لى رجل عجوز إعتاد أن يؤدى لأجدادى أشغالاً غريبة . لقد ساعدته فى تشييده . »

وأقتربا من شجرة ضخمة عريضة الأوراق بُنى بين فروعها بيت خشبى يرتفع عن الأرض بحوالى عشرين قدماً . قال لورير : « فى البداية لم يكن له سلم ، وقد أضيف فيما بعد . لقد تعودت أن أصعد إليه بهذه الطريقة . »

ناولها فنجانه الفارغ ، ثم تقدم وقبض على حبل متين يتدلى من أحد الفروع فوق بيت الأشجار ويمر بالقرب من الدرج المؤدى له . جذب نفسه بخفة إلى أعلى ، يداً فوق يد ، دون أن يستخدم ساقيه ليساعداه . وبعد لحظات كان بأعلى الدرج ينظر لها وهى بمكانها على الأرض .

قال بإبتسامة ساخرة : « لقد إبتعدت عن التدريب على تمثيل دور طرزان . كان من عادتى أن أصعد الجبل كشعاع

من البرق »

قالت فى إعجاب : « أنت لست غير كفؤ الآن » . وضعت الفناجين على الأرض عند جزر الشجرة ، وبدأت تتسلق الدرجات الشبيهة بالسلم التى كان يوجد منها مجموعتان يلتقيان بزاوية معينة .

عندما إنضمت له أعلى الدرج ، قال فى لمحة من السخرية الذاتية : « كنت أستعرض . أنت تعرفين هذا . أليس كذلك ؟ لم استعرض أمام فتاة منذ حوالى عشرين عاماً . ربما لأنك ، عندما يكون شعرك مسترسلاً ، ولا تضعين ماكياج ، تبدين أصغر كثيراً من سنك »

فى الواقع كانت ماكياج ، ولكن بلمسة خفيفة .

تحرك بإتجاهها وامتدت يداه الرشيقتان إلى يديها . سدد إلى عينيها نظرة حانية وهو يقول : « بالنسبة لفتاة فى السابعة والعشرين أنت تبدين ، لدرجة مذهلة ، لم تمسسك الحياة يا اليكسندرا . لا يمكن أن تكون هذه هى المرة الأولى التى تخرجين فيها فى رحلة كهذه . اليس كذلك ؟ »

وجدت نفسها تتمنى لو أنها كانت كذلك . وأن العلاقة الفاشلة مع بيتر لم تحدث على الإطلاق .

هزت رأسها قليلاً ، وقالت : « لا . كان هناك شخص آخر .. شخص واحد .. منذ ثلاثة أعوام . ولكنه لا أحد منذ ذلك الحين . »

رفع يديها إلى شفتيه ، ومس براجمها (التقاء السلاميات) بقبلات رقيقة . وقال بصوت مبحوح : « أنت تشرفيننى »

كان قلبها يدق دقات ثقيلة بطيئة . وجدت من الصعب أن تلتقط أنفاسها .

وضع يديها على كتفيه ، ووضع يديه حول خصرها . وحدق كل منهما فى الآخر للحظة طويلة .

ثم جذبها إليه وانحنى يقبلها .

عندما رفع رأسه ، أمضيا بضع لحظات يتبادلان رسائل صامته .

خرج صوته هامساً : « اليكس ، أنت بالغة الجمال .. »

قالت فى دلال تتعمد إغاظته : « ربما يبدو أى شىء جميلاً فى هذا المكان الساحر »

« لم أر الجزيرة بهذا البهاء من قبل .. ربما تأخذ أبهى زينتها تقديراً لضيفتها الجميلة »

وتعانقت ضحكتها :

أحاطها بذراعه وهما يهبطان ، وقال : « سأذهب لإعداد ملعب تنس ريثما تبدلين ملابسك . »

« لكننى أكاد أكون نسيته »

« لنتذكره سوياً »

عندما عادت من المنزل وجدته بإنتظارها وقد إرتدى زياً رياضياً أبيض اللون . وقالت ضاحكة : « هاقد تفوقت علىَّ فى سرعة تبديل الملابس ... بداية غير مطمئنة »

كان لعبها بطيئاً ، ولكن لم يحاول إبداء تفوقه . بل سمح لها بتوجيه بعض الكرات لعبات جميلة قرب أطراف الملعب . ربما كان يقصد تهيئة الفرص لها ... كانت لفتات رقيقة تنبىء عن مدى كياسة ذلك الرجل . بل ربما كان يتصنع عدم قدرته على صد بعض لعباتها .. وتنطلق ضحكاتهما .

بعد حوالى ساعتين صاح قائلاً : « ما رأيك فى أن تكون الجولة القادمة هى السباحة »

أومأت بإبتسامة مشرقة.

عندما وصلا الشاطىء، وقد إرتديا ثياب الاستحمام، رأيا فى عرض البحر قارباً صغيراً به صبى يتسلى بصيد السمك. إتخذه هدفاً لتسابقهما. ومرة أخرى تبادلا السبق.. وتبادلا الضحكات المدوية على إمتداد صفحة المياه الزرقاء.

ربما سرت سعادتها إلى الصبى، فاستقبلها بإبتسامة واسعة وهما يدوران على بعد أمتار من قاربه كان فى حوالى الرابعة عشرة رحب بأن يشاركاه صيد السمك. إتجهو إلى صخرة بارزة قرب الشاطىء. وجلسا إلى جوار الصبى. أمسكا بسنارة واحدة. لم يكونا ينظران إلى الغماز، بل إلى صورتهما التى عكستها المياه. وكم غفلا عن سنارتهما، فلم يصيدا سوى بعض الأعشاب وبعض أسماك صغيرة. كان الصبى يشاركهما الضحك فى كل مرة تخرج سنارتهما خالية ويوجه لهما نصحة بلا جدوى.

ضحكت اليكس كما لم تضحك فى حياتها. كان السعادة تسرى فى كل كيانها، وتنطق بها كل قسماتها.

حتى ذرفت دموع السعادة رغماً عنها.

قرب العصر، دعاهما الصبى لمشاركته فى وجبة سمك من حصيلة الصيد. غير أنهما كان يتوقان للعودة إلى عالمهما الخاص. شكراً الصبى على كرمه، ودعاه.

إتصل جو البهجة والمرح أثناء عودتها إلى الجزيرة وعندما وصلا الشاطىء توقف عن الضحك وقال مبتسماً: «هل ترغبين فى تناول الغداء؟»

«هل هو وقته؟»

«لا يوجد برنامج زمنى هنا. يمكننا أن نمرح عندما نريد،

ونأكل عندما نريد». وأغنى يطبع قبلة على طرف أنفها.

فى طريقهما للمنزل تأخرت عنه اليكس لتجمع بعض زهور تزين بها مائدتها. ولكن كان من العسير أن تجد أيا منها.

بينما كانت تقترب من المنزل، جاءها صوته ضاحكاً: «ربما إستحت الزهور أن تنبت فى وجود زهرة جميلة فى زيارة للجزيرة.. المقارنة ليست فى صالحهم.»

رنت بإبتسامة عذبة، وقد إندفعت الدماء إلى وجنتيها.

وتابع: «عندما تنتهين من أخذ حمام سيكون الغداء جاهزاً يا زهرتى الجميلة»

فى الحمام، نظرت لنفسها فى المرآة. إن المرأة تشعر كأن الحب يغير من بنيانها. فى أيام سعادتها المزعومة مع بيتر لم تلحظ ذلك. أما الآن فهى تشعر أنها تبدو مختلفة.

بسط لورير مائدة فى ضوء الشمس بالشرفة. كان ينزع الرقيقة الفضية لزجاجة شمبانيا عندما انضمت له.

تلقاها بنظرة إستحسان وابتسامة مرحبة.

نظرت اليكس فى استحسان مناظر للغداء الذى أعده. لقد كانت نزهة فى الأصل، ولكن أيضاً استعراض للسلوك الرفيع.

«أنا عادة لا آكل كثيراً فى الغداء ولكننى اليوم فى غاية الجوع. لابد أنه هواء البحر»

«أو المجهود الغير عادى»

انقبض حاجباه، وقال: «الم تتوقعى ذلك»

«لم أتوقع كل هذه الروعة والبهجة. لقد عشت تجربة لم أعرفها من قبل.»

أخرج سدادة الفلين من الزجاجة، وسمح لخيط رفيع من البخار أن يخرج قبل أن يسكب شلالاً رهيباً فى الكأسين

الطويلى الساقين. بدا وجود مثل هذين الكأسين فى منزل صيفى شيئاً غير عادى. ربما أحضرهما معه.

وضع الزجاجة فى دلوبة ثلج بجوار المائدة، والتقط الكأسين وناولها أحدهما.

نظر لها فى حنان بالغ لدرجة أنها أحست بغصه فى حلقها.

وفى إرتباكها أخذت جرعة سريعة من الشمبانيا. كانت الكلمات على طرف لسانها تقول: «أنا أحبك يالوريز» ياإلهى... ماذا لو أنها إنزلقت منها؟ لابد أن الإرتباك سيكون شنيعاً. لم يكن الحب جزءاً من إتفاقيتها. فلماذا تجتاحها هذه الأحاسيس إذن؟

«دعينا نشرب هذا النخب. نخب السعادة» وبطريقة رقيقة لمس جانب كأسها بجانب كأسه. كررت: «السعادة»

كان أختياراً جيداً لنخب أول زجاجة يتقاسمانها من الشمبانيا. السعادة ليس لها وقت محدد. يمكن أن تكون لحظة مفردة، ساعة، يوم، نهاية أسبوع طويلة، أومدى الحياة. وبالنسبة لها كانت هى نهاية هذا الاسبوع... لكأنها كانت فى الجنة.... وماذا بعد.....؟ ...رأت من الافضل ألا تفكر فيما هو أت وأن تعيش فى الحاضر فقط.

قالت: «هذه تبدو سلطة رائعة» ونظرت إلى الصحفة التى تحتوها. رأت فيها مكونات السلطة العادية: الأفوكاتو والخوخ والعنب والبندق.

«إحدى زوجات أخوتى مهوسة بالطعام الصحى. إن لويس لا تقبل لحم الخنزير، وتغذى عائلتها بطعام نباتى يجب أن أعترف أنه جيد جداً.»

«أظن أن لحوم الخنزير كانت جزءاً لايتجزأ من حياة

الأمريكين الشماليين؟»

أومأ قائلاً: هم كذلك. ربما لأن هذه هى الطريقة الوحيدة التى يمكن للنساء بها أن يدفعن الرجال للقيام ببعض عمليات الطهى. ورغم ذلك فإن لويس لاترى الخطر فى مجرد الإكثار من شرائح اللحم المفروم والسجق. بل إذا تم شيها على الفحم، كما يفعلون أحياناً، فإنها فعلاً تكون مسببه للسرطان. الشرائح الوحيدة التى ترى على مائدتها هى شرائح السالمون. عائلتها لا تأكل لحم البقر على الاطلاق ماعدا كبد العجول.»

هل توافق على هذا النظام الغذائى؟

«لما لا؟ إذا كان لى زوجة ذكية درست التغذية، وتريد أن تبقينى حياً وقوياً أطول مايمكن فساكل أى شىء تقترحة. تتجلى صحة نظريات لويس فى تمتعها هى وعائلتها بصحة وعافية أكثر من جريت وإيان اللذين يأكلان فى المطاعم أكثر مما يأكلان فى المنزل. إن أبنائهما أكبر وقد تركا المنزل.

عائلة لويس وماكس أكبر ولديهما طفلان لايزالا دون العاشرة. لابد أن تقابليهم. إنهم جماعة ممتعة. لا أظن أنك تشتركين مع مرجريت فى الكثير.»

تناولت فطيرتى لحم، ربما إشتراهما من محل «لا ماد راج»، وأخذت كمية وافرة من السلطة.

«لماذا تقول ذلك؟»

قدم لها سلة من الخبز الفرنسى، وقال: «ربما لأننى لا أحبها. ونحن ــ أنا وأنت ــ يبدو أننا نتقاسم الكثير من الآراء.»

«ما الذى لاتحبه فيها بالتحديد؟»

«إنها من ذلك الصنف من النساء التى تحب أى شخص

فى منصب مرموق بصرف النظر عن صفاته الشخصية. إنها تمضى الكثير من وقتها فى مؤسسات التجميل أشك أنها أجرت بالفعل جراحتين لتجميل الوجه. وأنا لم أعرف ضحكتها الحقيقية على الإطلاق.»

أنهيا الوجبة بتقاسم ثمرة شمام ثم مقدار وافر من اللوز المحلى بالسكر. ومع القهوة قدم شيكولاته داكنة لذيذة مصنوعة بالمنزل.

إنتقى قطعة شيكولاته، ووضعا الأطباق فى غسالة الأطباق.

وبعد قليل كانا يسترخيان على مقعدين فى الشرفة. مددت جسدها وهى تقول: «إن فانكوفر تبدو على بعد مليون ميل.. لكن يتملكنى إحساس رائع.»

«وأنا أيضاً... ما رأيك لو تأخرنا هنا قليلاً لنمضى سهرتنا فى صيد السمك.»

«فكرة رائعة... وأرجو أن توفق هذه المرة».

عندما تكاثرت السحب بعد الغروب ولم يعد هناك أى ضوء للقمر، أصر على إتدراءها ثوب النجاة مخافة أن تسقط من فوق حاجز المياه حيث سيقومان بالصيد. وفى الظلام، أخذها لصيد أسماك الروبيان. ولدهشتها كانت المعدات اللازمة تتضمن موقداً صغيراً من مواقد المخيمات لطهى حصيلة صيدهما فى الحال.

بعدما أراها مصيدة السمك البسيطة المنزلية الصنع، قال موضحاً: يمكننا أن نأخذه للمنزل، ولكن نصف متعة الصيد تكمن فى طهى حصيلته فوراً على الرصيف تحت بريق أضواء المنارات»

كانت المصيدة تتكون من طوق معدنى خيطت به قطعة من الخيش على شكل سلة. ربطت بحافة الطوق، وعلى مسافات متساوية، أربعة أسلاك تجمعت فوق مركزه حيث تتصل بحبل طويل.

كان الطعم علبة سردين مليئة بالثقوب.

أنزل المصيدة إلى الماء، وثبت الحبل، وعلق قائلاً: «إن أفضل طعم هو رأس سمكة كبيرة، ولكن هذا الطعم سيقوم بالمهمة.»

كان قد أحضر إثنين من كراسى المخيمات. جلسا فى الظلام ــ فى الواقع لم يكن ظلاماً كاملاً عندما إعتادته الأعين ــ يستمعان إلى أمواج البحر تغسل دعائم الرصيف تحتها. كان هو الصوت الوحيد فى السكون.

شدت على كتفيها السترة الصوف الزيتية التى كان قد أحضرها لها من بين حاجيات إحدى بنات أخيه الشابات.

مد يده إلى يدها، وسألها: «هل تكرهين وجودك هنا فى الليل؟»

«يا له من سؤال غريب. لماذا يجب ذلك؟»

«بعض الناس يروعهم وجودهم فى مكان منعزل دون بيوت بالقرب منهم. إنه المكان يبدو وكأنه حافة العالم.»

هل يعنى بكلمة «ناس» بنات أخريات جئن معه إلى هنا؟... ونبذت الفكرة من عقلها.

أجابت: «قد لا أستمتع بوجودى هنا وحدى، ولكن طالما أنك معى فأنا أستمتع به»

صمتت فترة ثم سألته: «هل هناك أية دببة على الجزر الكبيرة؟»

«لم تعد موجودة. ذات يوم قابلت بعض الجوالة من أوربا وقد إستيقظوا أثناء الليل على أثر ضوضاء أزعجتهم حتى اكتشفوا أنهم كانوا يستمعون إلى أحاديث أسود البحر قبل النوم.» وتردد صدى ضحكتة عبر الماء. وتابع: «فى يونيو ويوليو تتزاوج أسود البحر الشمالية فى الخلجان الضحلة حول الجزر. يكون للذكر الواحد مايصل إلى عشرين أنثى. إذا شاهدتهن من مسافة قريبة فإنهم يبدو كمرفأ صغير عائم لرصد السفن. لم أر أياً منها بالقرب من هنا، ولكن كثيراً ما تأتى عجول البحر لتأخذ حمامات شمس على شاطئنا.»

وسألت: «لماذا تسمى الجزر جزر الخليج بينما على الخريطة فإن الممر بين جزيرة فانكوفر والبر الرئيسى يسمى مضيق جورجيا؟»

«فى الأصل قام بتسمية الممر الكابتن فانكوفر من البحرية الملكية. سماه خليج جورجيات على شرف الملك جورج الخامس. بعد حوالى ثمانين عاماً تمت إعادة تسميته بواسطة أحد الأدميرالات ولكن بقى الأسم الذى أطلقه فانكوفر ملتصقاً به.»

ترك يدها، ونهض ليرسل ضوء بطارية كاشفة إلى الأعماق.

«لم يحدث شىء حتى الآن. فى بعض الأحيان، عندما يبدأ الروبيان فى الأكل، يمكنك صيد ملء ثلاثة أو أربعة مصايد فى ساعة. ثم يكون هناك هدوء مؤقت قبل أن تظهر الموجة التالية»

فى الظلام، جلست اليكس تفكر فى هؤلاء المستوطنين الذين جاءوا منذ وقت طويل إلى هذا الجزء الشمالى الغربى

المطل على الباسفيك ليبنوا بيوتهم ويربوا صغارهم هنا. أى شجاعة تلك التى كانت تتحلى بها عروس تترك وطنها الأصلى، وكل ما ألفته، لتشارك زوجها نضاله فى ترويض الرقعة التى تخصها من البرارى. ورغم ما أضطروا لتحمله من المشقة الجسدية وظروف المعيشة البدائية، لاأن حياة المرأة كانت، من بعض الأوجه، أقل تعقيداً وصعوبة منها الأن.

كان الزواج بالنسبة لمعظمهن هو الخيار الوحيد. وقليلات، قليلات جداً، فعلن شيئاً أخر بحياتهن. ولكن بصفة عامة كانت أقدارهن تُقرر لهن. ربما كره بعضهن الأمتثال للنموذج الموضوع، وبخاصة حمل الأطفال الإجبارى خلال سنوات خصوبتهن. ورغم أن النساء فى الأقطار الغربية قد تحررن من هذا العبأ الأن، إلا أنهن لم يتحررن من التكيف العاطفى الذى يقول لهن أن عدم إنجاب أطفال هو فقد لأهم تجارب الحياة.

هنا على الجزيرة، كان لديها الكثير جداً من الإدراك لهذا الضغط العاطفى. كان المنزل حافلاً بالأشياء التى تذكرها بأنه لم يكن فى المعتاد ملاذاً للعشاق بل منزل عائلة. كانت هناك كتب أطفال على الأرفف، وفى إحدى الحجرات التى تستخدم كمخزن كانت هناك سترات نجاه وأحذية مطاطية للأطفال. كان معدل نمو أبناء وبنات إخوة لورير مسجلاً على أحد جدران غرفة المعيشة. إزدانت جدران أخرى بصور حفلات أعياد بالجزيرة، وصور الأولاد والبنات فى سنى مراهقتهم وهم يعرضون فى فخر حصيلة صيدهم من السالمون، وصور الأطفال وهم يجدفون بمهارة فى الزوارق الطويلة الخفيفة أو يحتشدون فى القوارب الشراعية.

لكن العقل والذاكرة يقولان لأليكس أن حياة العائلة،

حتى فى الأجازات لم تكن كلها ضحكاً وتآلفاً محبوباً. أيضاً تعبس الأوجه وتنفجر المشاجرات لأمور تافهه. وحتى عندما يكون الجميع سعداء فنادراً مايكون لدى العائلة وقت كى تستريح.

متى تحصلت عمتها، التى كانت فنانة موهوبة، على أية فرصة للرسم دون مقاطعة؟ لم يحدث مطلقاً. كانت دائماً مشغولة جداً فى تلبية إحتياجات وظيفتها كمورد شامل لكل شىء من الوجبات الخفيفة حتى الأسعافات الأولية.

بمجرد أن يصبح للمرأة أطفال فإنها تصبح مشغولة على مدى أربع وعشرين ساعة فى اليوم. وحتى إذا إستطاعت أن تدفع الناس ليخففوا عنها بعضاً من مسؤليات إمومتها، فعادة مايؤرقها إحساس بالذنب لأنها ليست أما كما ينبغى، وسيعانى أطفالها من إهمالها.

قال لورير: «أنت هادئة جداً!»

لم ترغب أن يشاركها أفكارها، فقالت: «هل الصمت يطرد الروبيان؟»

وكإجابة، أضاء البطارية مرة أخرى وطلب منها أن تمسكها له، وأخذ يجذب المصيدة ببطء. عندما إقتربت المصيدة من سطح الماء، تبدى لها عشرات من الحبات اللامعة الصغيرة التى تكشف أنها عيون أسماك الروبيان وقد تجمعت حول الطعم.

قال: «هذه من نوع (الكون)» وأفرغها فى دلوبة ماء مالح، وأنزل المصيدة مرة أخرى.

قال: «البعض يغمرونهم فى ماء عذب، ولكن هذا يفسد الطعم. يكون طعمهم أفضل لو تم غليهم فى ماء البحر مع إضافة بعض الملح. سوف نصيد كمية أخرى قبل أن نبدأ فى

الطهى.»

حتى هذه اللحظة، لم تكن قد أعطت أى تفكير لموت أسماك الروبيان. الآن، وقد أدركت أن هذه المخلوقات الصغيرة سيتم غليها عاجلاً، تساءلت عما إذا كانا سيستمتعان بأكلها. إن شراء أسماك روبيان ميته من تاجر السمك يختلف عن مشاهدة إعدامها. ولكن أدركت أنه من غير المنطقى أن تأكل الأسماك التى قتلها الآخرون، بينما تأبى أن تكون فرداً من جماعة الموت لصيد لورير.

لو أنها صرحت بوخزات ضميرها فسيعتقد بأنها غبية. لقد كان رجلاً شغوفاً رقيقاً. لكنه أيضاً واقعى. قد يحترم أراء النباتيين، لكنه سيتبرم تماماً من الوساوس المتضاربة.

بعد الحصيلة الثانية، تم طهى أسماك الروبيان لعدة دقائق أكسبتهم اللون الأحمر. ثم إنتشلهم وتركهم ليبردوا. عندما أصبحت جاهزة للأكل أراها كيف تمسك الرأس وتضغط الذيل لتدفع اللحم خارج قشور السمك.

كانت أسماك الروبيان لذيذة بعد أن تم غمسها فى صلصة خاصة أعدتها إحدى زوجات أخوية وأحضرها معه فى إناء معدنى. كان معها زجاجة من النبيذ الأبيض، وبعض خبز الثوم الذى تم لفه جيداً بعد خروجه من الفرن فبقى دافئاً.

غمغمت اليكس على الفور: «إم م.. إنه عيد للأمة»

قال لورير: «ربما لايكون عيداً، وإنما فعل المشهيات الطيبة»

فى الضوء الخافت المنبعث من البطارية الصغيرة، وضع سمكة مقشرة فى طبق ورقى فى حجرها. كان أسرع منها وأكثر خبرة فى التعامل مع هذه الأسماك. ومن كل إثنتين

يقشرهما كان يعطيها واحدة.

كانت متأكدة، مع سلوكه الرائع فى هذه اللحظات، أنه سيكون كريماً بنفس الدرجة فى أى وقت وأى ظروف تنقص فيها مؤونه الطعام.

لم يلتفت لإعتراضها بأن لديها أكثر مما لديه. وقال بإبتسامة مغيظة: «هذا شىء متعمد. فأسماك الروبيان عالية بقيمتها الغذائية وتعطى الكثير من الطاقة والحيوية.»

قالت ضاحكة: «هل تلمح إلى أنك تجدى رفقتى غير ممتعة، وتأمل أن تنعشنى أسماك الروبيان.»

كان يرفع رأسه، ولكنه أوقف الحركة، واستحال وجهة الضاحك إلى الجدية.

«حتى جئنا إلى هنا، كنت أراك محاطة ببعض التحفظ، نوع من البرود الذى حيرنى. تلك القبلة الوحيدة، عندما إستطعت أن أنفذ خلال الجليد للحظات معدودة، لم تشكل الكثير مما يدفع للإستمرار.. ولكننى الآن أعرف أن غريزتى كانت على حق. كان التحفظ مجرد مظهر كاذب. اليكسندرا الحقيقية كانت ذات قلب رقيق، وصحبة دافئة ممتعة.»

قال ذلك، وأكمل حركة الشرب التى كان قد أوقفها.

أحست بالإنهزام التام أمام ثناءه. تفجرت ينابيع السعادة داخلها. فى هذه اللحظة أحست أنه لاشىء يهمها فى الحياة سوى أن تحيا وتحظى بحب ذلك الرجل الرائع النادر، والذى لا يزال مصيره فى طى الغيب بالنسبة لها.

ارتسمت على شفتيها إبتسامة براقة. ولكنها لم تسمح لنفسها أن تقول شيئاً سوى: «ربما يرجع ذلك إلى أنك رفيق رائع جداً يا لوريز. ربما هو الدم الفرنسى بك. فى الواقع لقد بدأت

أصدق أن الأسطورة حول الرجال الفرنسيين لها بعض الأساس.»

إتصل الصمت بينهما للحظات. ثم قال فجأة: «ما رأيك لو نقضى الليلة ونهار الغد فى فيكتوريا؟»

لم تظن أنها سترى أجمل من هذه الجزيرة، ولكنها أحست أنه يفكر فى تقديم متعة لها بأن يأخذها لترى عاصمة كولومبيا البريطانية.

«ألن تكون هناك مشكلة فى العثور على مكان للإقامة دون حجز مسبق خلال أسبوع عيد الشكر؟»

«أعرف من يسهل لنا ذلك. أشهر فندق فى فيكتوريا هو (الامبراطوره الكبيرة) لكن يمكن زيارته فى أيام أخرى أفضل. أنا أفضل فندق (لوريل بوينت). سنحاول العثور على حجرتين متجاورتين.»

«حسنا. لكنى دعنى أستضيفك. لم أساهم بشىء حتى الآن»

هز رأسه قائلاً: «لقد دعوتك.. هل تذكرين؟»

«نعم ولكن الذهاب إلى فيكتوريا شىء أضافى. لماذا يجب أن تتحمل كل الفواتير؟ إنه ليس عدلاً.»

«إنه الأسلوب الذى يعجبنى.. عندما تقابل فتاة جميلة مثلك رجلاً مثلى.. فيجب أن يقدم شىء يا طفلتى»

كان رده الساخر إشارة لجزء من أسطوانة أغانى قديمة استمعا لها أثناء إقامتهما على الجزيرة واحد قائلاً: «على الأقل دعينى آخذك للعشاء فى الغد»

«بالتحديد لا. دع لزملائك هذه الإيماءات للحقوق المتساوية. نحن لسنا فى هذا النوع من العلاقة»

هل كان واعياً مثلها للسؤال الذى يُعد نتيجة طبيعية لتلك الجملة: «أى نوع من العلاقة ذاك الذى يوجد بيننا؟».

الفصل الرابع

(أحبك ولكن ...)

قالت اليكس : « نحن لسنا متساويان » ورفعت حاجبها فى إدعاء مازح بأنها على إستعداد لإبداء الإستياء .

« أنت تعرفين أننا لسنا كذلك . أنا أقوى منك »

واستعرض بأن أخذ معصميها فى قبضة حازمة وثبتها خلفها وجذبها إليه .

اضطرت أن تميل للخلف لتنظر إلى عينيه الداكنة الساخرة . وقالت : « ولكنك فى الواقع لن تستخدم قوتك ضدى . »

« هل أنت متأكدة »

« تماماً . »

« ولكن لايمكنك تخليص نفسك حتى أسمح لك . ألا يؤلمك هذا . »

قالت فى غمغمة ناعمة : « ينبغى ذلك ... إذا ما حاولت التخلص »

وعندما ترك معصميها ليحتضنها ، إنتزعت نفسها ، وأندفعت

كالسهم بإتجاه المنزل مستهدية بالأنوار المنبعثة منه . كان يمكن للهروب وللمطاردة التى تلته أن ينتهيا سريعا ، ولكن سره أن يتركها تراوغه لبضع دقائق .

كان فندق لوريل بوينت يتكون من مبنى حديث غير شاهق الأرتفاع . بُنى على شبه جزيرة بين المرفأين الداخلى والخارجى ، وتحيط به الحدائق العامة التى تتدرج حتى حافة الماء . كان قريباً من قلب المدينة ولكنه معزول عن ضجة المرور والصخب .

بعد أن تم ارشادهما إلى حجرتيهما ، دلفت إلى الشرفة تستطلع المنظر الذى تطل عليه . وسبحت فى أفكارها .. الآن وقد حصلت على هذه السعادة .. كيف سأستمر باقى حياتى بدونه ؟ كان من الأفضل لى أن أبقى بعيداً عنه دون أن أجرب روعة الوجود معه . إن عدم فعل ذلك ثانية سيكون مثل عدم سماع الموسيقى على الاطلاق أو عدم شرب النبيذ على الاطلاق ، أو عدم الاستمتاع بحمام معطر دافىء تحت شمس مشرقة .

لو أننا فقط كنا نعيش فى مكان متقارب . فقط لو أنه لم يكن مضطراً للعودة إلى هاواى ولم أكن مضطرة للعودة إلى لندن .

لم تستطع أن تخرج من اليأس الذى غمرها . وكان التفكير فى المستقبل كفيلاً بإفساد الحاضر . ان توقع التعاسة يعد شيئاً فشيئاً سلبياً . كان الواجب أن تُعد نفسها محظوظة لأنها حصلت على هذا اليوم الإضافى معه . كما أن غداً لن يكون النهاية . سيرى كل منهما الآخر مرة أخرى . بل ربما يخرجان لنزهات أخرى معاً ...

لن أفكر بشأن نهاية هذا الأمر . هكذا قررت وهى تدس

يدها فى شعرها وتمشطه بأصابعها.

كان قلب العاصمة يتميز بمبانى البرلمان ذى القباب الخضراء، والذى يواجه الشمال مشرفاً على المرفأ الداخلى.

أما المبنى الرئيسى لفندق الامبراطورة فقد بُنى على الطراز الفرنسى القديم، وقد كسته النباتات المتسلقة وكانت واجهته تستقبل الغرب.

رغم الفخامة المتناظرة لهذين المبنيين، إلا أن المدينة كانت تفتقد صخب وتعقيد فانكوفر. لقد ذكرت اليكس بمنتجعات الساحل الجنوبى لإنجلترا.

فى الصباح قاما بجولة سيراً على الأقدام. مرا فى مسار جميل بين مبان قليلة وأراض عامة يكسوها العشب حتى وصلا إلى شاطىء البحر.

أشار إلى حواف الجبال البعيدة، وقال: «هذا هو مضيق جوان دى فوكا الذى يؤدى إلى المحيط الهادىء. الأرض التى تلوح من بعيد هى أمريكا.»

ومد يده ممسكاً يدها برفق. لم يكونا يسيران بالسرعة التى تؤدى بها تمرينها كل صباح، ولكنهما كانا يقطعان الأرض بخفة أكثر من معظم الناس حولهم ممن خرجوا للتنزه فى شمس نوفمبر.

وبينما كان يقطعان ممرات متنزه جميل عائدين إلى المدينة مرة أخرى، قال لوريز: «لا أظن أنك ستجدين بالمتاجر هنا أى شىء يفتنك، ولكن قد تحبين القاء نظرة على معرض إميلى كار. أنا أعرف أنك مهتمة بها.»

كانت إميلى كار أحد إمرأتين كنديتين توفيتا منذ زمن طويل، وكانت حياتها تسحر اليكس. لقد سمعت عن إميلى كار لأول مرة فى المعرض الذى أقيم بإسمها فى متحف الفن

بفانكوفر. أما الكندية الأخرى بولين جونسون، والتى كان قبرها بين الأشجار فى متنزه ستانلى، فقد ذكرتها لها جدة لوريز.

كان يجمع بين كار وجونسون أنهما ولدتا فى عامى ١٨٧١ و١٨٦٢، وهى حقبة تميزت، وبالذات فى كندا، بأن لم يكن من السهل للنساء أن يعشن حياة مستقلة. وقد كانت لهما أرواح متحررة، وتقودهما الرغبة فى التعبير عن نفسيهما بأسلوبهما الخاص.

أطلق على إميلى كار إسم ساخر: «كلى ويك». أطلقه عليها هنود النوتكا، وكانت أختها تعمل بينهم كمبشرة. توفيت إميلى كار فى فيكتوريا عام ١٩٤٥ بعد أن خلفت وراءها تركة من اللوحات الغامضة القومية التى كانت تختلف تماماً عن الأعمال المائية، غير البارعة إلى حد بعيد، والتى أنتجتها معظم الفنانات من النساء فى عصرها.

رغم صغر المعرض، إلا أنه أعطى لأليكس بعض التبصرة بالمرأة التى قادتها روحها المتميزة لترك فيكتوريا للدراسة فى سان فرانسيسكو وإنجلترا وفرنسا. بينما كانت اليكس توقع بإسمها فى سجل الزائرين، تساءلت عما إذا كانت إميلى كار قد واجهت الخيار الذى تواجهه اليكس الآن، الخيار بين رجل أحبته وعمل أحبته.

بعدما خرجا من المعرض، تجولا فى الشوارع التجارية الرئيسية. وأبقت عينها متنبهه بحثاً عن الهدايا لأبناء عمتها.

قال لها لوريز: «سترات كوتشان الهندية هى أكثر ما يشتريه السائحون هنا.. أنا نفسى لا أحبها، ولكن ربما تعجبك. لقد تعلم هنود الكوتشان صناعة الملابس من خلال الإرساليات.

وقبل ذلك كان يغزلون البطاطين بإستخدام الصوف الذى تخلفه الماعز الجبلية على الشجيرات، وأحياناً كانوا يستخدمون قصاصات من الملابس الملونة التى يعطيها لهم تجار الفراء. ربما كانت البطاطين أكثر جاذبية من السترات»

وافقته اليكس عندما رأت السترات المصنوعة من الصوف الزيتى الخشن غير المصبوغ، وقد إختلطت الألوان السوداء والبيضاء والرمادية مع أشرطة أفقية من الرسومات. كانت الصنعة غير بارعة بالمقارنة بصناعة السلال الراقية التى أعُجبا بها فى المتحف بفانكوفر.

° ° °

وبعد الغداء نزلا للتجول فى أرجاء الفندق.

كان يوجد حمام سباحة مغطى وأيضاً لعبة الدوامة التى استمتعا بها لبعض الوقت. جلسا إلى إحدى النوافذ التى تواجه الغرب. كانت الشمس تغطى وجهيهما بينما الماء الدافىء يرغى ويزيد. قال لورير: «هل يمكننى إغرائك بالتغيب عن العمل ليوم واحد آخر؟ أريد أن أريك وادى كوموكس. هناك بعض المشاهد الرائعة.»

إضطرب قلبها رغبةً فى أن تقول نعم، ولكنها كانت تدرك أن ذلك لا ينبغى لها.

أجابت فى صوت آسف: «أحب أن أراه، ولكن ليس غداً. سأعد برنامجى الآن، ولكن ذلك يمكن أن يتغير إذا ظهرت أى عقبات غير متوقعة. عندما أصعد إلى غرفتى فسأتصل بالفندق لأعرف إذا ما كانت قد وصلت لى أى رسائل. إن الرد على الناس فى نفس اليوم، إذا كان ذلك فى إستطاعتى، هو أحد مبادئى الأساسية.»

وافقها قائلاً: «حسناً. ولكن إذا لم تكن هناك رسائل لك، فلا أرى أن هذه الأربع والعشرين ساعة سوف تحدث إختلافاً كبيراً. أنت تعرفين المثل القديم عن العمل المتواصل وعدم اللهو.»

فقط لو يعرف كم هو صعب أن تقاوم.

قالت فى صوت متألق: «لقد حصلت على عطلة رائعة.. وهذا المثل القديم لا ينطبق على أناس مثلك ومثلى نستمتع بعملنا. إن عملى هو أجازة دائمة بالمقارنة بحياة كثيرين من الناس. أنا لا أشعر بالملل إطلاقاً، ولو لدقيقة واحدة. ولا أظن أنك تختلف عن ذلك. إننا محظوظان جداً»

تناولا عشاءهما فى مطعم أقيم أصلاً كمنزل خاص لعائلة ثرية فى القرن الماضى. وقد تأكد جو العالم القديم، وازداد جمالاً، من خلال الجدران المغطاة بالألواح الخشبية، والبريق لمصابيح الزيت، والستائر المخملية المزركشة ذات اللون الأحمر الداكن، وكانت المضيفات يرتدين مرايل طويلة وقد غطت كل منهن صدرها بمئزر تشبهاً بجوارى العصور القديمة.

بعد وصولهما بقليل، دلف إلى المكان زوجان فى أوائل عشرينيات عمرهما، وأرشدهما النادل إلى مائدة قريبة.

بعد بضع دقائق غمغم لورير: «إنهما فى شهر العسل، ألا ترين ذلك؟»

«أومأت اليكس، وقالت: «فى مدينة صغيرة جداً حيث المكان الوحيد لتناول العشاء بالخارج هو مطعم للوجبات السريعة.»

لم يكن فى تعليقها إحساس بالتفضل لقد مستها ملاحظة أن العروس وزوجها الشاب ربما يعتبران قة التكلف هى قضاء

شهر العسل فى مدينة بحجم فيكتوريا وتناول الطعام فى مطعم ذى مفارش دمقسية وزهور حقيقية وكئوس طويلة السيقان. إنها تستطيع تذكر إثارتها وقلقها الخاص فى أول مرة تناولت فيها الطعام فى مطعم أنيق بلندن، ولكنه كان فعلاً أكثر إثارة للرهبة من هذا المطعم»

أضافت: «بالطبع هما صغيران جداً بالنسبة للزواج. هذه الفتاة لا يمكن أن تكون لديها أية فكرة عما كانت الحياة قد تقدمه لو أنها لم تختار أول شىء فى القائمة.» كانت تشعر بمزيج من الحسد والرثاء للعروس ذات العيون الحالمة التى ترقب زوجها بفخر وهو يتفحص قائمة الخمر.

ربما كان مثلها، يعرف القليل عن الخمر، ولكنهما أحسا بأن تقرير ما يشربان هو إمتياز مقصور عليه.

أفاقت من أفكارها على صوت لورير: «ألم تجدى أى إغراء على الإطلاق لعمل ذلك؟»

كانا يجلسان فى أحد الأركان على مقاعد منجده بنسيج البلش القرمزى. كان شعر قد إكتسب بريقاً أبنوسياً فى ضوء لمبة الحائط الخلفية التى تعلوه.

«لا. لحسن الحظ لم يحدث. عندما كنت أقترب من العشرين، إندفعت إحدى بنات عمى للزواج وهى صغيرة جداً، وكان درساً موضوعياً مبكراً. عندما ذهبت لمدرسة الفن فى لندن، لم يكن الزواج هو ما يشغل بال الطلاب الذكور. ولذلك، مثلما حدث لك، إجتزت أخطر مرحلة، وتوفر لدى الوقت لأتم نضجى» وأضافت، وهى تشير إلى الزوجين الصغيرين: «وهو مالم يحدث لهما»

«قد يجدى ذلك أحياناً. أحد أصدقائى تزوج أثناء دراسته

بالكلية. ولا يزال هو وزوجته سعيدين لم يغير أى منهما رأيه تجاه الآخر.»

«ربما عرفا بعضهما فى وقت مبكر من عمرهما. قليل من الناس ينضجون أسرع من غيرهم.»

كان الزواج موضوعاً لا تريد أن تسهب فيه. وأدارت الحديث إلى مجرى أقل خطراً بأن سألته عن رأيه فى لوحة زيتية كبيرة معلقة على الجانب البعيد من المطعم.

بعد العشاء خرجا فى نزهة حول الميناء. كانت مبانى البرلمان محاطة بمئات من اللمبات الكهربائية، وكان الضوء يغمر واجهة فندق الأمبراطورة.

كانت غرفتاهما بالطابق الثالث، وتطلان على الماء. وفى حجرتها كانت الأرض مغطاة بسجادة خضراء بلون العشب. وتصدرت الجدار، خلف مقدمة السرير، لوحة لثلاث طيور تحلق فى صف واحد.

لم يذهب لورير لحجرته. أخبرها أنه يريد التحدث معها قليلاً.

علقت سترتها الكشمير على مشجب فى خزانة الثياب، واستدارت لتجد لورير ينظر لها بعيون حانية وقد ثبتت نظراته على وجهها.

«اليكس عندما تصلين إلى سنى فلن تندفعى فى قولك: «أنا أحبك» حتى تتأكدى من مشاعرك. إقترب منها وأمسك بيديها، وتابع: «لقد أثبت لى نهاية هذا الأسبوع أننى أريد أن أقضى بقية حياتى معك. أعتقد أن لديك نفس الشعور. هل أنا على صواب؟»

أرادت، فى استماتة، أن تطوح ذراعيها حوله، وتقول:

«حبيبى لورير.. نعم. أنت تعرف أنك على حق»

ولكنها، بدلاً من ذلك، نظرت له فى صمت، وتقلص حلقها، وجف لسانها.

وبعد لحظة سألها: «ما خطبك؟ إن الأمر لا يعد مفاجأة إلى حد كبير. الشىء الوحيد الذى لم نفعله فى نهاية هذا الأسبوع هو أن نصيغ فى كلمات ما يشعر به كل منا تجاه الآخر. ولكننا تبادلنا إشارات واضحة إلى حد كبير بشتى أنواع الإتصال الأخرى.»

كان يتحدث باسماً، وقد إمتلأت عيناه بحنان الحب.

أحست اليكس أنها قد صُعقت فعلاً. لم تستطع التحرك. لم تستطع الكلام. كانت قد حصنت نفسها ضد حلم يقظة بهذه الإمكانية الرهيبة الرائعة. والآن، وقد حدث، فليست لديها أية فكرة عن كيفية التعامل معه.

تحرك مقترباً منها، قاصداً أن يأخذها بين ذراعيه. عندها فقط ثابت إليها بعض القدرة لكى تتراجع خطوة للوراء. وقالت فى إلحاح: «لا... أرجوك.. إنتظر دقيقة. هذه مفاجأة لى.. وليس بإمكاننا أن نقضى حياتنا معاً»

أمسك يدها مرة أخرى، وقال: «لما لا؟ يمكننا بالتأكيد. بعد هذا لا يمكننى أن أحيا بدونك أنا أحبك يا اليكسندرا. لقد ظننت أننى لن أجد إمرأة على الإطلاق تجعلنى أشعر بهذا الإحساس. إنه أكثر من كونى «فى حالة حب». إنه رغبة فى أن أتقاسم معك منزل كامل، وأن يكون لى أطفال منك، وأن أتقاسم معك عمرى بأكمله وليس مجرد أيام للنزهة.»

حاولت أن تسحب يديها، ولكنه لم يتركها.

انفجرت قائلة، وهى تحاول جذب نفسها: «لكننى لا يمكن

أن أعطيك أطفالاً»

سألها: «هل تقصدين أنك لا تستطيعين أن يكون لك أطفال؟ هل أنت متأكدة؟ كيف عرفت؟» وقبل أن تستطيع الإجابة، تابع قائلاً: «هل هذا ما كان يشغل فكرك؟ أعرف أن هناك شيئاً ما يضايقك»

عضت شفتها، وقالت: «ربما... بدرجة ما.. لكن...»

قاطع توضيحها المتلعثم قائلاً: «حبيبتى الصغيرة البائسة، هل جعلك ذلك بالغة التعاسة؟ لكنه لا يمنعنا أن نكون آباء. يمكننا تبنى عائلة. لقد قلت لى أن عمتك وزوجها كان مغرمين بمن تبنوهم من الأطفال بنفس درجة غرامهم بأطفالهم الطبيعيين. سيكون لدينا نفس الإحساس تجاه أطفالنا.»

لقد تفاعل فى إهتمام رقيق مع مشاعرها بدلاً من أن يُصدَم أو يُصاب بخيبة الأمل فيما يعنيه. ولكنها قالت بصعوبة: «أنت لا تفهم على مدى علمى، فلا يوجد سبب جسدى يمنع أن يكون لدى أطفال. أنا لا أريد أن يكون لدى أطفال. أنا... أنا إتخذت هذا القرار منه بضعة أعوام»

بدت عليه حيرة واضحة، وقال: «لماذا؟»

إنتهزت فرصة إرتخاء قبضته لتحرر يدها وتخطو بعيداً عنه.

تنحنحت، والتقطت نفساً عميقاً لتهدىء من روعها، وقالت: «لأننى أعرف أنه ليس بإستطاعتى التوفيق بين أن أكون مصممة ديكور وأن أكون زوجة وأم. وأنا أريد الإستمرار كمصممة ديكور. إن عملى هام جداً بالنسبة لى.. بنفس درجة أهمية عملك لك. أريد أن أعطيه كل وقتى وطاقتى وهو ما لن يكون ممكناً إذا كان لى أطفال وزوج»

ساد صمت قصير متوتر قبل أن يقول: «هل تقولين لى

بأنك لا تريدى الزواج ؟ »

أومأت برأسها ، وقالت : « لا توجد طريقة لأن أعمل بمهنتين .. وكونى زوجة هو مهنة ، ومهنة ملحة جداً . إذا أصبح لى أطفال فيجب أن أربيهم كما ينبغى ، وأعطيهم أغلب وقتى ، وخاصة عندما يكونون صغاراً . ربما لا تكون لدى غرائز أمومة قوية ، ولكننى أفضل أن أكرس كل وقتى وطاقتى كى أكون مصممة ديكور . »

وببطء ، ضاق حاجبا لورير ، وتحولا إلى خط داكن عبر جبهته . راقبت نظرته المتحيرة تتحول إلى حلقة غاضبة .

وانفجر سائلاً : « إذن ، بإسم الجحيم ، ماذا كنت تفعلين معى فى نهاية هذا الأسبوع ؟ »

أجفلت ، وقالت : « أنا .. أنا لم أكن أعرف أنك ستطلب منى أن أتزوجك »

قال فى غضب : « هل ظننت أنه كان مجرد لقاء لمدة يومين ؟ لقد فتحت أبواب الجحيم . لم تكونى لتأت لو أنك فكرت فى ذلك . كنت تعرفين أننى جاد بشأنك . اليس كذلك ؟ وفى خطوتين إجتاز المسافة بينهما ، وقبض عليها صائحاً : « اليس كذلك ؟ »

ضغطت أصابعه الطويلة القوية اللحم الناعم بأعلى ذراعيها ، قالت مقاومة : « أنت تؤذينى »

رد بحدة : « هل تعتقدين أنه ليس مؤذياً أن يقول رجل لفتاة أنه يحبها فيأتيه الرد بأن مهنتها أهم ؟ » ولكن تراخت قبضته قليلاً إلا أنه لم يدعها تذهب .

قالت فى لهجة خفيضة محكومة : « لا تفقد أعصابك يا لورير . فكر فى الأمر لدقيقة . هل تتوقع أن تترك علم

المحيطات لأجلى ؟ يمكننى أن أتحمل الإنفاق عليك فى سعة معقولة . هل يمكنك أن تدير منزلنا وتربى أطفالنا أن تضع مستقبلك العملى بعد أى شىء له أهمية ثانوية ؟ »

أعجزة الأقتراح .

فى ترديد ساخر لحجته ، قالت بصوت هادىء : « ستكون فيما يشبه الجحيم »

ولخلقه الفاضل لم يحاول الرد ، صراحة أو تلميحاً ، بأنه كرجل فإن مهنته أهم من مهنتها . كانت ستشعر بخيبة أمل لو أنه فكر بهذا الأسلوب .

إنزلقت يداه على ذراعيها ، وقبض على يديها قائلاً : « لا . ولكننى سأبذل قصارى جهدى لأتقاسم معك الأعباء المنزلية . أنا لا أطلب منك القيام بأعمال الطهى والتنظيف لى . بل سيقل ما تقومين به من أعمال روتينية عما هو الحال الآن . ويمكننا أن نستخدم البعض للعناية بنا وبأطفالنا . »

« هذا شىء من السهل قوله ، أما تحقيقه فليس بهذه السهولة . من الصعب العثور على مديرات بيوت ومربيات موثوق بهن . ولكن حتى لو تيسر ذلك ، فليست هذه هى العقبة الوحيدة . ما يمنعنى من الزواج أساساً هو أننى لا أعمل فى مدينة واحدة ، بل ولا حتى فى دولة واحدة . إن مهنتى دولية . لا أريد أن أرفض أعمالاً يتصادف أن تكون على الجانب الآخر من العالم وقد تستغرق عدة شهور لإنجازها . أنا بحاجة أن أوسع أفاق عملى ، وليس أن أقلصها . كيف سيكون رد فعلك تجاه ... زوجة غير متواجدة لعدة أسابيع ؟ لا أظن أن ذلك أمراً يمكن أن يستقيم . أعرف أن ذلك لن يكون . »

إستمع إليها فى صمت عابس . لم تره إطلاقاً بمثل هذا

التجهم. الشفاة التى كانت لها دائماً ملاحظات ساخرة مداعبة، كانت الآن مطبقة بشدة.

بعد هدوء قصير، إمتلأت عيناه بالغضب مرة أخرى.

إنفجر غاضباً، وقال: «أنت أيها النساء المتحررات تتهموننا بالسلوك غير السوى، ولكن أنتن لستن أفضل منا.» وتابع: «لو أننى قلت لك هذه الردود، بينما كنت أنت تظنين أننى أضع الزواج فى تفكيرى، فكنت سأعتبر أكبر خائن على مدار العام. ولكن عند عكس الوضع يختلف الأمر تماماً. فليس من حقنا أن نعاملكم بما تسبيحون أن تعاملونا به.»

إعترضت قائلة: «الأمر ليس كذلك عندما وافقت على نهاية هذا الأسبوع، فلم أعرف بأن نواياك جادة. فقط أنا أعرف ما أحسست به. وأننى أحببتك بدرجة تغلبت على كل ما يمنعنى من الخروج بصحبة شبان.» إشتدت قبضته، فأجفلت وقالت: «أنت تؤذينى مرة أخرى»

ترك يديها كما لو أنهما التهبت فجأة بالحرارة.

قال فى صوت أجش: «أعتقد أنك من ذلك النوع من النساء اللواتى لا يهمهن سوى إشباع رغباتهن»

ترددت، وأرتابت فيما يمكن أن يحدثه إعترافها بمدى مشاعرها.. هل سيجعل الأمور أفضل أم أسوأ؟

راقبته وهو يذرع الحجرة بخطوات واسعة قلقة، وقد أدخل يديه فى جيبيه. كانت كل قسماته تنطق بالغضب المكبوت.

قررت أنها مدينة له بالحقيقة. وهمست: «أنا.. أنا أحبك يا لورير.» وبينما توقف فجأة واستدار سريعاً ليواجهها، أضافت فى حزن: «ولكن ليس بالدرجة الكافية لأن أضحى بعملى والمكانة المرموقة التى أسعى إليها. قدرتى على التخلى عن ذلك

لا تزيد عن قدرتك على التخلى عن عملك ومكانتك. ليس من الإنصاف أن تطلب ذلك منى.»

«هل كان من الإنصاف أن تدعينى أقع فى الحب معك، وأنت تدركين أنه ليست لديك أية نية فى أن تكونى زوجتى؟»

«لم أعرف أنك فى خطر أن تقع فى حبى. إن الرجل الجذاب والذى لا يزال أعزباً فى مثل سنك لا يمكن أن يكون سريع التأثر»

كان يحدق فيها صامتاً مشدوهاً.

قالت: «رجال ونساء هذه الأيام يذهبون معاً إلى أماكن بعيدة. وفى العادة لا ينطوى الأمر على أهمية خاصة. إنه مجرد.. شىء يجدونه ممتعاً. أنا.. أنا أحببتك إلى حد أننى فكرت أن أياماً قلائل تجمعنا تستحق مهما كلفتنى. لكن لم تكن لدى أى وسيلة لأعرف أن فراقنا سيؤذيك كيف بإستطاعتى أن أعرف ذلك؟ أنت لم تشر إطلاقاً إلى أنك كنت جاداً.»

قال بلهجة لاذعة: «إن عدم محاولتى دفعك للفراش كان ينبغى أن تبين أن رغبتى كانت أكثر من مجرد متعة وقتية»

«ليس بدرجة حاسمة. ماذا كنت تريدنى أن أفعل؟.. أن أقول لك بمجرد بدايتنا أننى لا أنوى أن أتزوج؟ كن عادلاً بشأن ذلك يا لورير، كيف يمكننى أن أفعل ذلك؟ الرجال لا يعلنون نواياهم بمجرد البداية، ولا يمكن للنساء أن يفعلن.»

«كان بإمكانك توضيح ذلك عندما طلبت منك صحبتى إلى الجزيرة. إذا لم يكن بعقلى شىء سوى المتعة دون أى شروط، فكنت سأتأكد أنك تفهمين ذلك.»

«لقد فكرت فعلاً أن هذه هى نيتك. وأحسست أننى سيمسنى الأذى، ولكن قررت أن الأمر يستحق. أنا آسفة لأنك أنت أيضاً مسك الأذى. حقيقة آسفة. أنت آخر شخص فى العالم يمكن أن أؤذيه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً. كان.. كان يجب أن الزم مواقعى ولا أظهر بعد اللقاء الأول. لقد أخبرتنى غريزتى أننا لا يجب أن نستمر فى رؤية بعضنا، غير أننى ظننت أن الخطر الوحيد.. سيكون لى أنا نفسى... لمشاعرى.»

كان فمه متصلباً، وكانت عيناه تنطقان بالعداوة. وقال: «هذا هو قولك الآن. ولكن الم تخبرك غريزتك بأننى لا أحب أن أُخدَع.»

صاحت: «أين أنت ذاهب؟»

قال فى قسوة: «لست أدرى. إذا كنت تريدين شخصاً يؤنس وحدتك، فيجب أن تبحثى عن غيرى. جربى البار فى الطابق السفلى.»

وصفق الباب خلفه.

إنهارت اليكس على الفراش. كان كل جسدها يرتعد من الصدمة. فى أقل من خمس دقائق تحولا من حبيبين إلى عدوين. يمكنها أن تفهم غضب لوريز. إن إتخاذ الأمور هذا المسار هو خطأ منها أكثر مما هو خطأ منه.

ولأول مرة منذ سنوات عديدة ــ فى الحقيقة منذ الشهور التعيسة التى تلت وفاة والديها ــ إنفجرت فى البكاء.

تقريباً كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحاً. كانت ترقد فى فراشها مستيقظة وقد إنتفخت عيناها وتقرحت من كثرة البكاء. وعندئذ سمعت باب حجرة لوريز يفتح.

إندفعت إلى الممر وهى تشك أن يكون لوريز. أحست بالأرتياح عندما رأته. لقد أمضها القلق ساعات طويلة خوفاً من أن يرتكب فعلاً أحمق تحت وطأة أحاسيسه المحبطة. ربما يحاول العودة بالطائرة المائية إلى الجزيرة أو إلى فانكوفر.

لم يكن من النوع الذى يعالج ما يتعرض له من مواقف سيئة بالإسراف فى الشراب. عندما رأت وجهه أيقنت أنها كان عليها أن تعرف ذلك. وكان يبدو متعباً جداً ولكنه هادىء تماماً.

حملق فيها صامتا للحظة. كانت اليكس قد غسلت وجهها بعدما خدت نوبات بكائها. ورغم أنها أمضت بعض الوقت وقد وضعت على عينيها قطعة قماش مبللة بالماء البارد، إلا أنه كان من المستحيل، حتى للكمادات الباردة المتعددة، أن تعيد جفنيها للوضع الطبيعى. لابد من مرور بعض الوقت ليحدث ذلك.

قال فى صوت هادىء: «أنا آسف. لم يكن لى أى حق أن أهينك. لقد فقدت أعصابى. سامحنى»

«أوه، لوريز..»

كانت تظن أنه لم يبق لديها دموع، ولكن فجأة غامت نظراتها المحدقة، وأرتجف فمها رغماً عنها. إتجه إليها، وأخذ بذراعها، ثم أدخلها حجرتها وأجلسها على الفراش.

«لا تبك. بحق السماء، لا تبك. أنا لم أقصد أيا من تلك الأشياء الحقيرة التى قلتها لك. لنضع خطة ما.. يجب علينا ذلك»

لم تجد اليكس بنفسها من القوة ما يمكنها من القول بأنه ليست هناك وسيلة ليبدد بها التعارض ما بين مشاعرهما وبين مهنتيهما غير المتوافقتين. كانت متوترة جداً بدرجة تمنعها من

توضيح ذلك وإقناعه به. كانت تعرف أنه من الجنون أن تدعه يمسك بها ويريحها، ولكن لم تستطع تمالك نفسها.

وبينما كان وجهها مدفوناً فى كتفه، وكان جسدها النحيل مثقلاً بالتشنجات، بكت على المستقبل السعيد الذى ــ فى زمن آخر ــ كان يمكن أن يقضيانه معاً.

ربت عليها لورير، وأخذ يهدىء من روعها وكأنها طفلة صغيرة. أخذ يمسد شعرها الأشقر الكثيف المموج، وكانت يداه رقيقتان الآن. عندما هدأ روعها رفع وجهها المبلل بالدموع وأخذ يجفف وجنتيها. ارتمت عليه منهكة القوى فلم تستطع الإهتمام بما يبدو على وجهها.

قال لها: «لقد استهلكت تماماً يا حبى الصغير البائس»

كانت تعرف أنها لا ينبغى أن تدعه يقول لها ذلك. إذا ضعفت الآن فسيكون من الصعب مقاومة إقناعاته فى الغد. لكن عقلها كان فى حالة من الألم والكرب بحيث لم يبق لديها أى قوة أو إرادة.

أعد وسادتها، وحثها على الرقاد.

أزاح بعض خصلات من شعرها الرطب بعيداً عن جبهتها، وقال: «حاولى الحصول على قسط من النوم».

أومأت، وأغلقت عينيها، ولكن سرعان ما فتحهما مرة أخرى.

سألته بصوت مبحوح: «أين ذهبت؟»

هز كتفيه، وقال: «تجولت.. لا مكان محدد. إذهبى للنوم. سنتحدث فى الصباح»

أغلقت اليكس عينيها مرة أخرى، ولكن.. رغم أنها لم تعد تعانى من القلق على سلامته، فإن عقلها لم يهدأ. كانت تعرف

أنه ليس لديها أى أمل فى النوم.

لم يعد لورير غاضباً، وقد حررها من الخوف، إلا أن ذكرياتها الأثيرة عن الجزيرة سيفسدها فراق قاس. وفى نفس الوقت فإن أسلوبه الجديد الأكثر حناناً سيزيد من صعوبة التزامها لمواقعها. لم يكن عليها مجرد أن تقاوم قدرته على الإقناع، بل كان الجزء الأعظم من قواها الباطنية يقف ضدها. لقد كان الإشتياق للحب والألفة قوة قاهرة جعلت جيوش النساء تتنازل عن طموحاتها. هل يمكنها أن تصمد أمام غرائزها وحواسها الملحة؟

ملأها تخيل وجهه بالرقه. كان هذا الرجل يجمع كل ما تأمل أن تجده فى رجل. كيف يمكنها التخلى عنه؟ رجل كهذا ذكى، شفوق، خفيف الظل ــ يُعد نادراً كالماس العشرة قراريط. سيراها أغلب النساء مجنونة إذا فكرت فى أن تقول له وداعاً.

حتى اليوم، ومع كل الحديث عن المساواة، فإن معظم النساء لم يجربن إطلاقاً متعة تحقيق نجاح فى العمل وتحقيق إستقلال حقيقى. ربما ليس بدرجة الحال فى جيل أمها، ولكنهم لا يزالن أسيرات الأحساس بأن الحب هو سبب الحياة، وأنه جائزة تستحق أى تضحية.

الرجال لا يرون ذلك. فهم لا يغيرون أسلوب حياتهم ولا يتنازلون عن طموحاتهم ولا يتخلون عن الشهرة أو الثروة، أو حتى أى نجاح أكثر تواضعاً من أجل الحب والأبوة. بعضهم جرب تغيير العمل، ولكنهم أقلية ضئيلة. إن الأمر يتطلب سنوات، وربما أجيال، قبل أن يكون هناك توازن بين مهنتى زوجين. لقد كانت المرأة دائماً هى التى تقوم بأكبر التعديلات.

إذا غضبت لذلك الآن نظرياً، فإننى سأستاء له بدرجة أكبر عندما يحدث لى. هكذا فكرت وهى تحدق فى الفراغ.

كيف ستكون أيام وحدتها بعد هذه الأيام من الحب والحنان والألفة بصحبة لورير. ولكن.. هل سيستمر كل منهما يحتاج للآخر ويريده بنفس القوة. لم يحدث ذلك لأحد من قبل على الإطلاق. مهما كانت شدة الحب فى البداية، فليس هناك من يستطيع أن يعيش بهذا الإندفاع المحموم طوال العمر.

كم هو صعب أن تتخيل مجىء وقت يذهبان فيه لفراشهما بينما يرغب كل منهما فى القراءة أو النوم أكثر من رغبته فى الآخر. سيحدث ذلك عندما تنطفىء شهوتها المتقدة وتأخذ مكانها بين باقى متع الحياة، ويكون التضارب المدمر لمهنتيها قد أصبح ملموساً.

ورغم أنها كانت تحاول أن تفكرة بعقلانية، إلا أنها كانت تتوق لأن تذهب إليه، وتوقظه بأحضان حانيه لابد وأنها ستعيد عواطفهما المتقدة إلى ما كانت عليه.

فى الصباح، أدركت أن اليوم هو فرصتها الأخيرة مع لورير. بعد اليوم لن يكون هناك مجال لرؤيته مرة أخرى. يجب أن يقولا وداعاً. ولكن بعد كل هذا الألم ــ ومع شهور تالية من الألم ــ هل يكون من الخطأ أن تنعم معه بالحب فيما تبقى لهما من ساعات قليلة معاً.

كانت تعى أنه قد يصدها. كما أن هناك أسباباً أكثر تعقيداً قد تجعله ينصرف عنها، فيمكن أن يكون منهكاً جسدياً بعدما حدث بالأمس. ولكنها لم تستطع تمالك نفسها.

دقت بابه، وهى تجاهد لتتحكم فى إنفعالاتها.

ابتسم لها، وقال فى صوت ناعس: «هيه.. متى

إستيقظت»

«منذ قليل» واقتربت من فراشه صامته.. كان منفرج الأسارير، واستقبلها بإبتسامة عذبة.. هل جال بخاطره نفس تفكيرها؟.. هل يدرك أن هذه هى ساعتها الأخيرة معاً؟ وأنه لن يراها بعد الآن..

ترددت.. وقالت: «سأذهب لآخذ دشاً و..»

«لم نقل صباح الخير كما ينبغى»

جلس فى فراشه، وجذبها إليه، وقبلها.

فى البداية ظنت أنها لو تجاوبت معه فيسقنع بقبلة قصيرة، ويدعها تذهب. ولكن القبلة طالت. وقبل أن تفترق شفاههما بوقت طويل كانت ذراعاها قد طوقتا عنقه. إنصهرت شفاههما فى قبلة إستمرت واستمرت. أرادت ألا تنتهى على الاطلاق. أرادت أن تموت بين ذراعيه.

عندما استطاعت الكلام، قالت: «لا ينبغى لنا ذلك.. ليس لدينا وقت»

أبعدها عن صدره، ونظر لها ملياً ثم قال فى هدوء: «سنعود بالطائرة إلى ميناء كول. ومن هناك فهى خمس دقائق سيراً إلى مقرك»

بعد ساعتين، وصلا إلى فانكوفر. وأصر لورير على حمل حقيبتها إلى الفندق قبل أن يعود بالطائرة المائية إلى مرساه المعتاد.

حتى الآن، لم يشر أى منهما إلى الأنفجار الغاضب فى الليلة السابقة. أثناء الإفطار لم يتحدث كثيراً على الإطلاق.

بينما يقتربان من الفندق، قال: «متى سأراك مرة أخرى؟»

طوال رحلة العودة كانت تتساءل.. هل تخيل أنها ــ أثناء الليل أو فى وقت مبكر من هذا الصباح ــ قد غيرت رأيها. يجب أن توضح أن هذا لم يحدث. ولكن ليس الآن. لم يكن الشارع مكاناً ملائماً لمحادثة قد تنتهى بإنفجار غاضب آخر.

أشارت عليه بقولها: «لماذا لا نلتقى للغداء فى أدولس؟»

فى المطعم سيضطران للتحكم فى إنفعالاتهما.

وافقها قائلاً: «حسناً. الساعة الواحدة فى أدولس»

وكما يفعل دائماً، سار معها حتى المصعد حيث ناولها حقيبة سفرها.

قالت: «شكراً لك على عطلة نهاية الأسبوع الرائعة يالورير. لن أنساها طوال حياتى.» كانت تتحدث بنبرة توديعية ودت لو أنها تهيئة لما لابد أن تقوله أثناء الغداء.

رنا ببصره إلى عينيها، ومست شفتيها إبتسامة شاحبة، وقال بصوت رقيق: «ولا أنا، ياحبى» ومس وجنتيها بقبلة خفيفة قبل أن يستدير مبتعداً.

رغم إصرار اليكس على العودة للعمل، إلا أنها لم تفعل شيئاً فى ذلك الصباح. كان من المستحيل أن تفكر فى شىء سوى هذه الورطة الفاجعة المروعة التى لم يكن لها حل سوى ذلك الحل الوحيد المتعذر. أن تضحى بكل شىء عملت من أجله.

ولكن إذا تشبثت بمهنتها، التى تعنى الكثير جداً بالنسبة لها، فيجب أن تضحى بكل ما أحست به فى صحبته من سعادة وطمأنينة وكمال وصحة دافئة. كان كلا الطريقان خياراً مدمراً لابد أن يفتقدا فيه الكمال.

كان مطعم أدولس، الذى يبدو كأنه فندق، أحد

العلامات المميزة لفانكوفر. وجدت لورير قد سبقها إلى هناك، وكان يجلس إلى إحدى الموائد التى تواجه الشارع. نهض عندما دخلت من الباب، وظل واقفاً حتى بلغته مجلسه.

كان كل منهما قد بدل ملابسه التى كان يرتديها فى وقت مبكر. كان لايزال يرتدى ملابس غير رسمية تمثلت فى ستره (سبورتس) فوق قميص مفتوح العنق. كان جو مطعم أودلس مكاناً غير رسمى، وهو يقدم خدماته إلى المتسوقين والسياح بالأضافة إلى رجال الأعمال. وعن قصد، كانت اليكس قد إرتدت ثياباً تظهرها كأمرأة عاملة تحضر غداء عمل. كانت قد ثبتت شعرها بمشبك فى مؤخرة رأسها ليبرز الأثر المتزمت للقميص الحريرى الأسود، ورباط العنق الفراشى الشكل. وفوق القميص كانت ترتدى ستره كشمير رمادية واسعة، وتنوره (جونله) ذات نقوش مربعة وطيات رمادية وسوداء متبادلة. كانت تضع حول جيدها عقداً من اللالىء المضاهية لملابسها، وتضع بأذنيها قرطاً صغيراً على هيئة زرارى أذن، وأحاطت معصميها ببعض الأساور السوداء اللامعة. بدت الألوان أنيقة أكثر منها جنائزية. وبينما كانت تخطو بإتجاهه، طافت نظرته الخاطفة بشعرها المصفف للوراء وثيابها المتزمتة الرمادية بلون البيوتر. لاحظت أن لورير لم يؤخذ بتجوها. ولاحظت أن ثيابها لم تلق الاستحسان الذى كان قد أبداه تجاه ملابسها التى كانت ترتديها يوم بدء رحلتها إلى الجزيرة. ورغم ذلك كان يبتسم عندما وصلت إلى المائدة المزدوجة بجوار النافذة.

عندما قدم لها المقعد الآخر، سألته: «كيف قضيت جدتك نهاية الأسبوع؟»

«لقد أمضت وقتاً طيباً. وهى تأمل أن تأتى لتناول العشاء

الليلة ، ولكنى لم أورطك »

ردت بسرعة : « يُسعدنى أنك لم تفعل ، فيجب أن أعمل هذا المساء ثم آوى إلى فراشى مبكراً لأحظى ببعض النوم . » والتقطت قائمة الطعام الموضوعة أمامها ، وأضافت : « هل قررت ما ستأكله ؟ »

« لا . لكنى طلبت مشروباً . ميموزا . هل تعجبك ؟ »

« فى أيام العمل أتناول مشروبات فى وقت الغداء ، لكننى أظن أن كأساً واحدة من الميموزا لن تؤذينى .. ها هما قد جاءا » أضافت ذلك عندما رأت النادلة تأتيها بكأسين على صينية .

بينما كانت الفتاة تضعهما على المائدة ، تنبأت اليكس بأن لورير قد يقترح « محباً ، وهو مالا تستطيع ، بإمانه ، أن تشربه . ولكى تسبقه ، إلتقطت كأسها قائلة : « لقد تناولت الغداء هنا مرتين ، ويبدو الجولى فرنسياً أكثر منه ايرلندياً . هل قلت لك أننى أود لو إستطعت قضاء يومين فى مونتريال فى طريق عودتى إلى أوربا ؟ »

وبسرعة ، أخذت رشفة من مزيج الشمبانيا وعصير البرتقال .

« أعتقد أنك ذكرت ذلك فى أول لقاء بيننا » وبدلاً من أن يتذوق كأسه وضع يده فى جيبه سترته . ولفزعها الشديد ، قال : « لماذا لانذهب إلى هناك معاً .. كجزء من رحلة شهر عسلنا ؟ »

قبل أن تفيق من صدمة إقتراحه ، أخرج صندوقاً صغيراً مكسواً بالجلد ، وفتحه ، ومن تجويف فى بطانته المخملية أخرج خاتماً من الزمرد .

« لقد تُرك هذا لى منذ بضع سنوات مضت . أود أن تريديه حتى نجد شيئاً آخر تحبينه ، أو ربما نصمم خاتم خطوبتك . »

حدقت اليكس فى الخاتم الجميل الذى كان يمسكه بين سبابته وإبهامه . كان قطعة كبيرة مربعة من الزمرد يحيط بها قطع من الماس .

تاقت لأن تمد يدها وتدعه يدس الخاتم فى أصبعها . إن الخاتم يرمز إلى الكثير من أفضل مباهج الحياة : الرفقة ، الرقة ، الحب والمساندة المتبادلة . ولكن بقدر روعة هذه الأشياء ، وبقدر رغبتها فى إمتلاكها ، فإنها لن تكون إلا فى مقابل الحرية الكاملة لأسلوب حياتها الحالى . الحرية فى أن تعمل طوال الساعات ، فى أن تذهب إلى حيث تأخذها مهمتها التالية ، وأن تبقى هناك قدر ما يلزم .

إن تقديم لورير الخاتم لها ، وحديثه عن رحلات شهر العسل . يبين الأهمية القليلة التى يعلقها على ما أخبرته به فى الليلة الماضية . من الواضح أنه لم يأخذ نجاحها فى عملها بنفس جديتها .. ولا بنفس جديته تجاه عمله .

إبتلعت غصة فى حلقها ، وقالت : « إنه جميل .. ولكنك تعرف أننى لا يمكننى أن أرتديه .. لا يمكننى أن أتزوجك . لا يوجد سبيل لأن تنسجم حياتنا . »

مال تجاهها وقد إلتهبت نظرته ، وقال : « يجب أن ينسجما لا يمكننى التخلى عنك . لا أصدق أنك يمكن أن تبتعدى عننى يا اليكس . لقد خُلق كل منا للآخر . وأنت تعرفين ذلك . يجب أن نكون معاً بأية طريقة . »

« لكننا لانستطيع . أنه مستحيل تماماً . مهما بلغ شغف كل منا بالأخر فلايمكننا تجاهل الصعوبات .... الصعوبات التى

لاتقهر. أنا لست فتاة صغيرة أملأ الفترة مابين إنتهاء دراستى والزواج بوظيفة لاتهمنى. أنا إمرأة كرست أعواماً لأجل مهنة تدوم االعمر وتمنحنى رضا ذاتى لانهائى. أنا أحب عملى يالوريز. لايمكننى التخلى عنه.... ولوحتى لأجلك» ضعف صوتها فى الكلمات القلائل الأخيرة، وأمتلأت عيناها بدموع مفاجئة.

فى هذه اللحظة عادت النادلة لتسألها إن كانا مستعدان لطلب طعامهما.

قال لوريز ببعض الجفاء: «ليس بعد خلال دقائق قليلة»

كان قد ضم قبضته على الخاتم. والأن أعادة إلى جيبه، وأعادة صندوقه. وقال: «هذا مكان من الجحيم لتبادل حديث خاص. هل يمكننا العودة إلى مقرك؟»

«لا أفضل ذلك» ومنحت اليكس قائمة الطعام رغم أنها لم يسبق أن شعرت بعدم الرغبة فى تناول الطعام مثلما تشعر الأن.

مرت ببصرها سريعاً على قائمة الأطباق وهى ترغم نفسها على التركيز. ومدت يدها لشرابها وهى تأمل أن يساعدها مابه من الشمبانيا على تمالك نفسها. كما قال لوريز، كان أودولس مكاناًغير مناسب على الأطلاق لتبادل حديث قلب إلى قلب من هذه النوعية. ولكن على الأقل فى وجود مائدة بينهما وشاهدين من الرواد الأخرين الذين يتناولون غذائهم، فلا يمكن أنه يأخذها بين ذراعية ويجبرها على الطاعة بالقبلات والأحضان.

أشار عليها بقوله: «ماذا عن سلطة الأفوكادو؟»

«نعم. هذه طيبة»

أشار للنادله، وطلب سلاطات وزجاجة من النبيذ الأبيض.

ثم أخذ جرعة طويلة من كأس الميموزا، وتقريباً أفرغ الكأس قبل أن يعده إلى المائدة، ومس شفتيه بمنديل المائدة.

قال فى لهجة أخف من لهجته المتبرمة التى كان يتحدث بها منذ دقائق قليلة: «أعتقد أنك لاتعرفين ماهيه هاواى. فى هاواى وحدها هناك الكثير من الفرص الملائمة لمصممى الديكور. وهو نولولو مدينة متنامية، بل وحتى ويكيكى فهى تعج بالفنادق، ولايزال هناك مجالاً للمزيد. وفضلاً عن المكاتب والفنادق، هناك الكثير من المشروعات المشتركة وبيوت الأجازات الواسعة المقامة على أراضى الأفراد. لن تفتقدى العمل هناك على الأطلاق.»

سلمت برأيه قائلة: «ربما لا»

أثناء إقامتها المؤقتة فى فلوريدا للعمل فى المهمة التى كانت سبباً ساعد على إنفصالها عن بيتر، فقد أبقت عينها متنبهة للفارق بين المفاهيم الأنجليزية والأمريكية تجاه التصميم الداخلى.

كانت نسبة المصممين المدربين فى أمريكا أكبر منها فى إنجلترا. وحتى فى المدن ذات الحجم المتوسط، يوجد العديد من المصممين فى قائمة الصفحات الصفراء. وبالإضافة لذلك كان لمعظم متاجر الأثاث الكبيرة فرق تصميم تنصح العملاء بالخطوط العامة.

لم يكن هذا هو الوضع فى إنجلترا. إذ يقتصر إستخدام مصممين محترمين على بالغى الثراء وحدهم. أما ذوى الموارد المتوسطة، فإنهم يعتمدون على ذوقهم الخاص بدرجات متفاوتة من النجاح.

من وجهة نظرها، فإن المستوى العام للديكور الداخلى فى الولايات المتحدة كان أعلى منه فى بلدها.

ولكن بينما يوجد فى أمريكا الكثير من المصممين الأكفاء، فإن لديهم القليل من الروعة المتميزة. وكان فى لندن عدد ممن تُطلب خدماتهم فى جميع أنحاء العالم، ويوضعون على قدم المساواة مع جون فولر بعبقرية ذوقهم.

«أنا متأكدة أنك على حق. يمكننى العثور على الكثير من العمل هناك، ولكن هذا لا يكفينى يا لورير. لقد كنت دائماً أهدف إلى القمة. قد لا أصل إليها على الإطلاق، ولكن لا يمكننى التوقف عن المحاولة. ولكى أصل إلى القمة فيجب أن يكون مقرى الأساسى فى أحد العواصم، وأن يمكننى السفر. وبالنسبة لنوع المهمات التى أريدها، فإن هاواى بعيدة جداً عن المسار المطروق. لن تكون قدرتى على العمل بكفاءة من هناك أكثر من قدرتك على العمل فى الغرب الأوسط من الولايات المتحدة.»

لم يستطع الرد بسبب حضور النادلة بالسلاطات والنبيذ.

ما أن تركتها، وقد أخذت معها كأسى الميموزا الفارغين، حتى قال: «كونك مشهورة لن يجعلك سعيدة»

«ليست الشهرة هى ما أريده. إنها الفرص لخلق صور داخلية مثيرة. إن تصميم سلسلة من مبانى الأجازات للمتقاعدين من الأمريكيين الشماليين قد يكون عملاً مربحاً، ولكن لن يكون مثيراً مثل تصميم مبان إضافية هنا وقصر هناك.»

«أنت تقولين أن هاواى بعيدة عن المسار المطروق، ولكنها فى الواقع تتوسط كل أقطار شاطىء الباسفيكى. يمكنك التقاط عمليات فى استراليا، والطيران إلى هونج كونج والعمل لأصحاب البنوك الأسيوية الذين يعدون الآن بين أغنى رجال

العالم، أو الطيران إلى المكسيك حيث يمتلك الكثيرون من أثرياء أمريكا بيوتاً ثانية فى أماكن مثل: أكابولكو وسان ميجل النيد. يوجد مجال كبير إلى حد بعيد فى الباسفيكى وما حوله مثلما يوجد فى أوربا والساحل الشرقى لأمريكا.» وأضاف وهو يلتقط شوكته: «ومناخ أفضل»

تابعت اليكس حديثه، ولكن بدلاً من أن تبدأ فى الأكل، قالت: «أعتقد أن هذا حقيقى. ولكن ليس لى أى إتصالات هناك. إن سمعتى لم تصل بعد للدرجة التى تمكننى من نقل نفسى دون أن أخسر أرضاً. إن مهمتى الحالية لحساب جون هى نقطة إنطلاق هامة، ولكن فقط فى أمريكا الشمالية والكاريبى. لا أظن أن لديه أية خطط للتوسع وراء الساحل الغربى». وبدأت تقلب فى السلطة وهى تتساءل كيف ستنتهى منها.

بينما يجد بعض الناس فى حالات بؤسهم الراحة فى الطعام، فإن إحباطات اليكس العاطفية أحدثت أثراً عكسياً وأفقدتها شهيتها للطعام تماماً. على مدى أسابيع بعد فقد والديها، كانت تأكل القليل جداً لدرجة أن آل فيشر أزعجهم نحول جسدها وكأنها دون العشرين بسبب فقدان الشهية العصبى. وقد أكد الطبيب، بعد حديث معها، أنه كان مجرد رد فعل لصدمة لابد أن تزول أخر الأمر وهو ما حدث فعلاً.

والان، وهى ممزقة بين الرجل الذى أحبته وبين الرغبة المتقدة فى تحقيق أطماعها التى طالما حلمتها، فقد وجدت السلطة الوافرة، وهى طعامها المفضل فى العادة، غير مثيرة للشهية على الأطلاق. وأسفت لانها طلبتها.

قال لورير بفظاظة: «لقد بدأت أفهم أن الرسالة الموجودة

وراء رعاية ذلك الشخص جون هى أهم لديك مما أشعر به تجاهك »

رفعت بصرها ، ووجدت وجهه النحيل متوتراً وغاضباً ، مثلما كان فى تلك الليلة الليلة التى طلب فيها أن يعرف لماذا صرفته عقب موعدهما الأول لتناول العشاء .

رأته هذه المرة أكثر قسوة ، وقد لمعت عيناه ببريق عدوانى ، فقالت بسرعة : « هذا هراء . أنا لا أشعر بذلك على الإطلاق ، أؤكد لك . أنا لست تحت رعايته . إنه مجرد وسيلة إتصال مفيدة جداً قد يمكننى من خلاله عمل إتصالات أخرى ، وبالذات مع نزلاء أجنحة المبانى الاضافية فى برج كونوت »

وأضافت ، ربما فى تهور : « ليس لديك أى مبرر على الاطلاق لكى تشعر بالغيرة من جون كازينوبوليس »

إبتلع بعضاً من الخمر ، ووجه لها نظرة كئيبة طويلة . وقال فى نبرة متهجمة : « لقد بدأت أتساءل عما إذا كنت أرى بطريقة صائبة . يقولون أن الحب أعمى . ربما يكون كذلك . حتى الليلة الماضية ، عندما طلبت منك أن تتزوجينى ، كنت أعتقد أنك فتاة من النوع الذى يضع المشاعر فى المقدمة دائماً .. مشاعر الآخرين ومشاعرك يبدو أننى أخطأت فى ذلك . ليست المشاعر هى ما يهمك ، إنما أشياء مثل النجاح والشهرة ومعرفة الناس الملائمين ليساعدوك على تحقيق طموحاتك . »

إعترضت ، وقد طعنتها نبرته ، فقالت : « لورير ، هذا غير صحيح . أنت تعرف أن هذا ليس هو كل ما يهمنى . ليس من الإنصاف أن تتهمنى بأننى عديمة المشاعر . وعلى وجه الدقة ، فنحن فى هذه الورطة لأننى لست كذلك . أنا .. أنا تركت مشاعرى تجاهك تقوض أساس قرارى الأفضل . كنت أعرف أن

الوقوع فى الحب قد لا يؤدى للنجاح بالنسبة لى ، ولذلك حاولت ، عن قصد ، أن أتجنبه . لم أرد أن أوذيك . بالتأكيد يجب أن تدرك ذلك ؟ »

عندما رأى وجهها المعذب ، رقت نظرته الغاضبة بعض الشىء .

وسألها : إذن لماذا إستمررت فى فعله ؟ بحق السماء ياليكس ، إن كونك مصممة ديكور مشهورة سيكون عزاءً فاتراً عندما تصبحين إمرأة تقدم بها السن ليست بمستوى جمالك الآن ، دون شريك يقاسمك مشاكلك ، ويؤنس وحدتك . هل فكرت كيف سيكون مستقبلك وحيداً فى تلك الفقاعة الخاوية المسماة الشهرة ؟ »

« نعم ، لقد فكرت فى المستقبل ونظرت حولى أيضاً ، ورأيت أعداداً من النساء اللواتى تزوجن فى سن صغيرة جداً ولم يحقق وجودهن . واللواتى يُقمن مع أزواجهن بحكم العادة أو الواجب وليس بسبب الحب . أحياناً تنتهى حاله « الوقوع فى الحب » ، وينمو أقوى ويدوم . وفى أحيان أكثر لا يحدث ذلك . ولكن الذين يحبون عملهم يحبونه طوال حياتهم أنا أذكر قول لورين باكال : « يجب على الآباء أن يعلموا أبناءهم أن العمل هو غرض الحياة » . لقد كانت على صواب . إن أسعد من عرفت هم أولئك الذين يعبدون عملهم ، أو لديهم هواية تستغرقهم »

أثناء حديثها ، تذكرت عمتها التى ضحت بموهبتها فى الرسم لتربى تسعة أطفال وتعنى بحماة مريضة وتكون زوجة طيبة . إنها لم تظهر الندم إطلاقاً على الحياة التى عاشتها ولكن لزواجها المبكر .

غير أن العمة جو كانت لديها صفات أمومية قوية أدركت اليكس أنها غير متوافرة لديها .. أو كانت دائماً ترى أنها ليست كذلك . والآن ، وهى تنظر إلى لورير يطعن سلطته بعنف على الجانب الآخر من المائدة ، شعرت بإحساس حاد من إفتقاد الأطفال الذين كان يمكن أن ينجباهم معاً .

أطفال مائيون ذوى عيون داكنة ، يشبون فى الشمس ، ويتعلمون السباحة قبل أن يتعلموا السير كما ينبغى . أطفال لهم سيقان طويلة يتعلمون عن والدهم السباحة بين الأمواج بينما والدتهم تعمل فى الاستديو الخاص بها ، وفى الهواء الطلق البارد ، والذى يطل على الباسفيك الأزرق فى خلال ثوان برقت أمام عينى عقلها رؤية تفصيلية للمستقبل الذى كان لورير يعرضه عليها ، ويلح بشدة ، ومغرياً بدرجة لا تقاوم .

لو أنه رفع بصره إليها فى هذه اللحظة ، ومد يده إلى يدها ، وأخبرها عن مدى حبه لها .. كانت ستنهار فاقده أحكامها الحصيفة على الأمور .

لكنه لم يفعل . إستمر فى تناول طعامه ، وانقبض حاجباه وتحولا إلى قضيب أسود عابس على إمتداد جبهته بينما إمتلأ وجهه بالخطوط الخشنة . ولذلك توفر لديها وقت للتفكير ، ولكن كان من نوع التفكير الرغبى الذى يعتقد المرء فى صحته لمجرد أنه يرغب فى ذلك . الحياة الحقيقية لا تكمل اطلاقاً . دائماً هناك مشاكل وصعوبات ، ويحدث معظمها لأن الوطأة العظمى من حياة العائلة تقع بدرجة أكبر على الزوجات أكثر مما تقع على الأزواج .

يظن الرجل أن يقوم بما عليه إذا أخذ الأولاد إلى المدرسة ، وملأ السيارة من متجر عامر بالبضائع ، وطهى الوجبة العادية ،

واخذ بدلته للتنظيف . وكل ما تبقى : قوائم البقالة ، وحفلات العشاء ، وخطابات الشكر على حفلات الآخرين ، وتنظيم حصص طعام الأسرة . كل ذلك يقع على عاتق الزوجة . وليس بحياتى مساحة تستوعب أعداداً لا تحصى من الإلتزامات . أنا أعمل الآن بأقصى طاقتى .

ومتأخراً جداً .. رفع لورير بصره إليها .

قال : « العمل مهم ، لا أنكر هذا . لو كنت مثلاً طبيبة جراحة أو عالمة بحوث أو فرد يكون عمله مهماً ويجب أداءه فى مكان معين ، عندئذ كنت سأستطيع فهم موقفك . بل لو كنت مغنية أو موسيقية فيمكننى عندئذ أن أرى رأيك . فى هذه الحالة ستضطرين للسفر ، وستكون لديك مشاكل فى التوفيق بين مهنتك وزواجك . ولكن كونك مصممة ديكور هو شىء آخر . إنه لا يطرح نفس المشاكل ، أو هكذا أراه »

قالت فى صراحة وبرود : « تقصد أن التصميم الداخلى ، من وجهة نظرك ، ليس مهماً »

« أنا لم أقل ذلك » وسألها رافعاً حاجبه : « هل تضعين عملك فى مستوى عمل جراح »

ولتوقف نفسها عن الاجابة بإندفاع ، التقطت كأسها ، ورشفت منه رشفة وهى تواجه نظرته الساخرة وتدرك ، فى الم ، أن هذه هى المرة الأولى على الاطلاق التى تشعر فيها بالعداء تجاهه .

لم تكن تلك الفتاة الصغيرة التى تعتقد أن الحب لابد أن يكون كلاً لا يتجزأ مع بعض إختلافات قليلة فى وجهات النظر دون أن تؤدى على الاطلاق إلى نزاع صريح . ولكنها لم تتوقع أن يكون هذا الموضوع محل نزاع بينهما .

قالت: «فى الواقع أنا أضع الزبال فى أهمية الجراح. ليس كل فرد يحتاج عملية جراحية، ولكن لا يوجد من يستطيع العيش مستريحاً دون الجمع المنتظم للقمامة. وبالنسبة لأخصائى الديكور الداخلى فأعتقد أن له أهمية كبيرة فى تحسين نوعية الحياة. إن صحة الناس تتأثر إلى حد بعيد بالأجواء المحيطة بهم».

أجاب فى جفاء: «أنا متأكد من ذلك، ولكن على أن يكون بصفة أساسية فى المصانع والمكاتب والأماكن العامة. أنا أشك إذا ما كان الديكور فى المطاعم والفناق الفاخرة يسهم بدرجة كبير فى الصحة الذهنية.»

كانت لا تزال متعبة من ساعات القلق أثناء غيابه فى الليلة الماضية، وكانت أعصابها متوترة كأنها أسلاك، فقالت اليكس فى صوت خفيض: «ربما لا، ولكن مهما كانت قيمه عملى فلن أتزوج ممن يراه غير هام بالنسبة لعمله. لقد تساءلت عما إذا كنت ترى بطريقة صائبة.»

«لو أنك كنت.. واحدة عملها هام،» وأثارها التلميح القوى بالترفع فى أسلوبه.

وتابع متهجماً: «لكنت جئت إلى هنا منذ وقت طويل يكفى لتعرف أن كندا ليست مجتمع تحكمه إمرأة.» وأضاف فى حدة موجزة: «وبالتأكيد أنا لا أذهب إلى السوق لأجل إمرأة تذهب لترتدى البنطلون»

ردت، وقد بدأت تهتز: «وأنا لا أذهب إلى السوق لأجل زوج يريد أن يكون إلهاً من صفيح. أو لأجل أى زوج»

أدركت أنهما على شفا محادثة أكثر حدة من تلك التى دارت فى فيكتوريا فى الليلة الماضية، وأنه سرعان ما سيتضح

للآخرين — إنه لم يكن قد حدث فعلاً — أن بينهما شجار. ولذلك تمالكت اليكس نفسها بقوة، واستطردت تقول فى لهجة لطيفة باردة: «أرجوك، أعذرنى. أجد أننى لست جائعة، ولا أرى داعياً لأستمرار هذه المحادثة.»

وضعت منديل المائدة أمامها، ودفعت كرسيها للخلف، ونهضت.

كانت حركة لا إرادية للوريير أن ينهض واقفاً عندما تنهض المرأة التى تصحبه. إن أخلاق أحترام النساء التى غرست فيه منذ طفولته قد جعلت من الغريزى بالنسبة له أن ينهض نصف واقفاً الآن. ولكن إدراكه أنها ستتركه ولم تكد تمس سلطتها وقد رشفت قليلاً من كأسها، جعل التعبير المرعد على وجهه يتعارض بصورة مضحكة مع حركة جسده المهذبة.

لكن روح اليكس المرحة القوية كانت معطلة وقتياً. كانت مروعة خشية الأنهيار قبل أن تغادر المطعم. واستجمعت كل تمالكها لنفسها لمجرد أن تسير، وليس أن تندفع، تجاه الباب.

وعندما أصبحت فى الشارع، أطلقت العنان لإنفعالاتها بعض الشىء، ولكنها إستطاعت أن تحتوى الإنفجارات المتشنجة التى تفجرت داخل صدرها كانت تطرف عينيها لتذرف الدموع. ودون أن ترى إلى أين تمضى، سارت هائمة مبتعدة عن أودولس. وفى كل خطوة كان يداخلها توقع أنها ستشعر بيدين قويتين كتفيها تديرانها لتواجه حلقات أشد قصاصاً حتى من تلك التى صدمتها منذ لحظات.

لكن لوريير لم يأت وراءها.

عندما أدركت أنه لم يفعل، داخلها إحساس مروع بأنها قد لا يريا بعضهما مرة أخرى على الاطلاق. ورغم الأسلوب الذى

إفترقا به ، فقد ملأها بالوحشة .

كانت تعرف أنها بمجيئها إلى فانكوفر، قد رفعت من مستقبلها العملى ، ولكنها أيضاً أفسدت حياتها . إنها لن تستطيع التغلب على حبه .

الفصـــل الخامس

(وداعاً يا عزيزتى)

فى الصباح التالى أجابت اليكس التليفون لتسمع صوته موظفة الاستقبال تقول : « السيدة تايت فى الردهة يا آنسة كليفورد »

وللحظة ، إنخفض قلبها بشدة . ثم أدركت أنها قالت السيدة تايت : « أتراها أخطأت السمع ؟ »

« السيدة تايت ؟ سيدة كبيرة ذات شعر أبيض ؟ »

« هذا مضبوط يا آنسة »

« أرجوك ، أخبريها أننى سأنزل على الفور»

فى المصعد تساءلت لماذا تزورها السيدة تايت . ربما لم تعرف باربار أتايت بعد أن صداقتهما قد إنتهت . لم يكن من ذلك النوع الذى يفضى بمشاكله ، ولو لجدته الأثيرة جداً .

عندما خطت اليكس خارج المصعد، نهضت باربارا تايت من مقعد قرب مكتب الاستقبال . خلال اللحظات التى استغرقاها لتصل كل منهما للأخرى ، لم يبد فى هيئتها أنها عرفت أن خطأ ما قد حدث مما قد يكون سببا لزيارتها غير المتوقعة .

www.rewity.com

«صباح الخير يا اليكس. هل اخترت وقتاً غير ملائم لأقبل دعوتك لرؤية تصميماتك؟ كان ينبغى أن أتصل تليفونيا أولاً، أعرف ذلك. ولكننى كنت فى جولة بوسط المدينة هذا الصباح، وبعد أن أنهيت مهامى، فكرت أن أفاجئك وأرى إن بإمكانك الاستغناء عن نصف ساعة. وإذا كنت مشغولة جداً الآن فيمكننى الاستمرار فى طريقى.»

كانت تدرك صعوبة أن تتصرف كما لو أن شيئاً لم يحدث، ولذلك وجدت اليكس إغراءً فى أن تدعى انشغالها هذا الصباح. كان من الصعب لها دائماً أن تكذب إلا للحفاظ على مشاعر الآخرين، وفضلاً عن ذلك، فلم تستطع أن تصدق تماماً أن زيارة السيدة تايت كانت نزوة وليدة اللحظة. ذلك أن النساء من جيلها وتربيتها يكن فى الغالب مراعيات متعصبات لراحة الآخرين. كان إحتمالاً بعيداً أن تزورها فجأة إلا إذا كان لديها سبباً خاصاً يدفعها للتصرف بما لا يتفق مع أخلاقها.

قالت اليكس: «أنا لست مشغولة جداً. فى الواقع كنت على وشك أخذ راحة لتناول القهوة. فهل لك أن تصعدى وتشاهدى وكرى.»

عندما شاهدت السيدة تايت المنظر من الجناح قالت: «يا له من مشهد رائع لميناء الفحم»

ثم تابعت: «ولكن ألا ترين أن اسم ميناء الفحم غير جذاب بالمرة لهذا الجزء من خليج برارد؟» لقد سمى بذلك لأن إحدى سفن الملكة فيكتوريا الخاصة بالمساحة، وكان اسمها الغواص هـ.م.س. قد وجدت عرقاً من الفحم فى هذا الركن من الميناء الرئيسى. ولسوء الحظ التصق الإسم.»

وقفت اليكس بجوارها تنظر إلى أيكه صوارى قوارب النزهة

المرئية على جانبى فندق شاطىء الخليج.

قالت: «لابد أن هذه ثروة تزيد على المليون دولار من اليخوت والزوارق الرأسية هناك، وتوجد أحواض أخرى تعج بالقوارب فى فالس كريك. غير أننى رأيت أيضاً رجالاً يفتشون فى سلال القمامة الكبيرة خارج الفنادق والشقق بحثاً عن شىء يأكلوه. أعرف أن أغلبهم عاطلين ومدمنى كحوليات. ولقد سجل تقرير البلدية تسليم الف وثمانمائة كيس طعام إلى المحتاجين معبراً عن التناقض الصارخ فى أساليب الحياة فى هذه المدينة. لقد سافرت إلى مناطق كثيرة ولكنى لم أذهب إلى أى مكان تتداخل فيه الأجزاء الأنيقة مع الأجزاء الرخيصة مثلما هو الحال هنا.»

قالت السيدة تايت: «من الصعب لفرد أوربى أن يدرك مدى حداثة عمر فانكوفر.. إن مائة عام ليست وقت طويل فى عمر مدينة، وكما تعرفين، فنحن لم نحتفل بعيدنا المئوى حتى عام ١٩٨٦. أنت لن تصدقى كيف كانت فانكوفر مختلفة عندما كنت فى مثل سنك. بل منذ عقدين فقط لم يكن هناك أياً من هذه المبانى الشاهقة. اليس هذا مبنى غير عادى؟» كانت تشير إلى مبنى الوست كوست فى جورجيا، والذى يحتل صدر المشهد من حجرة اليكس. وتابعت: «أراه يبدو كطرد كريسماس ضخم ملفوف فى رقاقة معدنية فى إنتظار رفعه إلى الهواء بهيلوكوبتر عملاقة.»

قالت اليكس: «أنا أحب المبانى ذات الجدران الزجاجية المغطاة بالستائر والتى تعكس المبانى الأخرى» وأضافت: «لقد شرح لى مهندسو جون المعماريون تشييد هذا المبنى. إنه مصمم على نفس الأساس الذى يصمم عليه جسر معلق. الطوابق

معلقة بتلك السلاسل الصلب المتدلية حول القلب المركزى لقد بُنى من الطابق العلوى إلى أسفل، بدلاً من الأسلوب المعتاد، وقد أهملت الطوابق السفلى لأنه من الصعب تأجيرها. إنه له مقاومة للزلازل أكثر من مبنى عادى»

أثناء حديثها، ظهرت طائرة مائية سرعان ما أختفت خلف الحافة الزجاجية الطويلة الخضراء ببرج كراون لايف فى وسط جورجيا، ثم عاودت الظهور وقد حلقت على إرتفاع منخفض تمهيداً للهبوط فى الميناء الآن، وفى كل مرة تنظر من النافذة وترى طائرة مائية، تشعر اليكس بغض من الألم.

قالت السيدة العجوز: «يقال أن خلال سنى حياتك، فان الأمتداد الحضرى سيصل إلى الحدود الأمركية وكل الطريق إلى هوب عند رأسى وادى فريزر» وعبرت تكشيرة مازحة عن رد فعلها تجاه المستقبل.

قالت اليكس، وهى تتجه إلى المطبخ لتعد القهوة: لقد قرأت أنه منذ مالايتجاوز خمسة عشر عاماً كان من النادر وجود أى مطاعم وكان يوجد مسرحين فقط.»

«نعم، والان لدينا عشرات المطاعم ومدى واسع للأختيار بين مختلف المطابخ وتشكيلة طيبة مما تعرض. ولكن تحت هذا السطح المتكلف الجمال، ترقد بعض أراء المدينة الصغيرة»... إن لورير لايشرب إطلاقاً أثناء قيادته السيارة، ولكن يحنقه إغفال شخص فى المطار فى يوم أحد دون أن يستطيع الحصول على كأس يريحه من الضجر. فحسب القانون. لايزال من الممنوع أن تشربى فى الأماكن العامة مثل المتنزهات والشواطىء. وهذا يعنى أنك يجب ألا تأخذى البيرة معك فى نزهة، ولا يمكنك الإستمتاع بكأس من النبيذ عقب التسوق فى

سوق جزيرة جرانفيل»

كانت إشاراتها لحفيدها ذات نبرة طبيعية إلى أقصى مايمكن، ولم توجه لمحة خاطفة لأليكس عندما أشارت له. ربما ليست لديها أية فكرة عما وصلت إليه الأمور بينهما.

عندما أعطت السيدة تايت ظهرها للنافذة، جذبت ابنتباهها زهور بخور مريم البيضاء. كانت اليكس، كل بضعة أيام، تقطع الزهور التى تبدأ أحوافها فى إتخاذ اللون البنى. واليوم هناك عشرون زهرة متفتحة وقد إنبثقت براعم كثيرة من بين الأوراق الكثيفة.

إنحنت ضيفتها بإتجاه الزهور، وقالت: «يالله من نبات جميل»

«اليس كذلك؟ لقد أهداه لى لورير» كانت اليكس تجاهد لكى تبدو طبيعية. وأضافت: «أخشى ألا يكون لدى أى بسكويت طيب.. أوكعك لاقدمه لك... دائماً تكون لدى تفاحة لآخر لحظة»

قالت السيدة تايت: «من النادر أن أتناول طعاماً بين الوجبات» ثم وجهت لمحة خاطفة تجاه نماذج مجموعات المبانى الملحقة وقد غطتها أغطية خفيفة. لم تسأل إن يمكنها رفع الأغطية، ولكنها قالت: «كما تعرفين فأنا أعيش بمفردى لبضعة أيام وقد ذهب لورير إلى رحلة صيد»

لم تقل اليكس شيئاً، ولم تضف السيدة تايت شيئاً حتى عادت اليكس بالصينية.

وبعد أن جلستا قالت السيدة تايت: «أنا لا أريد أن أتطفل على ماليس من شأنى، لكننى أعرف حفيدى جيداً، وأشعر أنه قد ذهب بعيداً ليس من أجل الصيد، ولكن ليكون

بمفرده. لو كنت على صواب، فلن يكون ذلك إلا لشيء ما حدث بينكما مما سبب له إحباطاً. أنت نفسك تبدين على غير ما يرام. هل أتجرأ كثيراً لو طلبت المأماً محدوداً بما حدث بأن أسألك عن ذلك؟ لو أنني كنت كذلك فلن أضغط عليك يا عزيزتي.»

وبمشاعر متضاربة من الارتياح والممانعة، أجابت اليكس: «لقد طلب لورير أن أتزوجه، وأنا رفضت يا سيدة تايت»

إكتسا وجه جدته بمزيج من المفاجأة وخيبة الأمل. وقالت: «أوه يا عزيزتي، أوصلت الأمور إلى هذا الحد، لقد وددت أن يكون مجرد شجار.. شيء ما سينقضي. لقد خمنت بالطبع أنه قد وقع في حبك، وكنت أود لو أنك بادلته مشاعره. ولكنك لم تفعلي على ما يبدو؟»

قالت اليكس: «أوه، لقد فعلت. وهذا ما يجعلني أبدو على غير ما يرام. لقد ظللت مستيقظة أغلب الليل أتمنى لو استطيع الزواج منه»

«أنا لا أفهم. إذا كنت تريدينه فلماذا لا تتزوجينه؟»

تساءلت اليكس عن مدى أملها في أن تجعل السيدة تايت تتفهم موقفها. ففي ساعات الليل الطويلة، وهي تروح وتجيء في قلق، ولم تكد وسادتها تجف من الدموع، كانت هي نفسها قد بدأت تحس أن كان ضرباً من الجنون أن تصد عرض لورير للزواج، وتفارقه بتلك الكلمات الخشنة التي تبادلها في أودولس.

بدأت تشرح أسباب قرارها. القرار الذي كانت متأكدة أنه سيحظى بقليل من تعاطف السيدة الأخرى التي كانت حياتها بين إنهاء دراستها في أوربا والزواج هي حياة فتاة في

الثلاثينيات تظهر في المجتمع لأول مرة.

إستمعت لها السيدة تايت في صمت. هذه المرة لم يكن وجهها يكشف عما تفكر فيه.

بعدما توقفت إليكس عن الكلام كان هناك صمت طويل، ورشفت كل منهما قليلاً من قهوتها. وركزت السيدة تايت بصرها على زهور بخور مريم البيضاء كأن تفكيرها لا يتركز على الموضوع الذي كانتا تتداولانه.

وفجأة، سألتها: «هل حكى لك لورير عن والديه.. عن طفولته؟»

«ليس كثيراً. أعرف أن والدته من كوبيك، وأنه وُلد في باريس.»

«لقد وُلد هناك لأن كاترين ــ زوجة إبني الأول ــ كانت تدرس الموسيقى هناك. كانت هي وابني روبرت يعيشان في أوربا في ذلك الوقت. كانت كاترين تنظر لنفسها على أنها أوربية. لم تحب كندا، وكانت تقول أنه لا توجد فيها حضارة. في تلك الأيام، ربما كانت على حق. عندما كان لورير طفلاً صغيراً، لم تكن الحاسة الحضارية غنية مثل اليوم.»

صمتت قليلاً ثم تابعت: «بمجرد أن ولد سلمته أمه إلى مربية، وكرست نفسها لمهنتها. لقد ضحت بكل شيء من أجل طموحها في أن تكون عازفة بيانو عظيمة. لقد أفسدت حياة روبرت إلى حد كبير. كان مجنوناً بها، وأنا أستخدم كلمة مجنون عن عمد. كان مسلوب اللب لدرجة أنه يتخلى عن أي شيء يحبه في سبيل تحقيق رغباتها. لم ترد العيش في فانكوفر. ووافق أن يتخلى عن مكانه كوريث لزوجي، وأصبح مديراً لأعمالها. كانت الأعوام الخمسة التي قضياها معاً فترة مرعبة

فى حياتنا. كان زوجى غاضباً من طموح كاترين الأنانى. وكان عميق الحزن لما إعتبره خيانة من إبنة لتركته.»

سألت اليكس: «كيف كانا يعيشان؟»

«ورث روبرت بعض المال كما ورثت كاترين نصيباً وافر عن والدها. كان لها أقارب فى باريس ساعدوهما فى العثور على مكان يعيشان فيه. لم تكن لديهما أى مشاكل مالية. ولكنه لم يألف الإقامة هناك. لم يتعلم الفرنسية بسرعة، ولم يكن مستريحاً بين الموسيقيين والفنانين. كان وضعاً مدمراً. لقد ذهبت لرؤيتهم وكان لورير قد بلغ عامه الأول. رفض زوجى أن يأتى معى. ورغم أن روبرت كان لا يزال يحبها، فأستطيع القول بأنه لم يكن سعيداً.»

كانت تنظر إلى المشهد عبر النافذة أثناء كلامها، ثم إستدارت لتواجه اليكس، وقالت: «هذا التفكير لم يكن تفكيراً رغبياً اعتقد فيه لأننى أريد صحته كأم ذات نزعة إمتلاكية. كنت أريد أن يكون روبرت سعيداً معها رغم حزنى لأن زواجه دمر أمن تفكير زوجى بشأن مستقبل أعماله التجارية. فى العام التالى ذهبت لزيارتهم مرة أخرى. ورأيت حينئذ أن روبرت كان يسرف فى الشرب. وفى زيارتى الثالثة كان واضحاً، رغم إنكاره، أنه يعانى من مشاكل بسبب الشرب»

«هل ظل هو ووالده متنافرين؟»

«نعم، للأسف. رغم أن زوجى لم يفعل أى شىء مع روبرت، فإنه لم يعارض فى كتابتى أو زيارتى له. إنها فترة من حياتى لا أرغب فى تذكرها. ولم أحك لك عنها يا اليكس إلا لأساعدك على فهم خلفية لورير والظروف التى شكلت

شخصيته»

«كم كان شيئاً مفزعاً لك. ماذا كان موقف كاترين من إدمان زوجها الشرب؟»

«كانت مهتمة، ولكنها رفضت الأعتراف بأن العلاج أن تدعه يعود إلى حيث كان يعيش. لم تكن لتضحى ببوصة واحدة. بدأت أكرهها عندئذ. لا استطيع أن أفهم كيف تحبه كما تدعى بينما تستمر فى إعطاء مهنتها أهمية أكبر من صحته وسلامته.»

«هل كان نجاحها فى عملها يسير على ما يرام؟»

«نعم. كانت تكتب تعليقات ممتازة عن حفلاتها الموسيقية الفردية. لم تكن مجرد عازفة بيانو موهوبة، بل كانت أيضاً جميلة بدرجة ملفتة. لقد جاءت منها بشرة لورير الداكنة. أما الباقى ــ قامته وبنيانه القوى ــ فقد ورثه عن والد زوجى.

بعد لحظة صمت، إستطردت قائلة: «أنا متأكدة أنه مما يساعد عازفة بيانو أن تسر العين مثلما تسر الأذن. كان لكاترين عنق جميل، وذراعان جميلتان، وشعر فاحم طويل كانت ترفعه عن صدغيها بدبوسين وتتركه ينساب مسترسلاً على ظهرها. كانت مشاهده عزفها متعة، ولكننى لم استطع الإستمرار فى الإستمتاع به عندما رأيت إبنى يتدهور.»

لزمت الصمت فجأة، ونظرت إلى اليكس كما لو كانت تتوقع بعض التعقيب.

بدا لأليكس أن كاترين لم تكن مسئولة عن تدهور روبرت. إذا كان الإلتجاء إلى زجاجة الخمر هو ملاذه الوحيد فى موقف صعب، فهو المُلام وليست زوجته. ولكنها لم تستطع أن تقول ذلك لوالدته. وبدلاً من ذلك قالت: «ماذا حدث

فى النهاية ؟ »

« أصيب زوجى بأزمة قلبية وإتصلت بروبرت الذى عاد طائراً إلى وطنه فى الحال . بمجرد أن أصبح فى فانكوفر بدا كأنما قد ثاب إلى رشده . وعندما عاد إلى باريس بعد عدة شهور من شفاء زوجى ، كان لمجرد أن يناقش الطلاق . كانت عائلتها كاثوليكية ، ولكن كاترين ارتدت . وافقت على إنهاء زواجهما بشرط أن يتقاسما حضانة لورير . كان معنى ذلك أن تكون طفولته ممزقة ، ولكن لا يبدو أن ذلك قد أذاه . لقد جعلته مصراً على ألا يكرر خطأ والده . »

« هل تزوج والده مرة أخرى . وهل تزوجت كاترين ؟ »

« لم تتزوج ، ولكنها إرتبطت بعلاقة طويلة مع موسيقى آخر رأى زوجى فى ذلك شيئاً لا أخلاقياً يقتضى حرمانها من حضانة ابنها . وأنا فى الحقيقة لم أهتم بما فعلته كاترين . كل ما أحسست به هو راحة كبيرة عندما رأيت إبنى وقد تم إنقاذه من الكحوليات ، ومتزوجاً من فتاة كل إهتمامها أن تكون زوجة طيبة له . إنه كان وهذا رأى عتيق ، إلا أن كون المرأة زوجة وأم يعد مهنة شريفة تتطلب التفرغ الكامل . »

قالت اليكس : « من المستحيل إقتصادياً لأغلب الزوجات أن يبقين فى المنزل هذه الأيام .. لم يعد بإستطاعة دخل واحد إعالة أسرة . »

« ربما فى مستويات الدخل المنخفضة ، ولكن لدى لورير موارد خاصة بالإضافة لدخله من عمله يمكنه إعالة زوجة وأطفال بدرجة مريحة جداً . عزيزتى .. هل نظرت إلى سنوات عمرك المتوسطة ؟ أعرف أنه صعب ، وأنت لا تزالى فى عشرينيات عمرك ، أن ترى نفسك فى الخامسة والثلاثين .. أو

الخامسة والخمسين . ولكن أعياد الميلاد هذه تتوالى بسرعة مذهلة . الزوج الذى يحبك لن يبالى بالتغيرات التى يحدثها عمرك . ستكونين فى نظرة جميلة دائماً . هل أنت متأكدة أن بإمكانك أن تعيشى حياتك دون أمن وراحة زواج سعيد ؟ »

ترددت اليكس وهى تنتقى كلماتها ، وقالت : « هناك شىء واحد فقط أنا متأكدة منه يا سيدة تايت . وهو أننى لا استطيع أن أعيش حياتى دون تحديات وإرضاءات عملى . إنه ... من سوء الحظ أننى ولورير لنا مهنتان متضاربتان ، ولكن هذا هو الواقع . لا يمكن أن أعمل بفعاليه من جزيرة تبعد الفين وخمسمائة ميل فى الباسفيك الأوسط . أظن أن بإمكانى العثور على بعض العمل هناك ، ولكننى لا أريد أن أحصر نفسى فى تصميم الأجزاء الداخلية من مساكن الأجازات وخلوات التقاعد . إن ذلك يشبه سؤال لورير أن ينتقل إلى وسط الصحارى . لا يمكنه أن يفعل ما يفعله فى ساسكاتشيوان »

أحست أن باربارا تايت لم تقتنع . ربما كان من المستحيل تماماً لواحدة من جيلها أن ترى طموحات المرأة بنفس أهمية طموحات الرجل .

وتابعت : « الحقيقة أننا ــ أنا ولورير ــ متعارضان مثلما كان والده ووالدته .. وكما حدث لهما فإذا إستسلم شريك فى الزواج لدرجة بالغة فإن ذلك لا يؤدى للنجاح ، وخاصة مع شخصيتين كاملتى النضج مثلينا . أنا لست فتاة صغيرة طيعة . لقد نضجت شخصيتى تماماً ، وأعرف أنه مهما كانت هاواى جميلة ، فلا يقطع ذلك بأننى ساكون سعيدة هناك . »

أشارت عليها السيدة العجوز بقولها : « ألا ترين أنك يجب أن تذهبى إلى هناك قبل أن تتخذى قرارك ؟ .. ربما تقعين فى

حب الجزر»

«أنا متأكدة أنها مبهجة. ولكن لأكون أمينة معك، فإن فانكوفر نفسها تبدو بعيدة عن مركز الأحداث. إنها مدينة مبهجة، ولقد أحببت وجودى هنا، ولكنها ليست مثل لندن أو نيويورك أو باريس. هذا مكان إنسان خلوى. أنا إنسانة عقلانية جداً. استمتع بعمل بعض الأمور الخلوية فى بعض الوقت، ولكننى لست من أولئك الذين يتوقون إلى «التخلص من كل شىء». أنا أريد أن أكون جزءاً من كل شىء، وبالتحديد وفى وسطه تماماً، حيث توجد الحركة الخلاقة».

وتوقفت قليلاً ثم تابعت: «إنه شىء صعب الشرح. أنا لا أنتظر منك أن تتفهمى ذلك.»

قالت بربارا تايت: «يجب أن أعترف بأننى لا أفهم. بالنسبة لى، لا شىء يمكن أن يهمنى أكثر من زواج سعيد. بمجرد أن قابلتك أحسست أنك الفتاة المناسبة لحفيدى. وبصفتى جدته، فمن الطبيعى أن انحاز لصفة. ولكننى لست وحدى فى نظرتى للورير على أنه شخص خاص. أنا لا أعرف رجلاً أكثر منه عطفاً أو مراعاة، وفى الزوج فإن الحنان هام جداً. وكثير من الرجال المرغوبين ليسو عطوفين»

قالت اليكس: «أعرف أنه من طراز خاص.. أنت لست مضطرة لأن تقولى لى كل صفاته الجيدة»

تساءلت إذا كانت السيدة تايت تعرف أنهما ذهب للجزيرة بمفردهما. أتراها تتقبل السلوك الحديث بإستحسان أم بإستهجان؟. ربما كانت ترى أن ذلك يعتمد على نوايا الشريكين. لقد كانت نوايا لورير نبيلة. فما دامت عطلة نهاية الأسبوع على الجزيرة قد سارت على ما يرام، كان لابد أن

يطلب من اليكس أن تتزوجه. كانت هى التى تصرفت بأسلوب سيء. هل ستظل السيدة تايت تراها الفتاة المناسبة لو عرفت أن نية اليكس عندما ذهبت إلى الجزيرة كانت مجرد الإستمتاع وإشباع رغبتها الشديدة فى صحبته؟.

قالت السيدة تايت: «حسناً، إذا كان لم يستطع تغيير رأيك، فمن المؤكد أننى لا استطيع.. ولكن ربما يجعله غيابك تدركين مدى ما ستكون عليه وحدتك لو أنك لم تغيرى رأيك. إنه أخطر قرار على الإطلاق ينبغى على إمرأة أن تتخذه يا عزيزتى. وكذلك بالنسبة للرجل. إنه إجتياز الحياة مع رفيق قريب، هو شىء مجزى جداً بالمقارنة بالمعيشة المنفردة. وحتى الآن، وبعد مضى فترة طويلة على وفاة زوجى، فلا زلت أفتقد وجود من يقاسمنى الأشياء التى تسعدنى.»

وللحظة، كانت عيناها البنفسجيتان حزينتين. ثم إبتسمت، وقالت بحيوية: «لا تظنى أننى أتطفل. أؤكد لك أنها ليست طبيعتى. لقد قلت ما لدى ولن أذكر الموضوع مرة أخرى. كنت أريد فعلاً أن أرى تصميماتك. لم يكن ذلك مجرد عذر.»

أرتها اليكس نماذج الأجنحة، وأبدت السيدة تايت إهتماماً مرضياً بكل الدقائق. وبينما كانت على وشك الرحيل، تذكرت أنها أحضرت كتابين رأت أن اليكس ستستمتع بهما.

أحدهما كان السيره الذاتية للشاعرة بولين جونسون، التى يوجد قبرها بين الأشجار فى متنزه ستانلى، والآخر كان يضم مجموعة من قصائدها.

بعد أن صحبت اليكس ضيفتها إلى ردهة الفندق ثم عادت إلى الطابق العاشر، كانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة

والنصف. وبعد أن فاتها إستعراض فيل دوناهى، الذى كانت تنوى مشاهدته، التقطت مجلد الشعر ومرت على الصفحات حتى إستوقف عينيها اسم البحيرة المفقودة. إنه اسم تلك البحيرة الموجودة عند حافة المتنزه.

جلست على الأريكة، وخلعت حذاءها لتتمكن من جذب ساقيها بحيث تلتقص قدماها بجسدها، وهو وضعها المفضل أثناء القراءة منذ أن كانت فتاة صغيرة، وبدأت القصيدة:

يُقبل الغسق على البحيرة المفقودة
وكلانا .. تحت زحف الشفق الرمادى ..
تحت إغفاءه يوم ينتهى ..
وهلاك القمر الذهبى ..
نحلم بإبتعاد الغسق

° ° °

غمر الظلام البحيرة المفقودة.
وغارت أعماق السماء اللانهائية ..
وأسراب النوارس والقوارب العتيقة ..
وأشجار التنوب المغنية، والغسق .. وأنت
وقد ولى القمر الذهبى.

° ° °

أوه .. إغراء البحيرة المفقودة
أحلم الليلة أن يلف الضباب مجدافى ..
والظلام الأرجوانى .. واضطراب الطحلب البحرى ..
وأسمع نداء أشجار التنوب تُغنى ..
فى سكون القمر الذهبى ..

رأت اليكس أن الثلاثة مقاطع لا يمكن إعتبارها من الشعر

العظيم، ولكنها أحست أنها مفعمه بمشاعر الأسف والندم غير المجدى.

بينما كانت تتناول غداءها الخفيف، قلبت فى الكتاب الآخر، السيرة الذاتية لبولين جونسون، وكان إسمها الهندى تيكاهيون ويك. ولدت فى جماعة هندية موهوكية فى أونتاريو عام ١٨٦٢. كانت إبنة لإمرأة إنجليزية كريمة النسب لزعيم الأمم الستة، وهو رجل محنك متحضر يختلف كثيراً عن تلك الأشكال المثيرة للشفقة لمن رأتهم اليكس يتسكعون خلال فانكوفر، يستجدون النقود لشراء الكحوليات.

كانت هناك صورة لبولين جونسون تظهرها كأمرأة أخاذة تحمل الكثير عن سلالة والدها مما تمثل فى الخطوط المعقوفة لصورتها الجانبية الذكية الوسيمة. لم تتزوج مطلقاً. ولكن عندما ماتت فى فانكوفر عام ١٩١٣، ثم حرق جثتها وهى ترتدى قلاده تحوى صورة لرجل مجهول ... ربما الرجل الذى صحبها على البحيرة المفقودة.

لم تستطع اليكس العمل بعد الغداء، فأخذت الكتاب إلى المتنزه، وجلست على مقعد طويل فى الطريق المحيط بالبحيرة المفقودة. خرج بعض البط من المياه يتهادى آملاً أن يكون معها غداءٌ خفيفاً تتقاسمه معهم. وبمجرد إدراكهم أنها لا تحمل شيئاً، عادوا إلى البحيرة، وسبحوا مبتعدين.

حاولت اليكس أن تقرأ ولكن كان التركيز يتطلب جهداً. وبعد برهة أقرت بعجزها وما كان منها إلا أن جلست فى الشمس، وغرقت فى أفكارها.

تساءلت .. أين لورير؟ وهل لا يزال غاضباً منها؟ تمنت لو كانت لديها صورة له، ولكن ربما من الأفضل ألا تكون لديها

أية تذكارات لقصيدتها الرومانسية القصيرة، بإستثناء القفازين النسائيين اللذين إشتراهما لها ليحفظا يديها دافئتين.

فكرت اليكس فى ركوب بولين جونسون لقارب طويل فوق هذا البساط المائى منذ زمن بعيد عندما كانت فانكوفر لا تزال مدينة صغيرة وكانت البحيرة لا تزال مكاناً خاصاً هادئاً لا يعكره أزيز المرور على الطريق السريع ولا أصوات الأطفال يجرون عبر الطريق.

كانت بولين جونسون مشهورة فى أيامها. وكانت تعقد لقاءات عامة تلقى فيها شعرها ليس فقد فى كندا بل وفى أوربا أيضاً. ولكن مواهبها وشهرتها وجمالها النصف هندى الغير العادى لم يجلبوا لها سعادة دائمة. وها هى الآن تكاد تكون منسية.

ورأت اليكس أنها هى ذاتها مهما أصبحت مشهورة وناجحة فستصبح، خلال مائة عام متوفاه ومنسية. وسرت بجسدها قشعريرة رغم أن الجو كان دافئاً.

كانت تحذيرات السيدة تايت ترن فى عقلها. هل تطلعت للسنين المتوسطة من عمرك. هل أنت متأكدة أن بإستطاعتك أن تعيشى حياتك دون أمن وراحة زواج سعيد؟

لم تكن اليكس متأكدة على الإطلاق. ومع كل ساعة تمر، كانت تصبح أقل وأقل تأكداً.

فى هذا المساء دفعت نفسها لإنجاز ما كان يجب عليها إنهاءه من عملها من قبل. وفى حوالى العاشرة رن التليفون. وأهتز قلبها. شخص واحد كان يمكنه أن يطلبها فى وقت متأخر كهذا. وعن شوق لسماع صوته، إلتقطت السماعة.

«آلو؟»

«اليكس، لقد وصلت لتوى بالطائرة. هل لديك شىء غداً لا يمكنك إلغاءه؟»

«أوه.. جون. مرحباً. لا، لا أظن ذلك. لماذا؟»

«سآخذ يوماً أجازة، وأود أن تشاركينى فيه. لدى شىء أريد أن أتداول فيه معك. سأمر عليك فى العاشرة. حسناً؟»

«نعم، طيب. لكن ماذا ستفعل؟ ماذا أرتدى؟»

أجابها ضاحكاً: «سوف نقوم بجولة سياحية.. رحلة سرية.. أراك غداً» ووضع السماعة.

فى وقت مبكر من الصباح التالى خرجت لسيرها المعتاد ــ كانت قد تغيب عنه فى اليوم السابق ــ ولدى عودتها من عند المدفع إنتابها ذكرى رؤيتها الأولى للوزير وهو يعدو، وأول مرة رأت فيها وجهه ومحادثتها الأولى.

وفى اللحظة التى كفت فيها عن بذل جهد واع لإقصاءه من أفكارها، تسللت إلى عقلها كلماته وقبلاته ولمساته.

تساءلت.. إن كان يحدث له الآن ما يحدث لها. قبل الذهاب إلى الجزيرة، كانت قد أقنعت نفسها أن أياماً قلائل من السعادة معه ستكفيها طوال حياتها. لم تتوقع منه أن يرغب فى زواجها، ولم تتوقع سعادتها اللامحدودة فى صحبته، وإحساسها العميق به. لقد فجر داخلها أحاسيساً لم تكن تعرف بوجودها. وجعل إعتقادها السابق، بأن وجود رجل فى حياتها لم يكن بتلك الأهمية، مجرد هراء.

أتمت اليكس إستعدادها، وأنتظرت فى الردهة. وعند دقة الساعة العاشرة، تسللت إلى مرمى بصرها ليموزين سوداء أنيقة يقودها سائق. نزل السائق، الذى يرتدى حلة زرقاء وقبعه، وفتح الباب الخلفى لجون كازينوبوليس، الذى لم تندفع علاقاته

عندما دخل إلى الفندق.

مد يده قائلاً: «صباح الخير يا اليكس» ونظر بإستحسان لملابسها التى إنتقتها: جاكت بيج لين من الجلد الأملس وتحته بلوفر بيج وقميص حريرى مصفر.

مع لورير كانت ستختار سروالاً من الجبردين، ولكن ليوم مع جون رأت من الأكثر ملاءمة أن ترتدى تنوره من التويد، تجمع بين الأناقة والبساطة، وقد رسمت عليها نماذج ذات خطوط مائلة تشبه أضلاع سمك الرنجة. وعقدت حول جيدها وشاحاً حريرياً من اللونين الأسود والبيج. وأكتمل زيها الكلاسيكى الغير رسمى بزوج من الأحذية الانجليزية الغالية الثمن وحقيبة يد من قماش القنب تزينها حواشى جلدية.

بادلته الإبتسام قائلة: «صباح الخير. إننا نبدو وكأننا ذاهبان لقضاء يوم آخر خريفى تماماً.. صباح الخير.» كانت التحية الأخيرة موجهة للسائق.

كان للسيارة الضخمة تنجيد مخملى ناعم رمادى بلون الحمام، وسجادة رمادية ذات زئير سميك. وكان الحيز المخصص لسيقان راكبيها أوسع منه فى أى سيارة ركبتها. بل كانت هناك مساند مرتفعة للقدمين.

أراح جون نفسه على الجانب الآخر من مسند الذراع المركزى العريض، وسألها: «هل رأيت الصحف؟»

ناولها نسخة من الجلوب آندميل وتصفح الوول جورنال ستريت التى كان يقرأها وهو فى طريقه إليها.

وحيث أن المرء لابد دائماً أن يغسل يديه بعد قراءة الصحيفة الكندية ــ كانت أسوأ من صحيفتها اللندنين التايمز ــ فقد كانت اليكس سعيدة لأن بحقيبة يدها مجموعة من المناديل

الورقية الرطبة. قبل أن تفتح الجريدة لاحظت أن بجوارها لوحة أزرار للتحكم فى النافذة التى يتم تشغيلها كهربياً، وأيضاً للتحكم فى درجة الحرارة داخل السيارة والعديد من محطات الراديو.

حادثت نفسها وهى تبتسم... هذه هى الحياة.

ولكن عندما مروا بمحطة أتوبيس، ورأت المنتظرين يتطلعون بفضول لركاب الليموزين الفاخرة، أدركت أنها لو تعرضت للأختيار بين الذهاب إلى أى مكان بإستخدام المواصلات العامة مع لورير وبين إستخدام هذه الوسيلة مع جون، فبدون تردد ستختار البديل الأول.

سألها: «هل لديك فضول لمعرفة مقصدنا؟»

«بالطبع»

«أشعر بالرغبة فى رحلة بحرية. لا توجد عبّارة مباشرة من فانكوفر إلى فيكتوريا.. يجب أن نذهب بالسيارة إلى تساو سن التى تبعد أربعين دقيقة جنوب المدينة.»

حاولت اليكس الا تظهر فزعها. لقد تبخر المزاج المبتهج الذى تعمدت أن تبدأ به الرحلة، وذلك لدى فكرة العودة إلى فيكتوريا حيث قضت مع لورير ساعتها الأخيرة من السعادة قبل الكارثة المؤلمة التى أعقبت عرضه للزواج.

كان هناك بالفعل طابورين من العربات المنتظرة لدى مرسى العبارة فى نهاية طريق طويلة معبدة. ورغم ذلك فقد كانت المساحة المخصصة للسيارات على ظهر العبارة كوين إسكويمالتس يمكن أن تتسع لعدد كبير جداً من السيارات. كانوا قد وصلوا فى الوقت المضبوط تماماً عندما بدأ الطابور يتحرك، وسرعان ما كانوا على ظهر العبارة.

صعدا من المكان المخصص للسيارات إلى السطح المخصص للركاب حيث وقفا بجوار حواجز مدخل السفينة فى تيار هواء قوى أشعر اليكس بالرضا لأنها أحضرت الجاكت المضاد للريح. وبعد دقائق ظهر سائقهما يحمل مقعدى باخرة عتيقين.

«أين تريد أن يوضع هذان يا سيدى؟»

إختار جون موقعاً مشمساً مستتراً فى وسط السفينة. وقال جون: «لقد رأيت أن الجلوس على ظهر السفينة سيكون مقيداً أو غير مريح إلى حد كبير ولذلك أحضرت مايلزمنى» وأضاف قائلاً للسائق: «يجب أن يكون هناك زوجاً من البطاطين يابنتون.. رغم الشمس فقد يكون الجو شديد الرياح بدرجة تمنع من الراحة وسط الماء المكشوف»

أجاب الرجل: «البطاطين فى حقيبة السيارة يا سيد كازينوبوليس.. سأحضرهم مع السلة.»

لم يمض وقت طويل حتى ظهر مرة أخرى ومعه بطانيتان صوفيتان بنقوش مربعة ومعهما إلى سلة كبيرة ذات غطاء.

أصر جون أن تضع إحدى البطانيتين حول ساقيها رغم أنه لم يستخدم الأخرى ليلفها حول نفسه وإنما وضعها على المسند الخلفى لمقعده. بدا غافلاً عن النظرات المختلسة والتحديقات الصريحة التى أثارها إهتمامه الشديد بها.

أحست اليكس ببعض الارتباك من تدليلها ككائن هش يمكن أن تصيبه أقل هبة ريح بالبرد. وفى نفس الوقت كان شيئاً جميلاً جداً أن يكون لديها كرسياً مريحاً تجلس عليه بدلاً من مقعد طويل مضلع صلب، أو فوق حقيبة سترة نجاة، وأن تجد ما يحمى ساقيها، بجوربيها النيلون، من تيارات الهواء.

تذكرت صحة زوجته المعتلة.. ربما تعلم هذه العناية الدقيقة

خلال الشهور الأخيرة لمارى كازينوبوليس. أو ربما تعود شديد والثراء أن يُحضروا مايلزمهم عندما لاتتوافر أى تسهيلات خاصة.

لم تكد العبّارة تتخذ طريقها حتى فتح السلة.

سألها: «هل تناولت طعاماً هذا الصباح؟»

«نعم، تناولت إفطارى المعتاد. ولكنى لن أرفض بعض القهوة أو الشاى»

«لقد أمرت بقارورتين منها. يمكنك أخذ ماتفضليه. أنا تناولت إفطارى فى الفندق مثلك، ولكن هواء البحر يقوى الشهية. لقد طلبت منهم وضع بعض السندويتشات وزجاجة شمبانيا.»

«اليس الوقت مبكر بالنسبة للشمبانيا؟»

«مطلقاً. الم يسبق لك شرب الميموزا على الإفطار؟ إنها مزيج من الشمبانيا والبرتقال. وهى منشط عظيم بعد سهرة متأخرة.»

«فى إنجلترا يسمونها حيوية الرجل.» وتراءى أمامها مشهد مفاجيء: هى ولوريز يشربان الشمبانيا فى المنزل الصيفى.. وقد أحاطها بمشاعره الدافئة الرقيقة.. حتى كأنها تغوص فى النعيم.

جذب منظرهما، وهما يشربان الشمبانيا، مزيداً من الإهتمام الخفى والصريح من الركاب الآخرين. وفى رفق، قضمت ساندويتش لحم بقرى مشوى، ليس لأنها جائعة ولكن لتخفف به من حدة الخمر القوية التى حُفظت باردة بإستخدام وعاء عازل «ترموس»

خلال النصف ساعة الأولى لم تكن رحلة العبور شيقة

بدرجة كبيرة. ثم دخلت العبارة فى ممر ضيق من جزيرتين حافلتين بغابات الصنوبر. أظهرت الدوامات على سطح المياه شدة التيارات هناك. وفجأة أصدرت كوين إسكويمالتس صفيراً عالياً، وسرعان ما بدت أمامهم عبارة أخرى تتجه إلى البر الرئيسى. ومنذ ذلك الحين سارت رحلة العبور بين جزر صغيرة بعضها مأهول بالسكان وبعضها أصغر من أن يصلح للسكنى.

كان مسار العبارة رحيا فلم يمر بجزيرة آل تايت. لم تكن تتحمل رؤية المنزل الصيفى. بل إن النظر إلى الجزر الأخرى كان شيئاً مؤلماً.

ولتخفى المها الداخلى، قالت فى لهجة مشرقة: «هل حدث أن إستهواك إمتلاك جزيرة يا جون؟»

«لا، ولكن إذا اشتريت واحدة فلن تكون هنا. كان أجدادى صيادين مثل أولئك الرجال» وأشار ناحية رجلين يصيدان السمك وهما يركبان قارباً صغيراً، وتابع «ولكن ليس فى مياه بمثل هذه البرودة. لقد قيل لى أن النزول فى هذه المياه دون حله ملطفة فبعد عشرين دقيقة سيبدأ المرء فى الإحساس بالشلل بسبب البرد. جزيرتى، إذا ما إمتلكت واحدة، فستكون فى الكاريبى الدافىء.»

«ماذا عن البحر المتوسط.. اليونان؟ هل حدث أن ذهبت إلى هناك؟ بحثاً عن جذورك؟»

هز رأسه وقال: «أنا أمريكى شمالى يااليكس. ولا أشعر بأى روابط مع أوربا. هذه هى قارتى.. العالم الجديد. أشك أننى كنت سأصل على الاطلاق فى العالم القديم لما وصلت له هنا. لا توجد هناك نفس الفرص للرجل كى ينجح»

«لست متأكدة أننى أتفق معك فى ذلك بعض الرجال

سينجحون أينما تصادف أن يولدوا، ولم يكن العالم الجديد أرضاً للفرص لكل من جاء بحثاً عن الحياة الأفضل»

قال فى ثقة: «كان كذلك وسيظل كذلك لأى شخص يريد أن يعمل»

ردت فى لهجة عادية: «ليس للصينيين الذين ساهموا فى تشييد السكك الحديدية الكندية ثم لم يسمح لهم بإستدعاء عائلاتهم. لقد إستغرق الأمر منهم أجيالاً لكى يحصلوا على حقوق مساوية لغيرهم»

رأت أنه لم يكن ينصت لها، بل كان يتفحص وجهها وقد عبس وجهه قليلاً. قبل أن تسأل عن السبب قال: «بل اليوم شىء مختلف. لقد لاحظته بمجرد أن التقينا»

«أنا أرتدى ملابس مختلفة»

هز رأسه وقال: «لا أعتقد أنه ذلك. لا أعرف ما هو.. ربما تكون خيالاتى»

صمت، واستمر ينعم النظر فى قسماتها وفى إنسدال شعرها النظيف اللامع حولها. وعلى غير المتوقع، قال: «أنت جميلة مثلما أنت موهوبة»

أجفلت بعض الشىء وقالت: «شكراً لك»

«هل يمكن أن تكون المباهج المنتشية التى عاشتها مع لورير قد أحدثت تغييراً طفيفاً فى شخصيتها اكتشفته عيون جون الماكرة؟

قالت: «لقد قلت بالأمس أن لديك شيئاً ما تريد تداوله معى. هل يمكننا التحدث بشأنه الآن»

«فيما بعد.. ربما أثناء الغذاء. سوف ترسو السفينة بعد بضع دقائق. وأنا لا أحب أن أقاطع عندما أتحدث فى شأن

ما . »

بدا كما لو كان سيقدم لها تكليفاً آخر. لقد حمل بريد الصباح بوافد من أوروبا خطاباً من مساعدتها فى لندن متضمناً صوراً لداخل شقة اليكس الخاصة منشورة بآخر عدد من جريدة الموضة البريطانية (فوج). لابد أن المقالة ستثير إهتماماً بأسلوبها الزخرفى. وربما تتلقى طلبات من عملاء مستقبليين.

كان يمكنها أن تشعر أنها على قمة العالم، ولكنها لم تفعل. كانت تشعر بإكتئاب عميق وبؤس لم تعرفه من قبل على الإطلاق. لم تستطع نسيان المشادة فى أدولس. إنها تلقى بظلالها على كل شىء.

كان الوقت قد تجاوز الظهر عندما وصلوا إلى فيكتوريا. طلب جون من السائق أن ينزلهما عند فندق الإمبراطورة وأن يعود لأخذهما فى الثالثة والنصف.

وبينما كانا يدخلان المبنى، قال لأليكس: «سوف نتجول فى المدينة بعد الغداء، ولكن ليس هناك الكثير لرؤيته هنا. لقد أحضرتك لأجل رحلة العبور بالسفينة، ولأريك هذا الفندق العتيق الشهير.

صحبته اليكس فى جولة خلال صالات الفندق وهى تشعر بإمتنان لأنه لم يختر تناول الغداء فى فندق بونيت إن حيث أقامت مع لورير.

وبينما كان جون يقبض على ذراعها برفق وهما يمران خلال رواق مقنطر يضم متاجر الهدايا، قال إن فندق الأمبراطورة يعتمد على أمجاده. إن له قائمة ضيوف مميزة، وأعتقد أن أى شخصية هامة كانت تزور فيكتوريا فكان لابد أن تتخذ منه مقراً. ولكن شاء العصر فى الامبراطورة لم يعد له الطابع

الإجتماعى كما كان فى الماضى.

معظم الناس هنا الآن من السياح الطوافين، ولم يعد له نفس المناخ القديم. إنه يحتاج إلى تجديد كامل بواسطة المصممة البريطانية الشابة العظيمة اليكسندرا كليفورد «أضاف الجزء الأخير وهو يضغط على ذراعها ضغطة ودودة خفيفة.

ردت اليكس بإبتسامة. الخروج مع لورير لعدة أسابيع، بدا غريباً أن تصحب رجلاً تزيد قامته بالكاد عن قامتها بمجرد بوصة واحدة. لكن رغم أن جون لم يجذب الكثير من نظرات الإعجاب الأنثوى كشاب أصغر، إلا أنها لم تتمالك نفسها من ملاحظة عدد قليل من النساء ينظرن لرفيقها اليوم بأكثر من مجرد إهتمام عابر.

لقد فقد الكثير من وزنه منذ لقاءهما الأول فى فانكوفر، ويبدو جسده الآن أكثر إتساقاً عند خصره بدرجة ملحوظة. لم تكن هناك أى بادرة على تراجع شعره الرمادى الكثيف عن جبهته العريضة، ومن المحتمل أن يبقى كثيفاً طوال حياته. أدركت، فى تقييم غير متحيز، أنه يعد جذاباً إلى حد بعيد بإعتباره رجلاً متقدماً فى السن.

لمعرفتها بأساليب حياته المرفهة، فلم تفاجأ أن أفضل مائدة فى المطعم قد حُجزت لهما.

بعد تفحص قائمة الطعام لعدة دقائق، سألها جون: «لماذا لانبدأ به سنة من المحار ذى الفصوص الذهبية ثم نجرب شرائح الكستلاته مع الموز الأملس، والعنب فى النبيذ، وصلصة الكوينترو هل يعجبك ذلك؟»

قالت وهى تتصنع الحماسة: «إنه يبدو لذيذاً»

عندما وصلت المحاريات مرتبة فى طبق فضى ومتبلة

بالليمون والبقدونس، تذكرت تلك الليلة التى استمتعت فيها مع لورير بوليه أسماك الروبيان الطازجة.

أغلقت عينيها أمام تذكرها المؤلم لتلك الليلة، وتعجبت إذا كان جون قد فقد وزنه لأن هناك إمرأة يهتم بها.

أكل محاره أرتشف العصارة من الصدفه ثم همهم قائلاً: «هذه طيبة.. ومنخفضة السعرات. كل ما بها ثمانون سعراً فقط. هل لاحظت أننى فقدت قليلاً من الباوندات؟»

«نعم، لاحظت ذلك. أنت تبدو معافى جداً.»

أومأ قائلاً: «أشعر بتحسن كبير. لقد أجريت فحصاً طبياً. يقول طبيبى إننى فى حالة طيبة. أنا لا أدخن، ولا أحتسى الكثير من الكحوليات رغم حبى لتلك الأشياء.» ومد يده يتناول محارة أخرى، وتابع قائلاً: «أنا لا أشعر يوماً بأننى فوق الأربعين. ربما أبدو كذلك ولكنى لا أشعر به»

تساءلت اليكس متى يطرق الموضوع الذى يريد مناقشته. أكلت أربعة محاريات بينما أكل هو ثمانية. لم تكن المحاريات هى طعامها البحرى المفضل، ولكنها استمتعت بالنبيذ الأبيض اللاذع. كان هناك نادل متيقظ دائم الملاحظة لمائدتهما ليتأكد من ملء كأسيهما بمجرد أن يفرغا. خلال ثوان، بعد أن إرتشف العصارة من المحارة الأخيرة، ثم رفع أطباق طعامهما وأيضاً الطبق الفضى.

لاحظت أن الخدمة التى تُقدم لهما أفضل مما يقدم لبعض الموائد المحيطة. ربما كان طاقم العاملين يعرفونه ويأملون فى بقشيش سخى، رغم أنها حسب معرفتها بجون فمن غير المحتمل أن يحصلوا على أكثر من القيمة المعتادة. لم يكن بالرجل الذى يحتاج لإبداء إيماءات مبذرة لدعم غروره، ولابد أنه توقع أن

تقدم له خدمة جيدة.

وبينما كانا ينتظران الصنف التالى، قال: «أنت هادئة يا اليكس. ورغم أنك لم تكونى ثرثارة على الاطلاق لكن يكون لديك دائماً مما تقولينه لنفسك»

أجابت: «أنا متشوقة لأن أسمع ما تريد أن تتحدث بشأنه»

تابع النادل وهو يرفع غطاء الطبق الذى يحوى صنفهما الرئيسى، وقال: «حسناً. سأخبرك بمجرد أن ننتهى من تناول شرائح الكستلاته».

بمجرد أن أصبحا وحدهما، قال: «لقد قررت أن مؤسستى بحاجة إلى شخص يقضى الوقت فى زيارة أفضل الفنادق فى جميع أنحاء العالم ويلاحظ اللمسات الخاصة التى تجعلها الأفضل. نحن أيضاً نحتاج مصمم ديكور داخلى ليواظب على مراقبة الديكور فى كل السلسلة ويعطيه أسلوباً مميزاً، دون أن يكون موحداً على نحو ممل، مما يعطى زبائننا إحساساً مريحاً وكأنهم فى منازلهم بينما هم بعيدين عنها. أنا أرى أن شخصاً واحداً يمكن أن يجمع بين هاتين الوظيفتين، وأحب أن تكونى أنت هذا الشخص»

حتى قبل أن يمضى إلى التفصيلات المالية، عرفت اليكس أنها وظيفة خيالية سينقض عليها معظم المصممين.

وتابع چون قائلاً: «من الطبيعى أن يعنى ذلك تركك لرسمك فى لندن. ولكن سيظل لديك مجالاً واسعاً يضم الفندق الكثير بالإضافة لحجرات النوم، ستعيدين تصميم المطاعم والردهات وقاعات المؤتمرات والمقاهى والمكاتب وصالات التجميل وحمامات الساونا والبارات..» وأكمل القائمة بإيماءة.

وأضاف: «أعرف أنك تحبين المهام التى تأخذك عبر البحار: بهذه الطريقة سيمكنك رؤية العالم بأسرع مما كنت تتوقعين.»

«إنه شيء مغر بدرجة هائلة ياجون، ولكن..»

«ولكنه ليس مغرياً لدرجة أن تقولى نعم على الفور؟»

أحست بأنه يراها منزعجة بعض الشيء.

قالت: «هل سبق أن أدخلت نفسك فى شيء جديد دون إنعام النظر فيه؟»

مس شفتيه بمنديل المائدة، وقال: «لم يقدم لى أحد عرضاً طيباً مثل هذا. ولو حدث فلم أكن لأتردد. ما الذى يؤرقك؟ ترك أعمالك الخاصة؟ لاتقولى أنك تحققين الكثير مثلما أعرض عليك.»

«لا. هذا صحيح.. حالياً. ولكن ربما يمكننى على المدى البعيد. وعندما أكون جزءاً من مؤسستك، فسأعمل بصفة مجهولة أكثر من أن أصنع لنفسى إسماً.»

أجاب: «هذا هو ما تخطئين فيه. لقد بهرتنى سلسلة من الإعلانات قامت بها وكالة بريطانية لحساب فنادق سى. آى. جى. أيه، يصور موظفى البوابات ــ أو خدم الردهات كما تسمونهم ــ لدرجة أننى طلبت من وكالتى عمل حملة مشابهة. وهم يصورون الآن رؤساء الطهاة ومميزاتهم. وفى العام القادم يمكنك أن تجدى صورتك فى كل وسائل الإعلام كمديرة التصميم لمؤسسة كونوت. لايمكنك التكفل برفع مكانتك بهذه الطريقة.

وافقته قائلة: «لا، لايمكننى. ولكن لازلت أرغب فى التفكير فى الامر برويه. إن الإقلاع عن العمل لحسابى الخاص وتحولى إلى موظفة، ولو بشروط ممتازة، هو نقله كبيرة. لقد

كنت مديرة نفسى لسنوات عديدة.»

«لقد كانت لك يد مطلقة فى الأجنحة الأضافية. أنا لم أتدخل فى أفكارك كثيراً. اليس كذلك؟»

«إطلاقا»

«سيستمر الوضع على نفس المنوال. أنا لاأعين موظفين كباراً إلا إذا كنت واثقاً بنسبة مائة فى المائة من قدرتهم على الإضطلاع بمهام الوظيفة.»

وخلال ماتبقى من الوجبة إستمر يضغط عليها لتتخذ قرارها، ولكن عندما تركا الفندق ليتنزها بمواجهة الميناء، أغفل الموضوع وتحدث عن تنبئه، قبل أى فرد آخر وبوقت طويل، بأن مركز مدينة فانكوفر سيتحرك شرقاً من ذلك المسمى بالمثلث الذهبى إلى المنطقة التى إشترى فيها، وبسعر رخيص نسبياً، الأرض التى يُقام عليها برج كونوت ويشرف بناءه الآن على الإنتهاء.

عندما عادا إلى فانكوفر أراد أن يطمئن إلى مدى تقدم مساهمتها فى العمل.

وبينما كانا فى المصعد، قالت اليكس: «النماذج فى طورها النهائى. وبعد موافقتك، فأنا مستعدة لبدء المرحلة الثانية وهى إصدار الأوامر بالتنفيذ. عندئذ لن تكون هناك حاجة لى حتى تصبح الأجنحة جاهزة لعمل الديكور، وهو ماقال مهندسوك المعماريون أنه سيحدث خلال خمسة أسابيع من الآن.»

وبينما كان جون يتفحص النماذج المكتملة، أعدت القهوة. كان يشرب القهوة وهو متحمس لما تم إنجازه من برامجها، ودون أن يقصد سكب معظم فنجان القهوة على نفسه.

ربما إنزلقت حافة الملعقة تحت قاع الفنجان فجعلته غير ثابت

فى صحفته. وأياما كان سبب الحادث المؤسف، فإن النضج المفاجىء للسائل الساخن على جانبه وفخذه جعله يرغى ويزبد بقوة.

تصرفت اليكس بأسلوب غريزى. قبضت على ذراعه ودفعته إلى الحمام حيث التقطت دش غسيل الأيدى، وصوبت تياراً قوياً من الماء البارد إلى المنطقة التى تشربت بالقهوة. لكنها بللته بالماء وغمرت الأرضية دون أن تبالى إلا بمنع حدوث حرق مؤذ.

رغم رد فعلها السريع فقد كانت يده، التى أصابها بعض السائل، ملتهبة، وكان يتألم بما يدل على إصابته بالأذى خلال اللحظات القلائل الأولى عندما تعلقت الملابس الشبعة بالقهوة بجلده وكأنها كمادة تقارب درجة الغليان.

قالت: «أعتقد أن ما تحتاجه الآن هو تلك المادة التى ترش على هيئة رذاذ على الحروق الملتهبة. توجد صيدلية قريبة فى نفس الشارع، سأذهب لأحضر لك بعضاً منها. فى تلك الأثناء قد يكون مفيداً أن تحك مكعباً من الثلج على الجلد. لا تقلق بشأن المياه، سأنظفها عندما أعود.»

وفى أقرب صيدلية، تصادف أن كان البعض ينتظرون دورهم أمام طاولة الروشتات، واستغرقت مهمتها وقتاً أكثر مما كانت تتوقع. وعندما عادت مهرولة، خطر لها لو كانت سألتهم فى استقبال الفندق، فربما أمكنهم تقديم علاج مناسب من صندوق الاسعافات الأولية.

عندما عادت إلى جناحها، وجدت جون مرتديا روب الحمام الوبرى الخاص بالفندق. كان هذا الروب واسعاً جداً بالنسبة لها، ولكنه صار ضيقاً بالنسبة له.

قال: «لقد أخبرت إدارة فندق الفصول الأربعة.. وسيحضرون لى بعض الملابس بعد قليل. كما إتصلت بالاستقبال هنا، وستحضر أحد العمال خلال دقيقة لتنظيف الحمام. لا داعى لأن تنظفيه بنفسك.»

سألته: «كيف حال ساقك؟»

«إنها ستتحسن. لا تقلقى بشأن ذلك»

ناولته المادة المضادة للحروق قائلة: «ليتك تضع بعضاً من هذا عليها»

تناولا العشاء مع ستة آخرين من العاملين فى مشروع فانكوفر فى مطعم لوبافيلون (الفسطاط) الأنيق الخاص بالفندق الذى يقيم به.

كانت سهرة ممتعة مع مجموعة متجانسة رغم أن الثلاث زوجات كن متحفظات تجاهها قليلاً فى البداية. لم تكن متأكدة من سبب ذلك. هل لأنها امرأة أجنبية عاملة وغير متزوجة؟ أم كان لديهن شك فى وجود إرتباط شخصى بينها وبين الرجل الذى يستخدم أزواجهن؟ بذلت جهداً كبيراً لتتآلف معهن، وأدركت عدم إمكانية وجود أية فكرة لديهن عما يكمن وراء سلوكها الواثق من أحاسيس عميقة بالحزن وعدم الثقة.

فى نهاية السهرة أوصلها كبير المهندسين وزوجته إلى الفندق. وفى إرتياح، حيتهما اليكس وأخذت مفتاحها من الإستقبال، وهى تأمل أن تكون هناك رسالة معه.

لم تكن هناك أى رسالة. لم يتصل أحد أثناء وجودها بالخارج.

عندما كانت على إستعداد للدخول فى الفراش، دون أى

استعداد للنوم، أعدت إبريقاً من الشاى بالنعناع، وجلست قبالة النافذة، تحدق عبر الميناء فى أضواء شمال فانكوفر، وهى تفكر فى عرض العمل الذى قدمه لها جون.

كانت فرصة خيالية، وكان ينبغى أن تشعر وكأنها فوق القمر. لكن الواقع أنه لم يكن هناك مايثيرها.. أو هو شىء واحد. مكالمة من لورير ليقول أنه قد عاد للمدينة وأنه يأسف للطريقة التى إفترقا بها.

طالما أنهما كانا على خلاف، فلا شىء آخر يهم، ولا شىء آخر يبدو مهماً. لو عرض عليها جون ضعف المرتب ومنصب نائبة الرئيس، فلن يعوض ذلك الإحساس بالخواء الداخلى.. ذلك الإحساس المؤلم الدائم بالضياع.

وحادثت نفسها، وهى ترشف الشاى العطر الرائحة،... على الأقل يجب أن أجرب طريقة لورير... يجب أن أذهب إلى هاواى وأرى بنفسى كيف تبدو.

وجدت لديها إغراءً للإتصال بمنزل آل تايت لتسأل جدته إذا كانت تعرف متى سيعود. وعندئذ خطر لها أنه قد يعود اليوم. إذا أجاب هو على التليفون فسيكون صعباً، إنه لم يكن مستحيلاً، أن تشرح مافى قلبها. من الأفضل أن تذهب إلى هناك فى صباح الغد. يمكنها أن تعيد الكتب التى أعارتها لها السيدة تايت، وأيضاً المنظار الثنائى المكبر الذى أعاره لها لورير. وإذا كان قد عاد، فستشرح كيف أنها أدركت بعد عرض جون أن نجاحها فى عملها ليس هو كل مايستحوذ على إهتمامها. وإذا لم يكن قد عاد فستخبر باربارا تايت.

إستيقظت اليكس فى الصباح التالى مع إحساس قوى بأن لورير قد عاد للمدينة. عندما خرجت للقيام بسيرها الصباحى

كانت نصف متوقعة أن تراه على كورنيش البحر. اصيبت بخيبة الأمل، ولكنها ذكرت نفسها بأنها هى التى تركت الأودولس. ولهذا.. فلماذا ينبغى أن يتخذ هو الحركة الأولى نحو الصلح؟ غير أن الناس الناضجين لا تحكمهم الكبرياء فى الأمور الهامة.

منذ أيام قليلة مضت، إستوقفتها الأشجار على إمتداد شارع بيدويل، ولفت نظرها بريق الأوراق الصفراء. وكانت ليلة أمس ممطرة عاصفة، استيقظت خلالها عدة مرات لتسمع صوت المطر على زجاج النوافذ ولتحس بإصطدام الريح بالمبنى الشاهق. وكادت الفروع تتجرد من أوراقها التى تكومت فى كتل بنيه مبللة تركمها الرياح. كان الخريف الذهبى الطويل يقترب من نهايته. وأصبح الشتاء وشيكاً.

فى الباص المتجة إلى شونزى كررت أشياء مختلفة لتقولها إذا مافتح لورير الباب وقد إستحال وجهه الداكن بارداً على نحو منفر عندما يرى من يطرق الباب. ولكن كانت جدته هى التى فتحت الباب.

بدت مندهشة جداً لرؤيتها، وصاحت: «اليكس!»

«صباح الخير ياسيدة تايت. لقد أحضرت كتبك ومنظار لورير. كان لدى إحساس أنه قد عاد من رحلته.»

رمقتها السيدة العجوز بنظرة غريبة بعض الشىء، وقالت: «ادخلى»

قادت اليكس إلى حجرة المعيشة وأشارت لها بالجلوس.

سألتها: «هل ترغبين فى بعض القهوة؟»

كان فى سلوكها شىء ماجعل اليكس تشعر بالقلق، وقالت: «لا، شكراً لك.. ليس الآن. هل هناك شىء على

غير ما يرام ؟ »

جلست باربارا تايت. بدا عليها القلق والحيرة الشديدة، وقالت: « لقد عاد لورير فى وقت متأخر ليلة أمس. كنت أقرأ فى فراشى ولكنه بدا عازفاً عن الكلام. تبادلنا بضع كلمات ثم ذهب إلى حجرته. هذا الصباح أخبرنى أنه سيقطع أجازته، وسيعود إلى هاواى » القت نظرة سريعة على ساعتها، وتابعت: « لقد أقلعت رحلته منذ نصف ساعة. لم يسمح لى بالذهاب معه إلى المطار. لقد ودعته هنا. »

لدى سماعها أن طائرته قد أقلعت فعلاً، إلتقطت اليكس أنفاسها فى شهقة مصدومة. لم تستطع أن تصدق، رغم أنهما تشاجرا، أن لورير يمكن أن يترك كندا دون أن يتصل بها.

سألت، فى صوت خفيض مهتز: « هل... هل ذكرنى ؟ »

قالت السيدة تايت: « لا اظن أنه قصد ذلك، لكنى سألته إذا كان على إتصال بك »

وعندما صمتت، إندفعت إليكس قائلة: « ماذا قال ؟ »

قالت جدته: « فى البداية بدا غاضباً جداً، وظننت أنه سيطلب منى أن أهتم بشئونى الخاصة، ولكنه قال أنه لم يفعل لأنكما قلتما كل ما كان يجب أن تقولاه لبعضكما. وعندما قلت أنك ربما قد غيرت رأيك، قال أنه أيضاً قد غير رأيه. لقد أدرك أن رغبته فى الزواج وتكوين عائلة قد دفعته لأن يخطىء فهم طبيعة علاقتكما. أنت لم تفعلى ذلك. لقد نظرت لها كما كانت: علاقة عابرة دون مستقبل. »

لم تستطع اليكس كبح آهة يأس مكتومة.

فقط لو أنها إتصلت فى الليلة الماضية، أو كان أول ما فعلته هذا الصباح. والآن ماذا يجب عمله ؟ لقد كان فى طريقه إلى

هاواى، غاضباً ومتألماً بشأن إنفصالهما لدرجة أنها لو إتصلت به هناك فربما يقذف بالسماعة مغلقاً الخط.

قالت السيدة تايت: « أعتقد أننى سمحت لحبى لك، ولرغبتى فى رؤية لورير مستقراً، أن يؤثرا على حكمى. إن ما يحتاجه حفيدى هو فتاة يسعدها أن تبنى حياتها حوله وحول أطفالهما. لقد أدركت أنت كل ذلك. وهو أيضاً يراه، وعلى مضضى، أراه أنا أيضاً. لكنى أريد أن تعرفى أن ــ إذا أمكن ــ سيسعدنى أن تكونى زوجة حفيدى »

« شكراً لك » قالتها اليكس بعمق بكل ما فى الكلمة من معنى.

بدا عليها ضعف غير عادى لدى الزوال المفاجىء لما كانت تحمله بين جنبيها من أمل متحمس فى إجتماع الشمل عند وصولها لم تستطع التفكير فى شىء تقوله، وأحست بالتشتت لدرجة أنها لم تستطع الحركة.

لقد إنتهى كل شىء. لقد ذهب لورير.

لكن كيف، إذا كان قد أحبها حقيقة، فهل يمكنه التخلى عنها بهذه السهولة ؟ لابد أنه قد إقتنع، كما أخبرتها السيدة تايت، خلال الأيام القليلة التى إفترقا فيها، أن ما جذبهما كان مجرد الرغبة، وليس الحب.

نهضت السيدة تايت قائلة: « أعتقد أن كلاً منا، فى هذا الوقت المبكر، يحتاج كوباً من الشيرى »

كاد هذا يدفع اليكس للضحك، رغم أن رد فعلها كان به من الهيستريا أكثر مما به من الدعابة. ففى حالة صدمة كتلك التى تلقتها تواً، سيكون الويسكى القوى ملائماً أكثر من الشيرى ذى الطابع الأنثوى.

قالت اليكس : «لا . حقيقة .. ليس بالنسبة لى ، شكراً لك . يجب أن أنصرف . لدى يوم مشحون بالعمل . لقد أردت فقط أن أعيد هذه . وأخرجت الكتب والمنظار من حقيبتها .

وضعتهم على طاولة منخفضة ، ونهضت متجهة نحو الباب .

رافقتها السيدة تايت فى صمت عبر الصالة . ولدى الباب الخارجي توقفت اليكس ، ومدت يدها .

« أشك أننا سنلتقى مرة أخرى . شكراً لكل عطفك . وداعاً . »

وتبعها صوت باربارا تايت قائلاً : « وداعاً ياعزيزتى . أنا آسفة جداً ... »

سارت اليكس بنشاط لمسافة قصيرة ، ولكن بمجرد أن إبتعدت عن المنزل ، تباطئت خطواتها ، وتهدل كتفاها فى يأس . كانت الشوارع الهادئة الراقية بين منازل عليه القوم مهجورة تقريباً فى تلك الساعة . لم يكن هناك من يرى إرتعاش شفتيها وإمتلاء عينيها بدموع ساخنة يائسة أثناء سيرها ، منكسة الرأس ، غافلة عن خشخشة أوراق الأشجار الجافة التى تنتشر على قارعة الطريق .

وإذا كانت هناك حاجة لأى شىء ليثبت لها أنها لن تستطيع الحياة بدون لورير ، فقد كان هو إحساس الوحدة القارس الذى إعتراها وهى تسير فى شوارع شونزى ، وهى تعرف أن الرجل الذى أحبته قد طار بعيداً عبر المحيط الباسفيكى ، خارجاً من حياتها للأبد .

الفصل السادس

(الفرحة أم خيبة الأمل ؟)

فوجئت اليكس عند عودتها بجون يذرع ردهة الفندق جيئة وذهاباً .

سألها بلهجة بها مسحة حادة : « أين كنت ؟ »

« كان لابد أن أذهب لمقابلة بخصوص أمر شخصى هذا الصباح »

« كان يجب أن تتركى رقم تليفون حيث يمكننى الوصول إليك »

« نعم ، كان يجب أنا آسفة ياجون » أعتذرت وتابعت : « هل حدث شىء مهم ؟ »

« سيتم نقل النماذج بعد ظهر هذا اليوم . حسن ؟ وعندما يتم ذلك سيكون لديك الحرية فى المغادرة حتى المرحلة التالية ؟ »

أومأت اليكس . وكانت تقوم بالأشراف على نقل النماذج إلى مكاتب المهندسين المعماريين بعد الغداء مباشرة .

« نعم ، ولكننى لم أستعد لعودتى إلى أوربا بعد »

« هذا طيب ، لأننى أريدك أن تأتى فى رحلة معى . إنها

ستعطيك مذاق ذلك النوع من الحياة الذى ستعيشينه لو أنك قبلت الوظيفة التى عرضتها عليك بالأمس. وأجازة قصيرة ستكون طيبة الأثر لك.» وأضاف: «أنت تبدين شاحبة بعض الشيء يا اليكس. ولكن هذه لن تكون أجازة تماماً. أريدك أن تعدى تقريراً عن واحد من أفضل فنادق العالم. أريد أن أعرف كل شيء عنه بدءاً من تصميم علب الكبريت حتى نوع الصابون فى حجرات التواليت.»

بدا الأمر مثلما كانت بحاجة له فعلاً لتبعد عقلها عن مشاكلها حتى تتلاشى الصدمة الأولى وتستطيع التفكير بعقلانية فيما إذا كانت ستقبل قرار لورير بأنه لا يوجد مستقبل لها.

وسألها: «هل يمكنك تخريم متاعك والاستعداد فى السابعة صباحاً؟»

«نعم، بسهولة. أين سنذهب؟»

«إلى ويكيكى. ولذلك فستحتاجين بعض ثياب الصيف البارد وأيضاً ثوب استحمام. إذا لم يكن معك أياً منها، فيمكنك شراء ما يلزمك عندما نصل إلى هناك»

بدت اليكس ذاهلة لحظياً، لا تكد تصدق أنه قد أتيحت لها فرصة أخرى لتقبض على السعادة التى كانت قد تركتها تتسلل من بين أصابعها.

سألها جون: «هل هناك خطأ ما؟.. أنظرى، لا تفكرى فى أفكار عابثة. لا يوجد خداع فى هذه الرحلة على الاطلاق. سأقيم فى فندق «هاواى الملكى فى شاطىء ويكيكى، وستقيمين فى فندق كاهالا، على الشاطىء الآخر من الرأس الماسى. ربما يجب أن أقول رحلة عمل لأن هذا ما سيكون. هذا وعد منى»

«أنا لم أفكر فى شيء آخر، يا جون. أعرف أنك لست...» ولم تكمل الجملة، وقد وجدت من الصعب أن تعبر عما تريد قوله.

ولم يتردد فى إكمال الجملة بدلاً منها: «لست رجلاً عجوزاً قذراً؟ أنا أتمنى ذلك. أنا لست قديساً ولكن يمكنك الوثوق بأننى لن أتجاوز الحد. أنت فتاة رائعة، يا اليكس. أنا أعرف ذلك»

ذكرتها كلماته بأنه، فى آخر مرة زارت فيها أمريكا، كانت هناك كتاباً رائجاً يسمى فتيات رائعات.

تعجبت مما سيكون عليه رد فعل جون لو عرف أنها أمضت معظم نهاية أسبوع عيد الشكر فى أحضان رجل كندى. هل سيظل يراها رائعة؟ أم أنه، لكبره عنها إلى حد كبير، سيظل مستخدماً نظرة مزدوجة تفرق بين جيلها وبين جيل شبابه عندما لم تكن الفتيات الرائعات يتصرفن مثلها، أو على الأقل كن يفعلن ذلك فقط مع الرجال الذين ينوون الزواج بهم؟

قال: «لابد أن أنه ت، لدى مقابلة فى الفندق بعد عشر دقائق»

وعندما لم تر ليموزين أنيقة أمام عينيها، سألته: «أين السيارة؟»

«أنا أمشى مسافات قصيرة الآن. هذا تأثيرك الطيب» وابتسم وربت على ذراعها قائلاً: «أراك غداً»

وبعدما يزيد قليلاً عن أربع وعشرين ساعة كانا يقولان «إلى اللقاء» لمضيفة الدرجة الأولى وهما يهبطان بمطار هونولولو الدولى.

كانت بانتظارهما سيارة ليموزين بسائقها بعد أن أنهيا

اجراءات الجمارك والسياحة القصيرة قبل أن تبدأ السيارة فى التحرك، التقط السائق صندوقاً من المقعد الأمامى المجاور للسائق.

قال جون: «أوه، نعم.. هذا لك يا اليكس. وفتح الصندق وأخرج عقداً سميكاً من الزهور الحمراء والقرنفلية. وتابع: «لا يمكنك أن تصلى إلى هاواى للمرة الأولى دون أن تتسلمى إكليلاً من الزهور.» ورفعه فوق رأسها وأحاط به عنقها. وأضاف: «العادة أيضاً أن يقال مرحباً ويعطى الزائر قبلة. أرجو ألا يكون لديك أى اعتراض على تحيتك بالأسلوب التقليدى.» وقال مقترباً، وطبع قبلة خفيفة على كل من وجنتيها.

وانتشر أريج رقيق من الورود الكبيرة الكثيرة.

قالت فى بهجة: «إنه رائع. شكراً لك»

واسترخى على مقاعد السيارة ذات الأثاث الوثير المريح.

وقال: «إنها عادة طيبة تراجعت أمام الروح التجارية. إن محال الهدايا التذكاريا تمتلىء باكاليل صناعية تفتقد الذوق الرفيع كما أن الاكاليل الحقيقية التى تقدم للرحلات الجماعية تصنع من أقل عدد ممكن من الزهور. ولكن الأكليل التى يقدمها أهل هاواى لبعضهم كتحية أو عند الوداع، وفى المناسبات الخاصة، تكون أعمالاً فنية بأسلوبهم المميز.»

«هل جئت إلى هنا كثيراً قبل الآن؟»

«لى أصدقاء يمتلكون منزلاً هنا. لقد نزلت أنا ومارى ضيوفاً عليهم مرتين أو ثلاثاً. عندما كانت مريضة أعارونا المنزل فى غيابهم.»

أنحنى للأمام ليخبر السائق بالعنوان ثم قال: «لا تسلك

الطريق الحرة. نريد السير من طريق كالاكاوا»

«أمرك سيدى»

وأوضح لها جون قائلاً: «كالاكاوا هو الشارع الرئيسى خلال ويكيكى. سيتيح لك إلقاء نظرة خاطفة على الشاطىء الشهير.»

عندما طافت السيارة حول هونولولو واقتربت من مجموعة الفنادق الشاهقة والمبانى العالية المعدة لقضاء الأجازات والتى كانت تشكل ويكيكى، كانت تلك هى المرة الأولى التى تطوف فيها اليكس بمدينة تصطف على جانبى شوارعها أشجار النخيل وقد كان الناس، سواء السكان الأصليون أو السياح، يرتدون ملابس المنتجعات البسيطة الغير متكلفة ويسيرون فى خطوات مترويه متمهلة أكثر مما هو الحال فى المدن الشمالية مثل فانكوفر. هناك كان الشتاء على وشك القدوم. أما هنا فهو صيف دائم.

رغم معرفتها بأنها فرصة واحد فى المليون أن تراه ــ ففى هذا الوقت لابد أن يكون فى عمله، وليس يتجول فى منطقة سياحية ــ فإن اليكس لم تستطع منع نفسها من مسح الأرصفة بنظرها بحثاً عن شخص طويل ممشوق القامة واسع الخطوة.

الآن، انفرج أحد جانبى الشارع العريض الذى تكتنفه الأشجار عن شاطىء مزدحم يمتد وراءه المحيط وقد حلقت طيور الشقراق على ارتفاع منخفض فوق أمواجه.

لفت جون أنتباهها إلى تل شديد الأنحدار تبدى لدى الطرف البعيد للطريق وقال: «ها هو الرأس الماسى يلوح أمامنا... إنه بركان منطفىء على الجانب الآخر من الرأس الماسى تقع ضاحية كاهالا حيث يوجد منزل أصدقائى وحيث

ستقيمين »

رأت اليكس أن كلمة «ضاحية» هى اسم خطأ لمنطقة سكنية أنيقة يفصلها عن المدينة فوهة البركان القديم. ومن خلال البوابات فى سياجات نباتات الخبيرة والرصاصية استطاعت أن تقتنص نظرات خاطفة لحدائق جميلة تحيط بالمنازل الفاخرة. كان كل من استطاعت رؤيتهم هم بعض العداءين وبستانى أو اثنين فى ظل أكواخ من القش.

عندما توقفت السيارة أمام مدخل الفندق الذى اختاره لها، قال جون: «إذا لم تجدى بأساً فى ذلك فأنا لن أدخل معك. لدى مقابلة فى وسط المدينة. سنتناول العشاء سوياً.. فى مقر اقامتى. سأمر لآخذك فى السادسة والنصف»

لقد سبق لاليكس أن تناولت غداءها وعشاءها فى فنادق غالية ولكن لم يسبق لها أن أقامت إقامة فعلية فى فندق فخم مترف. منذ اللحظة التى دخلت فيها فندق هيلتون كاهالا كان واضحاً أن الفندق كان بمثل فخامة الفنادق التى كانا يقيمان بها.

لدى وصولها تلقتها موظفة استقبال باسمة وحيتها بإسمها. وخلال انتظارها فى الردهة أثناء تسجيل بياناتها استطاعت أن ترى قاعة الانتظار الفسيحة الطلقة الهواء وقد بدت السجاجيد الصينية الدائرية الضخمة وكأنها جزر من زئبر النسيج المخملى الكثيف ذى اللون الأصفر الشاحب. كانت تتدلى من السقف السامق ثريات رائعة تقل بالحليات الزجاجية البراقة. وعلى المناضد الجانبية والمركزية كانت هناك مزاهر تحفل بزهور أستوائية رائعة.

وعلى الناصية الأخرى كانت هناك واجهات بعض المتاجر

الجذابة وخلف مكتب الاستقبال مباشرة كان هناك سلم دائرى يهبط إلى دور تحتى بستره جدار من الصخور البركانية لا يكاد يبدو لما يغطيه من الأغصان المنسقة لزهور الأوركيد ذات الألوان الأرجوانية والوردية الفاتنة.

لكن ما جعل اليكس تشهق كان هو المنظر من بلكونة حجرة نومها ذات الدرابزون الأبيض. تحتها مباشرة كانت هناك بركة واسعة مفتوحة، ولسعادتها الذاهلة، وجدت دلفين يطفو على السطح فجأة. وأدركت أن هناك ثلاثة دلافين عندما اكتشفت أشكالهم يسبحون بخفة تحت سطح الماء مباشرة.

بجوار بحيرة الدلافين كان هناك حوض سباحة بيضاوى تحيط به مساحة مخصصة لحمامات الشمس حيث كان عدد من الناس بدرجات متفاوتة من لفحة الشمس يتمددون على أرائك مستقبلية شاطىء هلالى الشكل ذاهبى الرمال ترتطم به مياه هادئة شفافة.

وعلى مسافة ما داخل المياه كان هناك خطاً من البراميل البيضاء يحدد المنطقة التى يزداد بعدها عمق المحيط، كان زبد الأمواج ينتشر على سطحها حيث كان هناك نسيم منعش يلطف من حرارة الصباح ويطوح بسقف أشجار النخيل السامقة التى تحف بالشاطىء وتنشر حول الفندق حدائق منقطة من ضوء الشمس.

لم تكن البركة ولا البحر هو ما جعل اليكس نافذة الصبر فى انتظار وصول حقائبها، التى سرعان ما وصلت. لم تكن فى عجلة لأن تفض حقائبها ولكن لأن تترك دون إزعاج لتجرى المكالمة التليفونية التى كانت تملأ عقلها طوال رحلة الطائرة.

هذه المرة لم يكن اسم تايت مكرراً كثيراً فى دليل

التليفون، وواحد فقط من هذه الأسماء كان الحروف الأولى من اسم العائلة المصاحب له صحيحة. كانت تعرف أن لورير ربما لا يكون قد عاد للبيت فى منتصف اليوم. وربما كان ينبغى عليها الانتظار إلى المساء حتى تضمن وجوده.

وبقلب يدق بعنف، طلبت الرقم. كانت تكتم أنفاسها وكانت تنقر بيدها الغير مشغولة فى عصبية على حاشية تنورتها بينما تنصت إلى رنين التليفون على الطرف الآخر.

رن الجرس لبعض الوقت. وعندما كانت على وشك إعادة السماعة لمكانها، سمعت صوتاً مألوفاً يقول: «آلو؟»

«لورير..» جف حلقها وتوتر فنطقت الكلمة بالكاد.

«نعم. من المتحدث؟»

«إنها اليكس»

كانت هناك فترة صمت. ثم، فى نبرة مختلفة، أكثر خشونة قال: «ماذا تريدين؟»

«أن أتحدث لك.. أن أراك. عندما كنت أنت...»

قاطعها قائلاً: «ليس بيننا ما نتحدث بشأنه. كان شيئاً ممتعاً بيننا كنا نعيشه، وقد انتهى. إنسيه»

وبدا كأنه على وشك إغلاق الخط.

«إنتظر... أرجوك.. لا تغلق الخط» توسلت له وتابعت: «أنا لست فى فانكوفر، أنا هنا فى هاواى.. أقصد فى أواهو. يجب أن أراك يا لورير»

«أنت هنا؟» بدا صوته غير مصدق

«لقد وصلت طائرتى منذ أقل من نصف ساعة»

«أين أنت؟ فى المطار؟» بدت نبرته أقرب كثيراً لنبرته العادية. بل ربما كانت هناك لمحة من الفرحة تمتزج بدهشته.

«لا، أنا فى فندق. هيلتون كاهالا. هل هو بعيد عن مكان إقامتك؟»

«هل كازينو بوليس هنا أيضاً؟»

«نعم، هو موجود، ولكن...»

وقبل أن تتم كلامها قاطعها فجأة: «إذن أنت لم تأت هنا بقصد رؤيتى. اليس كذلك؟ وبصراحة، أنا لا أريد أن أراك ليس لدينا المزيد لنقوله «لبعضينا وأغلق الخط»

ولبضع دقائق جلست اليكس متجمدة بفعل صده القاسى. هل أخطأت سماع اللهجة الدافئة فى صوته عندما ظن أنها لم تأت لشىء سوى أن تراه؟ ربما، لو لم تعترف بأنها كانت هنا تحت رعاية جون، فربما كان الآن يجرى ترتيبات لقاءها فى مكان ما. ولكن كيف، فى مواجهة سؤال صريح، كان يمكنها تجنب الأجابة التى أعطتها؟

بالتأكيد، نعم بالتأكيد، عندما يأخذ وقتا ليفكر فى الأمر، فهل سيلين ويتصل بها؟ إذا لم يفعل فلابد أن تذهب إلى حيث يقيم. وفكرت فى ندم أنه ربما كان من الأفضل أن تفعل ذلك منذ البداية. فمن الأسهل أن تغلق التليفون فى وجه شخص من أن تصفق الباب فى وجهه. ومهما كان لورير غاضباً، فقد كان ذا أخلاق فاضلة بطبعه تمنعه من إتيان أيا من التصرفات البذيئة.

هى تعرف أنه لن يضرب إمراة مهما كان الاستفزاز. ولكى يتحدث بتلك الطريقة السيئة التى أبداها فلابد أنها أذته برفضها الطائش الغبى لعرضه الرقيق بالزواج.

تفجرت الدموع فى عينيها عندما تذكرت التعبير الحنون فى عينيه وهو يقول: «لقد أثبتت نهاية هذا الأسبوع أننى أريد أن

أمضى بقية حياتى معك».

وهى، دون أن تتوقف لتفكر، صدته بصراحة وبصفة نهائية.

ولاعجب، وقد فعل ذلك حيث إذ كان الطموح الأنثوى هو سبب تحطيم زواج والديه وتمزيف طفولته، أن يكون فى حالة نفسية قاسية، وقاتمة.

ولمدة ساعة قبعت بجوار التليفون، تنتظر وتضرع له عسى أن يدق، ومع كل دقيقة بطيئة تنصرم، كانت تفكر فى أخذ سيارة تاكسى والذهاب إلى عنوانه. لكن فى النهاية قررت أنه من الأفضل أن تنتظر لبرهة، لتعطيه فرصة ليتوافق مع حقيقة أنها هنا على جزيرته.

وأخيراً، وحيث أن متاعها الذى أحضرته معها من انجلترا كان يحوى مايوه بكيني وقطعة قطنية ضخمة مربعة الشكل لإرتدائها فوقه، قررت أن تذهب للسباحة. وبعد وقت قصير، وقد هبطت بالمصعد إلى مستوى الحديقة، كانت تتهادى بخطواتها فوق الجسر الذى يعبر فوقه بحيرة الدلافين.

كان الخوض فى الماء الدافىء ذى اللون الأخضر المزرق إحساساً رائعاً، وخاصة بعد الرحيل عن فانكوفر خلال سحابة منخفضة ينسكب منها مطر غزير. استطاعت أن تفهم لماذا فضل لورير أن يعيش فى هذا المناخ. ومن لا يفضل ذلك؟

كان تذكره الماً حاولت أن تبدده بأن تلقى بنفسها فى البحر وأندفعت فى قوة ونشاط إلى أخشاب الرمث الرأسية فى مركز الخليج. عندما وصلت إليها، تسلقت إلى سطحها وجلست تواجه الشاطىء، وقد تدلت قدماها وهى تتأمل الشكل الخارجى للفندق.

كان ارتفاعه حوالى إثنى عشر طابقا ويعلوه تركيب من العوارض العمودية والمستعرضة المتقاطعة، ولم يكن المبنى الرئيسى، فى نظرها، قطعة معمارية رائعة. لقد فضلت أجنحة الحديقة التى تحيط بأحد طرفى بحيرة الدلافين، ولكن بناء كل الحجرات على هذا المستوى كان سيأخذ المزيد من الأرض كما أن المبنى الشاهق له ميزة المناظرة الرائعة من شرفاته.

وحادثت نفسها، يالله من مكان رومانسى لقضاء شهر عسل. وتولد الألم بداخلها مرة أخرى.

لقد تعلمت درساً بعد ظهر ذلك اليوم: أنه لأى إنسانى يكابد حزناً قاسياً فلا شىء أفضل من وجوده وحيداً فى أجواء رومانسية.

فى الساعة الرابعة شاهدت عرض الدلافين. كان يتم تغيير هواء بحيرتهم من خلال شلال من المياه المالحة. وفيما بعد، عندما عادت لحجرتها، وجدت نشرة مطبوعة تعطى تفاصيل عن كل السراخس والأشجار فى الأراضى المحيطة بالفندق. كان شيئاً يجب أن تضمنه تقريرها إلى جون.

وعندما جاء ليأخذها، سألها: «هل أنت مستريحة هنا؟ هل يعجبك؟»

أومأت اليكس، وقالت: «إنه مكان خيالى»

بدا عليه السرور. وقال: «لقد بنى فى أواسط الستينيات. قام ببنائه كالينجزوورث وبرادى ورابطة لونج بتيشن وكاليفورنيا. قام بعمل الديكور الداخلى مصمم من نيوريورك إسمه ديفيد ويليامز. معظم المشاهير الذين يأتون إلى أواهو يقيمون هنا. إنه هادىء. وله أسلوب مميز فى طريقنا إلى العشاء سأريك فندق هيات ريجنسى، وهو مشهد فخم

مذهل.»

سألته فى السيارة: «هل تخطط لبناء فندق هنا؟»

«لا، يوجد فى ويكيكى عدد كاف من الفنادق. إنه هيلتون كاهالا صغير.. فقط ثلاثمائة وسبعون حجرة. أما هيات من أكثر من ألف ومائتين والخمسة فنادق التى تملكها شركة شيراتون بها ما يقرب من أربعة آلاف ونصف. هناك عشرة آلاف حجرة من الدرجة الفاخرة فى هذه المدينة ومن وجهة نظرى فإن هذا كثيراً جداً.»

كانت على وشك أن تسأل، فى هذه الحالة، عما جاء به إلى أواهو ولكنه خطر لها أن جون ربما لا يرغب فى شرح طبيعة أعماله على مسمع من السائق.

زحف الليل سريعاً وعم الجزر، ولكن كان بريق الأضواء فى ويكيكى وحولها أخاذاً أكثر منه حتى فى فانكوفر. كانت الأرصفة الواسعة فى شارع كالاكاوا تعج بالسياح تتهادى خطاهم وهم يستمتعون بليل هاواى المنعش وبرؤية موجات البحر يترقرق فوقها ضوء القمر الفضى وهى تتابع متماوجة من إمتداد لا نهائى للمحيط تجاه الجنوب.

وعلى مبعده، كانت كثافة الأشجار تزداد على جانبى الطريق، ولكن قبل أن يصلا إلى هذه النقطة وجه جون السائق كى ينزلهما عند فندق هيات ريجنسى.

عندما توقفت السيارة فى ساحة الأنتظار، فتح الباب لهما أحد موظفى الأبواب الأمامية للفندق. كان داكن البشرة ويرتدى زيا يشبه الأزياء العسكرية ويتكون من سروال أبيض، وستره ذات لون أزرق داكن وخوذه من جلد الظباء يعلوها ريشة حمراء كبيرة متمايلة.

عندما استدار جون ليساعدها على النزول، التفت البواب بإبتسامته إلى اليكس. وعندما التقت عيونهما تولد لديها إقتناع بديهى أنه قد لاحظ التفاوت بين سنها وسن رفيقها وأنه قد وضعها ضمن طائفة لم تكن تنتمى إليها ولاتحب أن تنتمى إليها.

وعندما دخلا المبنى قال جون: «لقد تكلف هذا المكان مائة مليون دولار. وبصفة عامة فإنه يعتبر من نماذج الفن والجمال التى يقصدها السياح فى أمريكا.

لكن. اليكس فضلت الفندق الذى كان يقيم به، رويال هاوايان العتيق ذى الطلاء الوردى، وقد أضاءت حدائقه خيوط متصلة من المصابيح اليابانية الوردية، وفرشت ممراته بسجاجيد سميكة ذات لون أرجوانى داكن كاتمة للصوت. ورغم مرور ستين عام وكثرة المبانى الحديثة التى تكتنفه، فلا يزال لقصر ويكيكى الوردى جوه الخاص.

وعندما طاف بها جون فى جوله فى أرجاء الفندق أكد نفس الأحساس وأضاف: «هذا رغم أنه لم تعد به تلك النافورة التى تتدفق بعصير الأناناس.»

جلسا فى المطعم وبينما كان يتحادث مع النادل بشأن النبيذ لاح ثلاثة أشخاص عند المدخل وحياهم رئيس النُدُل. لأول وهلة كان اهتمام اليكس يتركز على المرأة الجميلة ولم تلحظ رفيقها.

كانت المرأة ذات ملامح شرقية إلى حد ما. كان جمال شعرها الفاحم وبشرتها الذهبية يتألق مع فستانها البسيط ذى اللون المشمشى. كان معها رجلاً يبدو أيضاً أنه أسيوى. عندما القت اليكس نظرة خاطفة على الرجل الثانى، كاد قلبها

يتوقف من الصدق. لقد كان لوريز.

قادهم كبير النُدُل عبر الممر الذى يمر بمائدة اليكس. وبتأثير مغناطيسى للوجه البنى القاهر للرجل الذى أحبته، أنتظرت منه أنه يلحظها. ربما لم يكن ليفعل ذلك. ربما يمردون أن يراها. فى هذه الظروف ربما يكون ذلك أفضل. ماذا يمكنها أن تقوله له أمام جون والآخرين سوى كلمات الكياسة المتكلفة التى لن تجدى شيئاً بصدد ما تريد أن تقوله له؟

أنا أحبك. لقد كنت غبية. أرجوك سامحنى. إنس كل ماقلته لك فى لوريل بوينت وفى أودولس. لقد ثاب لى رشدى. أوه، حبى، الن تعطنى فرصة أخرى؟

ولمعظم الطريق نحو مائدتها كانت عينا لوريز تنظران إلى وسط المطعم، كانت نظرته المحدقة الغامضة تتناقل بين مختلف الرواد وهو يتبع رفيقيه الأقصر بخطوته الرشيقة.

ولكن قبل أن يجتاز مقعد جون بثانية أو ثانيتين نظر إليه يمينه ورأى اليكس، اتسعت عيناها الرماديتان وملأهما الأرتباك والتردد.

ولأول وهلة كان بإمكانها أن تلحظ إجفاله مثلها. ولكن كانت لديه رباطه جأش رائعة. كانت تعرف أنها ستصعق لو كان الوضع معكوساً. بل إن خطوته لم تضطرب. شيء ما ــ أهو الغضب؟ ــ برق فى عينيه عندما التقت نظراتهما. عندئذ، حتى دون أن يومئ برأسه، تجاوزها، كما لو كان غريبين.

سألها جون: «هل هناك شيء يا اليكس؟»

كان ينظر لها بعدما أختار ما يريد من قائمة النبيذ.

«لا؛ لا.. لاشيء» أجابته سريعاً، وهى تفتعل

ابتسامة.

ولكى تبرر التعبير الذى لابد أنه رآه على وجهها مما دفعه لإلقاء هذا السؤال، فقد انتحلت العذر الوحيد الذى تبادر لذهنها فى تلك اللحظة.

«أنا.. أنا تولد لدى فجأة إحساس مرعب بأننى قد نسيت شيئاً هاماً فى فانكوفر. أما الآن فقد تذكرت أننى وضعته ضمن حقائبى، لذا فالأمر على مايرام»

كانت وجبة لن تنسى إطلاقاً، رغم أن ذلك لايرجع لإستمتاعها بها. لقد طغى إدراكها لوجود لوريز، فى مكان ماخلفها، على أى احساس آخر. بالكاد تذوقت الطعام، وبإهمالها شرب نبيذها، جعلت جون يتساءل عما إذا كان لم يعجبها.

وبعد أن أكدت له أنها تجده رائعاً، قال: «أنت تبدين شاردة الذهن بعض الشيء هذا المساء»

وأجابته كاذبة: «أنا أبدو كذلك؟ لا أرى داعيا لهذا، إلا إذا كان الانتقال السريع من فانكوفر الممطرة إلى هذا المناخ الصيفى الرائع يحدث اضطراباً للمزاج.

«ربما تمطر هنا عندما تستيقظين فى الغد. غالباً ما يحدث هنا مطر صباحى فى مثل هذا الوقت من العام.»

للمرة الأولى منذ رأت لوريز، تزايد أدراكها لحظياً للرجل ذى الشعر الرمادى الجالس أمامها عن إدراكها للرجل ذى الشعر الفاحم الجالس فى مكان آخر من المطعم.

وقالت بصوت رقيق: «ربما يثير لديك بعض الذكريات المؤلمة.. أن تعود لمكان كنت تقيم فيه مع زوجتك»

أجابها كازينوبوليس: «يمكننى الآن التفكير فى مارى دون

الم. لم تكن تريدنى أن أعيش بقية حياتى فى حداد عليها. وفى الواقع عندما علمت أنه لا أمل فى شفاءها، تحدثت عن المستقبل، مستقبلى. لقد قالت أن زواجى مرة أخرى سيكون تقديراً لها، علامة على أننا كان بيننا زواجاً سعيداً. الذهاب إلى الأماكن التى زرناها سوياً لا يسبب لى حزناً الآن. ولكنه يؤكد على وحدتى دون إمرأة فى حياتى.»

«لا ينبغى أن يكون صعباً أن تجد واحدة. أنت مرغوب جداً»

قال بلهجة عادية: «تقصدين لأن لدى أموالاً. هذا يجذب ذلك النوع من النساء اللواتى لا أبحث عنهن»

أحست اليكس أنها الآن على علاقة تسمح لها إلى حد كبير بالتحدث بحرية. وبإبتسامة طبيعية هذه المرة قالت: «أعتقد أن لديك الكثير مما يزكيك فضلاً عن أموالك.. وحتى النساء الرائعات، اللواتى لا يحلمن بالزواج من أجل المال، لا يتراجعن عن إمكانية أن يتقلبن فى النعيم إذا كان ذلك جزءاً من الصفقة»

ضحك وقال: «لا أظن ذلك» وصمت للحظة ثم تابع: «لقد قلت لى ذات مرة أنك لن تتزوجى أبداً. هل لا يزال ذلك هو رأيك؟»

لم تجب على الفور. ثم قالت ببطء: «لا، لقد كان من الغباء أن أقول ذلك، لقد غيرت رأى منذ ذلك الحين. والآن، إذا تقدم لى الشخص المناسب، فسأتزوج والائم عملى مع ذلك بطريقة أو بأخرى»

إعتصر الألم أعماقها لتذكرها أن الشخص قد تقدم لها وأنها قد رفضته، وحولت حبه إلى ذلك الاحتقار القاسى الذى لمحته

فى نظرته الغامضة القصيرة قبل أن يتجاهلها عن عمد.

هل هو يراقبها الآن؟ أم أنه يعطيها ظهره؟ لقد كانت تتوق لأن تنظر حولها ولكنها لم تستطع. سيلاحظ جون ذلك، وربما وجه بعض الأسئلة. ولكن إذا كان لورير يجلس معطياً وجهه ناصيتها، ويراقبها، ولم تنظر هى حولها على الاطلاق، ولا لمرة واحدة، الن يبدو ذلك كرد فعل عدائى على تجاهله؟ لو أنه فقط يعلم كم تتوق هى بنفاذ صبر لأن تلتئم الفجوة التى تفصلها.

ودفعت تفكيرها جاهده ليعود إلى جون، وتساءلت عما إذا كان ذكر عملها سيوحى له بأن يضغط عليها لإتخاذ قرار بشأن الوظيفة التى عرضها عليها.

ولكن، مهملاً الموضوع الذى كانا يناقشانه، بدأ يتحدث عن الجزر التى أخذت أسمها الجماعى من اسم أكبرها.

وأخبرها قائلاً: «ومثل الجزر الأربع الكبرى ــ هاواى وماوى وأواهو وكواوى ــ فهناك حوالى مائة وعشرين جزيرة صغيرة تشكل قمم جبال ترتفع تحت سطح البحر.»

وبطريقة حتمية جعلتها هذه الملاحظة تفكر بشأن لورير مرة أخرى. لقد أدركت الآن أنها لم تستوعب كلمة واحدة مما كان يقوله جون لبضع دقائق. لحسن لم يبد عليه أنه قد اكتشف عدم انتباهها.

«يعتقد كثير من الأمريكين أن هاواى تقع فى جنوب الباسفيك ولذلك يمكن التماس العذر لعدم معرفة أحد الأوربيين الكثير عن الجزر. وخاصة من كان فى مثل سنك وليس لديه أى ذكريات من الحرب العالمية الثانية»

«لا يمكن أن تكون كبيراً جداً أثناء تلك الحرب يا جون»

«كبير لدرجة تمكننى من تذكر كارثة بيرل هاربور. والآن فإن اليابانيين يشكلون العمود الفقرى للسياحة فى هاواى. وهذا برهان آخر ــ إن كانت هناك حاجة للبراهين ــ على عبث الحروب. فعدو الأمس هو أفضل عملاء الغد.»

إستدعى النادل بنظرة خاطفة وطلب قائمة الحساب.

بعد دقائق قليلة، وهى تنهض من المائدة، بحثت اليكس عن لورير. لقد كان قريباً إلى حد كبير، يحملق فيها، وكان وجهه قناعاً خال من أى تعبير رغم أن استطاعت أن ترى تقلصاً لا إرادياً عند زاوية فكه المتوتر.

لو كان بإمكان العيون أن تنقل الرسائل، فلم تكن اليكس لتحاول بذل جهد أكثر من ذلك للتعبير عن تعاستها وشوقها. كان رد فعله أن استدار للرجل الآخر وأعطى تعليقاً ما. وسواء كان نظر إليها مرة أخرى أم لم ينظر بينما كانت تغادر المطعم مع جون، فلم يكن لديها أية وسيلة لمعرفة ذلك.

طلب إلى السيارة التى أقلتها إلى المدينة أن توصلها إلى هيلتون كاهالا. وعندما توقفت السيارة تحت الرواق ذى الأعمدة المؤدى إلى ردهة رويال هاوايان وأندفع أحد الخدم ليفتح الباب، قال جون: «هل أنت متعبة؟ هل تجدين بأساً لو أننى أوصلتك بالسيارة وتناولت لديك شراباً قبل النوم؟»

وافقته قائلاً: «لا، إطلاقاً» كانت تعرف أن هناك احتمالاً ضئيلاً جداً أن تستطيع النوم لساعات عديدة.

آخر ما كانت تريد أن تفعله هو أن تغلق باب حجرتها على نفسها حيث تعذبها الشكوك فى قدرتها على جعل لورير ينصت لها. هذه الليلة من المحتمل أن يبقى بالخارج حتى وقت متأخر مع أصدقائه. فى الغد ستذهب لمنزله وتدفعه لأن يعطيها فرصة

لسماعها. لم تستطع تصديق أنه بعد الأيام والليالى التى تقاسماها فى تلك الجزيرة الصغيرة، أنه لم يعد هناك شيئاً متبقياً من ذلك العاشق الغيور مختبئاً وراء ذلك السلوك المنفر الذى رأته هذا المساء.

عندما اقتربت السيارة من الفندق كانت الثريات الفخمة ذات الحلى الزجاجية تلوح بضياءها البراق من نوافذ الردهة الطويلة.

وبعد أن أخبر السائق بأنه سيحتاجه بعد حوالى ساعة، قال لها جون: «ما رأيك فى نزهه على امتداد الشاطىء؟»

وأتخذ طريقهما خلال المساحات المضاءة بنور القمر من الشاطىء الرملى الهلالى الشكل. عندما طرف الشاطىء كان هناك لساناً ضيقاً من الأرض يبرز داخل البحيرة الساكنة، وقد زرع به العديد من أشجار النخيل. كان هناك ممراً يمر خلاله وقرب نهايته كانت هناك أريكة.

أشار عليها جون بقوله: «هل لنا أن نجلس قليلاً؟»

جلست اليكس وحدقت فى الرغوة الفضية على صخور الشاطىء. وفوق رؤوسهما كان يسمع حفيف سعف النخيل فى رياح الليلة الدافئة.

علقت قائلة: «بالتأكيد فإن هذا الفندق له أجل موقع رأيته على الاطلاق»

«نعم، هذا فندق أتمنى أن أملكه. الشركة التى تقوم بتشغيله هى فرع من مؤسسة ترانس العالمية التى... اليكس، هل كنت مرتبكة لأنك تناولت العشاء معى الليلة؟ هل هذا هو سبب ما بدا عليك من القلق؟»

«لا، بالطبع لا، يا جون. ما الذى كان يدعونى

للإرتباك ؟ » كان سؤالها مصحوباً بدهشة حقيقية لفكرته .

وتساءلت .. هل يجب أن تخبره بالحقيقة ؟ وقبل أن تتخذ قراراً ، قال : « أنا دائماً لى نظرة وضيعة للرجال الذين يطاردون فتيات أصغر منهم ربما يكن فى سن بناتهم . » إن رؤية رجل فى سنى مع فتاة فى العشرين من عمرها لا يعنى الكثير لأى منهما . ما الذى يمكن أن يجمع بينهما ؟ فى العادة يكون هو مهتماً بجسدها فقط وتكون هى مهتمة بأمواله فقط . »

صمت ، وكان من الواضح أنه يتوقع منها تعقيباً على ما قاله .

« بصفة عامة أعتقد أنك على حق ولكن هناك إستثناءات . إن هواية مشتركة للفن أو الموسيقى قد تجعل فجوة كبيرة فى السن تبدو شيئاً غير هام ، ألا ترى ذلك ؟ »

« أنا أوافق . دائماً هناك استثناءات . أعتقد أننى أنا وأنت من بينها . أنا أشعر بإرتياح كبير فى صحبتك وأتمنى أن تشعرى بنفس الاحساس . »

حتى ثوان قليلة خلت كانت تشعر بإرتياح فى صحبته . ولكنها الآن تشعر بالقلق على نحو غامض . إلى أين يمضى هذا الحديث ؟

قالت فى حذر : « نعم ، بالطبع .. ولكن مع تراءى عيد ميلادى الثلاثين فى الأفق ، فلا أرانى فتاة صغيرة . »

« أنت لازلت أصغر منى بكثير . خمس وعشرون سنة . أنا فوق الخمسين من العمر . الشريك الطبيعى لى هو امرأة فى الاربعينيات من عمرها . غير أنه أمرأة فى هذا العمر تكون قد تجاوزت أفضل سنى أنجاب الأطفال ، وأنا أريد أن أنجب أطفالاً . لم تكن زوجتى تستطيع إنجابهم دون المخاطرة بحياتها ،

لقد كان وضعاً أحزانها وسبب لها الماً أكثر مما حدث معى . كما أخبرتك من قبل ، كانت هناك فترة طويلة استغرقت فيها فى العمل تماماً لدرجة أن لم يكن لدى وقت لأى شىء آخر . أنا أندم على ذلك الآن . ولكن ربما لا يزال ممكناً لى أن أعيش مباهج الأبوة . هل تتزوجينى يا اليكس ؟ هل تكونين أم أطفالى ؟ »

الجمتها المفاجأة لم تستطع الكلام .

إن القلق الغامض الذى اضطرق بإثارة موضوع العلاقات بين الرجال الكبار والنساء الأصغر ، لم يكن يشمل ذلك المنعطف المذهل للأحداث .

تخبطت فى الأرتباك التام وتلعثمت قائلة : « أنا .. أنا لم تكن لدى أى فكرة .. »

قالت بصوت حنون : « أنا أدرك ذلك .. لقد حدث ذلك كأنه صدمة . لا ترفضيه على الفور . فكرى فيه يا اليكس . خذ وقتاً وفكرى فيه .. مثلما فعلت أنا . »

لم تكن بحاجة لوقت كى تفكر فيه ، ولكن فقط لتجد الكلمات المناسبة لأجل رفض مهذب ولكن قاطع .

وتابع قائلاً : « أظن أن لديك الكثير من العروض .. فالكثير من الفتيان يحبونك ، لست أدرى لماذا رفضتيهم ولكنى سعيد لأنك فعلت ذلك . كثيرات من الفتيات الموهوبات يتزوجن مبكراً دون أن يحققن مستقبلهن . معظم الرجال صغيرى السن يكونون شديدى الأنانية إلى حد يحول بينهم وبين أن يكونوا أزواجاً جيدين . لقد كنت أنا نفسى كذلك . لقد توقعت أن أكون أهم شخص فى حياة مارى ، وقد كنت . كان هذا خطأ . كان من الخطأ أن أريد ذلك ، وكانت على خطأ أن

سمحت به . »

غمغمت اليكس : « ربما كانت راضية تماماً أن تبنى حياتها حول حياتك يا جون »

« ربما ، ولكن يظل شيئاً غير صحيح . لو كانت لى بنات فلم أكن لأريد لهن أن يرتبطن بنفس نوع الزواج الذى إرتبطت به . وعندما نتعرض للحظات حرجة ، فكلنا نشعر بالوحدة فى هذا العالم يا اليكس ، وهذا هو ما يجعل من المهم لنا ألا نعتمد بصورة كلية على الآخرين ، حتى لو كانوا أزواجاً أو زوجات . أنا أدرك الآن أنه لو كان قد حدث لى أى شىء فإن مارى كانت ستضيع لم يكن لديها أى اهتمام قوى بأى شىء سوى أن تعنى بى . لم يكن لها أى كينونه سوى أن تكون زوجتى . لا يمكن أن يحدث هذا لك على الاطلاق . صدقينى ، أنا لا أنتظر منك أن تتخلى عن مهنتك . فى الواقع أن لازلت أتمنى أن تقبلى الوظيفة التى عرضتها عليك »

« جون ، أنت تبالغ فى مدحى ... » ولم تكمل كلامها .

أقترب منها وتناول يديها وأخذهما بقوة بين يديه .

« كان يجب أن أقترب من هذا بالتدريج . لقد كان هذا غرضى من إحضارك إلى هاواى . لقد رأيت أننا لو قضينا أياماً قلائل معاً فى مكان رومانسى فإنك ستبدأين فى إدراك أن إهتمامى بك لم يعد قاصراً على كونه مهنياً .. أو أبوياً . لم يكن كذلك لبعض الوقت . فى اليوم الذى ذهبنا فيه إلى فيكتوريا كنت متأكداً كنت متأكداً أننا يمكن أن نحيا حياة بهيجة معاً . مالم يمكننى تخمينه هو رد فعلك تجاه الفكرة . من الواضح أنها جاءت كأنها صدمة . لم يكن لديك أى معرفة طفيفة بما كان فى عقلى ؟ »

أجابت : « لا ، على الإطلاق .. لقد تكبدت الكثير لكى توضح أنك من المحتمل أن تتقدم لى ، ولكنى لم أحلم على الاطلاق بأنك ربما تعتزم الزواج »

« لست أدرى لماذا لا . إن لديك كل المقومات التى تجعل منك زوجة مبهجة . أنت مرحة وذكية حنونه . وهى أهم ثلاثة أشياء . وأنت جذابة بدرجة بالغة . وعلاوة على ذلك .. جميلة . »

وأشتدت أصابعه . ومال تجاهها . أدركت أنه فى طريقها ليقبلها فالت لتتجنبه .

« جون ، أنصت .. أنا بالغة الأسف ولكننى لا استطيع أن أتزوجك لأننى ... » واندفعت تختم كلامها وقد كتمت أنفاسها : « ... لأننى أحب شخصاً آخر . »

إعتدل ، وببطء خفف قبضته عن يديها وتركهما . وقال بلهجة بطيئة ثقيلة : « أنا أفهم »

« كنت سأخبرك قبل الآن ، لو بدا لى أن هناك صلة به »

« قال : « إنه الشاب الطويل ، الداكن الشعر الذى كان بالمطعم ، اليس كذلك ؟ »

صاحت فى ذهول : « كيف عرفت ؟ » .. بالتأكيد أننى لم أفشى ما بى إلى هذا الحد ؟ »

« لا ، لقد اظهرت بعض الإنفعال عندما مر بنا : لكن لم يمكننى إدراك الأمر من ذلك . لقد أفشى ما به أكثر مما فعلت . فى كل مرة أخطف بصرى تجاهه كنت أجده يراقبك أو يحدق فى . هل تجدين بأساً فى إخبارى بما يحول دون تصارحكما ما دمت تحبينه وأنه لديه نفس الأحساس »

قالت اليكس : « لا أعرف أن لديه نفس الإحساس ..

الآن »

خلال دقائق بعد عرض جون، وجدت نفسها تقص عليه أن لورير كان يريد أن يتزوجها، وأسباب رفضها وكيف إنتهت علاقتهما.

وختمت حديثها بقولها: «ولكن مما قالته لى جدته، فبعد مغادرته فانكوفر، فأعتقد أنه ربما يكون قد غير رأيه أيضاً»

«لا يمكن إذا ما كنت خبيراً. إن الغيرة منى تأكل هذا الفتى حياً.. أنا متأكد إلى حد كبير أن سبب تركه فانكوفر دون أن يودعك هو أنه إعتقد أنك كنت تخونيه.» وأضاف «ليس دون سبب»

سألته فى حيرة: «ماذا تقصد؟»

«لقد عرفت وجهه بمجرد أن إستدار. لقد رأيته لأول مرة عندما كان واقفاً بمدخل جناحك. كنت أنا أرتدى سروال داخلى وروب الحمام، وكنت أنت قد نزلت للشارع لشراء علاجاً لساقى. وما دفعنى لأن أفتح الباب عندما دق الجرس أنى ظننتك قد نسيتى مفتاحك. وقد بدت عليه الدهشة لرؤيتى. لقد قال شيئاً ما مثل: «لابد أننى أخطأت فى رقم الحجرة. آسف لإزعاجك». وعاد إلى المصعد. لم يكن لدى سبباً لأكذبه. كان وجهه فى تلك الليلة أكثر جوداً وإخفاء لمشاعره مما بدا عليه الليلة.

وعادت اليكس بذاكرتها لآخر حديث بينها وبين السيدة تايت: «لقد عاد لورير متأخراً الليلة الماضية. كنت أقرأ فى الفراش ولكنه بدا عازفاً عن الكلام.

وعلى غير معرفة من جدته فلابد أنه قد عاد للمدينة فى وقت مبكر من ذلك المساء، وذهب مباشرة إلى فندق اليكس،

نافذ الصبر لرؤيتها بعد إفتراقهما، فلقى جون الذى بدا وكأنه كان معها فى الفراش.

غمغمت بصوت عال: «ولكن كيف يصدق ذلك منى؟»

قال جون بصوت جاف: «إن رجلاً فى ثوب حمام يفتح باب شقة فتاة هو برهان لعين إلى حد كبير أنهما على علاقة خاصة.. لا يمكنك توجيه اللوم له على ما فكر فيه. ماذا كنت ستعتقدين لو أنك ذهبت إلى شقته ووجدت فتاة فى ثوب منزلى مبتذل تحييك؟»

«أظن أنك على حق. وكوننا جئنا إلى هاواى معاً.. أوه، يا إلهى، لن استطيع الآن على الاطلاق أن أقنعه بأنه غير حقيقى» كان البؤس يشيع فى لهجتها.

قال بصوت هادى: «ربما لا.. لكن أعتقد أننى استطيع. سأذهب لرؤيته فى الغد وأخبره بحقيقة ما حدث. وسأخبره أننى أيضاً أردتك أن تكونى زوجتى ولكنك رفضتينى لأجله... لا تقلقى يا عزيزتى. سوف يقتنع. والآن أعتقد أن الوقت قد حان لأن نتناول شرابنا قبل النوم.»

عندما صعدت اليكس إلى غرفتها وجدت على وسادتها غصناً من زهور الأوركيد. كانت هناك ثمرة أناناس طازجة كمظهر آخر من حفاوة الفندق التى تميز أهل هاواى.

استخدمت كوباً وضعت فيه زهور الأوكيد ووضعته على المائدة. وعندما استعدت للنوم، تساءلت عما إذا كان جون سيستطيع إقناع لورير ببراءة علاقتهما. لقد أصر على الذهاب لرؤيته بمفرده. لم يكن هناك ما يمكنها عمله سوى أن تنتظر فى ترقب قلق حتى يتصل بها أحدهما، فى وقت ما من من صباح الخير. لو كان جون هو الذى يتصل، فستعرف على الفور أنه قد

فشل.

كانت حجرة النوم مكيفة الهواء وبها ثلاجة وتليفزيون ملون. ربما فى وقت متأخر، عندما لا تستطيع النوم، تبحث عن تسلية بمشاهدة فيلم يعرض فى وقت متأخر من الليل، هذا إذا ما كانت هاواى مثل الجزء الرئيسى من أمريكا حيث تعرض الأفلام القديمة طوال الليل.

بعدما أعدت لنفسها شراباً وافراً، خطت من برودة غرفة النوم إلى الليل الأستوائى. كان درابزون الشرفة مقوساً إلى الخارج. وتحتها كانت البحيرة البيضاوية الواسعة، وقد رتبت كل سرائر الرقود فى الشمس فى صفوف أستعداداً للغد.

الغد... ماذا سيحمل فى طياته؟ الفرحة أم خيبة الأمل؟ بداية حياة من السعادة، أم بدء أعوام طويلة من الوحدة والندم؟

جلست فى الشرفة لوقت طويل، محاولة استشعار الأمتنان لإقامتها فى ذلك المكان الجميل، ولكن غير قادرة على إبقاء أفكارها بعيداً عن تلك اللحظة، منذ ساعات قلائل، عندما مر بها لورير متشاغلاً بنظرة من التجاهل الثلجى.

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بوقت طويل، وكان إحساسها يزيد على ذلك بساعتين آخرين، وعندئذ دق جرس التليفون.

من يمكن أن يطلبها فى هذه الساعة المتأخرة، ليس جون. وبالتأكيد ليس لورير، الذى كان يراها موجودة هنا كخليلة لجون.

«آلو؟»

«هنا هو الاستقبال يا آنسة كليفورد. آسفة لإزعاجك ولكن

هنا سيد يصر على رؤيتك كمسألة ملحة. إسمه السيد لورير تايت.»

دفع صمتها موظفة الاستقبال أن تقول: «هل أنت معى يا آنسة كليفورد؟»

استعادت اليكس صوتها. وقالت: «نعم، أنا معك.. هل لك أن تدعيه يصعد، من فضلك»

«نعم، سيدتى»

وحيث أنها وجدت من الصعب أن تصدق بأن لورير كان فى الفندق فعلاً وخلال دقائق قليله جداً سيطرق بابها، إندفعت إلى الحمام لتحرك مشطاً فى شعرها.

عندما فتحت له الباب، حدق كل منهما فى الآخر للحظة قبل أن يقول بلهجة رسمية: «إنه لشىء طيب منك أن ترينى فى هذه الساعة. هل أيقظتك مكالمة موظفة الاستقبال.»

أومأت له اليكس بالدخول. وأغلقت الباب. وقالت: «أنا لم أكن نائمة.. ولا حتى فى الفراش» كانت عصبيتها تجعل صوتها يخرج من حلقها.

بصراحة مميزة، قال: «عندما عدت لمحل إقامتى وجدت سيارة كازينوبوليس تقف بالخارج. قال لى، بين أشياء أخرى، أنه يقيم فى فندق رويال هاوايان وأنك بمفردك هنا. قال أننى قد أخطأت تماماً فهم الموقف الذى حدث بجناحك يوم أن عدت إلى فانكوفر. قال أنك لو تزوجتيه فستكون حياتك معه أسهل من حياتك كزوجة لى، ولكنه لم يستطع إقناعك بذلك. وأخيراً طلب منى أن أحضر إلى هنا وأعتذر.. على ركبتىّ إذا لزم»

لم يبتسم عندما أضاف فقرة جون اللاذعة. لم يكن وجهه

بمثل هذه الجدية من قبل على الاطلاق.

قال بصوت هادىء: «أعرف أنه وضع بغيض جداً ينبغى الأعتراف به، ولكننى وجدت لوهلة أنه من الأسهل إقناع نفسى بأنك ذهبت معه للفراش من أن أواجه حقيقة أنك لم تكونى لتضعى نجاحك فى عملك على الرف لأجلى. أعتقد أننى كنت أعرف فى أعماقى أنه كان هناك سبباً مقنعاً لوجوده هناك فى روب الحمام»

تقدم خطوة بطيئة بإتجاهها. وقال: «لم يمر بى يوم سعيد ولم أهنأ بنوم ليلة منذ أن كنا معاً. لقد كان مذاقاً من الجنة. منذ ذلك الوقت وأنا فى الجحيم، مدركاً ما يمكن أن تكون عليه بقية حياتى بدونك، وموقناً أننا قد إفترقنا للأبد. هل كان الأمر كذلك بالنسبة لك؟»

«نعم» إعترفت: «نعم، كان كذلك. عندما كنت بعيداً فى رحلتك للصيد، غيرت رأيى بشأن كون العمل أهم شىء فى حياتى. منذ أن إفترقنا، أدركت أنه ليس كذلك. إنه شىء هام.. هام جداً. ولكنه ليس أساسياً مثل الحب. لو لم أقض تلك الأيام على الجزيرة معك، فلم أكن لأعرف ما كنت أفتقده. لكننى فعلت ولا استطيع أن أنسى كم كانت أياماً رائعة.» ختمت كلامها وقد اضطرب صوتها برقت عيناها بدموع الإرتياح.

وللحظة أخرى نظر كل منهما عبر المسافة التى كانت تفصلهما. ثم أخذ لورير خطوتين واسعتين وأجتذبها بقوة بين ذراعيه.

لم يقبلها. ضمها إليه بقوة وتعلقت هى به، ودست وجهه إزاء كفه العريض وهى تجاهد للتحكم فى الجيشان العاتى

لعواطفها. ولكن سرعان ما وجدت أنها لا تستطيع. كانت أقوى منها. وكادت تختنق تحت وطأة تفجر كل البؤس والآلام الدفينة لأيام وليالى الوحدة منذ فراقهما. كانت التشنجات العميقة تعصف بجسدها النحيل. فاضت دموعها وسالت على وجنتيها، مبللة قميصه.

«حبى... حبى» أفصحت بحة صوته عن مدى تأثره بانفجارها بكاءً.

أحست بيده على شعرها بينما كانت يده الأخرى تربت على ظهرها بينما يهزها برفق بين ذراعيه، مغمغماً بكلمات الحب وإعادة الطمأنة ولكن لم يحاول دفعها للتوقف. كأنه كان يعرف أنها تحتاج لأن تتخلص من كل ما كظمته من الهم واليأس من الزمن ــ وكم بدا طويلاً ــ منذ آخر عناق لهما.

إن رفاهية الحصول على كتف تبكى علي هو شىء لم تمتلكه منذ كان والداها على قيد الحياة. لم يكن هناك أى شخص استطاعت أن تدع نفسها معه على سجيتها تماماً مثل ذلك.

وأخيراً خمد إنفجار عواطفها.

وتمتمت: «أنا أحتاج منديل ورقى»

إرتخت ذراعا لورير حولها. وبعد لحظة كان يرفع وجهها وبدأ يجفف دموعها بشىء أفضل من المنديل الورقى، منديل كتانى نظيف كبير.

عندما حاولت أن تأخذ منه المنديل وأن تدلى رأسها، لم يدعها، وأبقى وجهها مائلاً لأعلى، وبرقة يمسح وجنتيها المتلألئتين وينظر فى عينيها وقد إمتلئت عيناه بحب لدرجة أوهنت كل إعتراضاتها وذهبت بها.

قال بصوت رقيق: «ماذا كان من أمرنا نحن الاثنين لدرجة أننا لم نستطع الرؤية السليمة من قبل؟»

هزت رأسها قليلاً وقالت: «لست أدرى. لابد أننى كنت مجنونة إذا اعتزم الحياة بدونك»

قال بإبتسامة حزينة: «كلانا كان كذلك. أنا أكثر منك لأننى طفت هنا وهناك أكثر وكان يجب أن أكون أكثر حكمة.. لم يكن ينبغى على الاطلاق أن أطلب منك أن تعزلى نفسك فى الباسفيك. أعرف ذلك الآن. قبل عودتى إلى فانكوفر وضعت خطة وسط. إذا استطعت أن أجد لنفسى وظيفة فى وودز هول، يمكنك أن تجعلى من نيويورك قاعدة لك. وسيلائمك هذا، اليس كذلك؟»

سألت اليكس بصوت لا يزال غير منتظم: «أنا لا أفهم. ماذا ستفعل فى وودز هول؟ أين وودز هول؟»

«معهد وودز هول لعلوم المحيطات.. إنه فى الطرف الغربى لكيب كود. أنت تعرفين أين هى، أنا متأكد»

«بالطبع. إنها ذلك اللسان الذى ينتأ كأنه خطاف من ساحل نيو انجلند. ولكن هذه تبعد أميالاً عن نيويورك، وماذا ستفعل هناك؟»

«وودز هول هو واحد من أكبر أربعة معاهد لبحوث علوم المحيطات فى أمريكا. إذا عملت هناك فيمكننا قضاء الكثير من الوقت معاً. ربما لا يكون كل يوم وكل ليلة، ولكن وقت كاف لأن يجعل إفتراقاتنا محتملة. إنه حل. ليس مثالياً، ولكن أفضل ما توصلت إليه حتى الآن»

«لكننى لا يمكن أن أبعدك عن هاواى. أنت تحب المكان هنا».. الطقس الدافىء.. البحر.. والسباحة بين الأمواج»

جذبها بين ذراعيه مرة أخرى وقال بصوتها رقيق: «إذا كنت تظنين أن السباحة بين الأمواج تقارن بالوجود معك فإنك تبخسين نفسك حقها» وقبلها قبلة حانية رقيقة.

فى صباح اليوم التالى عاد إليها لورير، وجلسا يتناولان طعام الإفطار فى الشرفة. لم يكن أى منهما يريد أن يترك صاحبة ليلة أمس. ولكنه فضل أن يدعها لتستريح ساعات قليلة قبل أن يعود إليها.

وبينما كانا يشربان عصير البرتقال قال لورير: «أعتقد أنه سيكون أبسط كثيراً لو عدنا إلى فانكوفر لعقد الزواج. لقد بحثت فى الإجراءات قبل نهاية الأسبوع التى أمضيناها على الجزيرة. كنت متأكداً أننا سنعود سريعاً لنرتب الزفاف»

سألت اليكس: «هل كوننا من جنسيتين مختلفتين يعقد الأمور؟»

«لا يبدو ذلك. كل ما يجب علينا عمله هو التقدم بطلب للحصول على ترخيص من مكتب تسجيل المقاطعة، وننتظر يومين ثم نكمل ما بدأناه. يمكن لمفوض الزواج أن يزوجنا فى أى مكان: منزل جدتى، فندق، أو حتى على سفينة إذا أردنا»

«ألا ينبغى عليك أن تتصل بجدتك وتبلغها بالأخبار الطيبة؟ كانت تبدو محبطة تماماً بإنفصالنا»

«سأفعل ذلك بعد الافطار مباشرة»

لكن قبل أن ينتهيا من إفطارهما دق جرس التليفون. ونهضت اليكس لتجيبه.

«صباح الخير يا اليكس. أنا جون. كيف تسير الأمور؟»

«الأمور رائعة.. جزيل شكرى لك. لن استطيع مطلقاً أن أقول لك..»

قاطعها فى صوت مبتهج: «هذا عظيم. أنا سعيد بسماع ذلك. لقد تلقيت مكالمة منذ قليل من لوس انجلوس وسأطير هناك فى وقت متأخر من هذا الصباح. لاتنس أنك لازالت مسئولة عن أجنحة المبانى الملحقة، اليس كذلك؟»

«بالطبع لازلت. جون، أنا آسفة لأن الأمور لم تحدث كما أردت»

«لا تأسفى لأجلى. تمتعى بسعادتك. سنبقى على إتصال.»

وأغلق الخط دون أن يقول لها إلى اللقاء، تاركاً اليكس تأمل ألا تكون هناك مشاعر أعمق تحت عرض العملى إلى كبير ليلة أمس.

عندما عادت إلى لوريز قالت له: «يجب على جون أن يطير إلى لوس أنجلوس.. هل لابد أن تعمل اليوم يا حبيبى؟ لا يمكننا أن نحصل على يوم واحد فقط معاً فى هذا المكان المبهج؟»

«أعتقد أنه يمكن ترتيب ذلك»

نهض ودس ذراعه حولها. وقفا متكئان على الدرابزون، ينظران إلى أشجار النخيل التى يتلاعب الهواء بسعفها والبحر المتألق بحدود المرجان الظليلة التى تظهر فى أعماق البحيرة الزبرجدية اللون.

وللحظة تذكرت اليكس تلك البحيرة فى فانكوفر التى تسمى البحيرة المفقودة، وشاهدت القبربين الأشجار، والشاعرة التى تتذكر حباً سار بطريقة ما فى الاتجاه الخطأ.

عندئذ أدارها لوريز تجاهه وأخذ وجهها بين يديه، عندما أغلقت عينيها وفرجت شفتيها لقبلته، نسيت بولين جونسون

وجون كازينوبوليس، ومشاكل الزواج الحديث التى لابد أن تواجهها هى ولوريز فى المستقبل.

اليوم كل مايهم أنهما تجمعا مرة أخرى.